الثمر الجنِيّ
في انفرادات أبي جعفر المدنيّ
عن القراء العشرة وأثرها في التفسير

إعداد
د/ محمد إبراهيم سيد سليمان
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين- القاهرة

ملخص البحث

تناول البحث جمع القراءات التي تفرد بها الإمام أبو جعفر عن القراء العشرة مع توجيه هذه القراءات وبيان وجه الإعجاز المستنبط منها والفرق بينها وبين قراءة الجماعة من حيث المعنى.

ويتكون البحث من تقديم، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة. أما التقديم ففيه بيان لأهمية البحث، وسبب اختياري له، ومشكلته، والدراسات السابقة عليه، ثم بيان لمحتويات البحث، وخطواته.

وأما التمهيد فقد اشتمل على مبحثين: الأول: في بعض المسائل التمهيدية لدراسة القراءات، وقسمته إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: في بيان ماهية القراءات. والثاني: في بيان أقسام القراءات. والثالث: في إيضاح النسبة بين القرآن والقراءات.

وجاء المبحث الثاني: في ترجمة الإمام أبي جعفر المدني، ببيان نسبه ونشأته، ومن أخذ عنهم وأخذوا عنه، وثناء العلماء عليه، ووفاته.

وعقدت الفصلين في بيان ما انفرد به الإمام أبو جعفر من الكلمات الفرشية وأثرها في التفسير.

وذيلت البحث بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث، ويليها ثبت بالمصادر والمراجع التي استعنت بها أثناء البحث.

وأبرز نتائج البحث: بيان القيمة الكبيرة لعلم القراءات، وأنه لا تكاد ترى علما من علوم الشريعة والعربية إلا والقراءات رافد من روافده، وأن القراءات تفيد تكثيرا للمعاني، وتنوعا وتكاملا في الأداء البياني، ومنها ما هو من قبيل تعدد اللغات واختلاف اللهجات إلا أنه لا يخلو من نكتة أو لطيفة تؤثر في بيان المعنى وتزيده وضوحا وجلاء، ومن القراءات ما يبين المعنى المراد، ومنها ما يدفع إشكالا أو اعتراضا وجد في الآية، والقراءات حجة في اللغة والشريعة يحتج بها لا لها، وهي متبوعة لا تابعة.

الكلمات المفتاحية: انفرادات ـ أبو جعفر المدني ـ القراء العشرة

The genie fruit in Abu Jaafar's civil singles about the ten readers and their effect on interpretation

Mohamed Ibrahim Sayed Suleiman

Teacher of Interpretation and Qur'an Sciences at Al-Azhar University in Cairo

E-mail: mhmdabrahym71@gmail.com

Abstract:

The research dealt with the collection of readings unique to Imam Abu Jaafar about the 10 readers, with the guidance of these readings and the statement of the face of the miracle derived from them and the difference between them and the reading of the community in terms of .meaning

The research consists of a rendering, a boot, two chapters, and a conclusion. The presentation contains a statement of the importance of the research, the reason for my choice, its problem, and previous studies, and then a statement of the contents of the research, and its .steps

The preface included two topics: the first: in some preliminary issues of the study of readings, it was divided into three demands: the first requirement: in the statement of what the readings were. The second is in the statement of the reading sections. The third is to .clarify the ratio between the Qur'an and readings

The second research came: in the translation of Imam Abu Jaafar al-Madani, a statement of his lineage and upbringing, and those who took them away from him, and the praise of the scholars for him, and

.his death
The two chapters were held in a statement of imam Abu Jaafar's .unique words and their impact on interpretation
The research was followed by a conclusion in which the most important findings and recommendations i reached in this research, followed by proven sources and references that were used during the .research
The most prominent results of the research: the statement of the great value of reading science, and that you can hardly see a knowledge of the sciences of Sharia and Arabic except readings tributaries, and that the readings benefit a lot of meanings, diversity and integration in graphic performance, including such as multilingualism and different dialects, but it is not without a joke or nice affect the statement of meaning and increase it clearly and clearly, Readings include what shows the meaning to be intended, some of which prompt a problem or objection found in the verse, and readings are an argument in the language and sharia that is invoked without it, and which is followed by non-dependent.
Keywords: Abu Jaafar's 10 readers' singles.

تقديم

الحمد للَّه الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، أنزله للناس مباركا ليَتَدَبّر فيه أربابُ النهى وليتذكر أولو الألباب تذكيرا، وفصل آياته وأحكمها، وبين حقائقه وأبرزها ليتفكر فيه العقلاء تفكيرا، وخصنا بإرسال أكرم الخلق عليه الذي طهر قلبه، وشرح صدره، وجعل خير القرون قرنه، صلى اللَّه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى الأئمة المجتهدين، وعلى السالكين سبيله إلى يوم الدين، وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا.

وبعد، فإن أولى ما أفنى فيه المكلف عمره وأعمل فيه فكره تحصيل العلوم النافعة لا سيما العلوم الدينية والفهوم اللدنية، وأهم ذلك علم ثمرته الفوز في الدراين، علم يتعلق بكتاب اللَّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكل علم تعلق به حاز الشرف؛ إذ إن المتعلِق ـ بكسر اللام ـ يشرف بشرف المتعلَق، فطوبى لمن أعرض عن كل شاغل يشغله عن تدبره والتفكر فيه، فقد قال النبي ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"، وأقرأ أبو عبد الرحمن السلمي في إمرة عثمان حتى كان الحجاج. قال أبو عبد الرحمن: وذاك (إشارة إلى هذا الحديث الذي رواه) الذي أقعدني مقعدي هذا[1]. ولو لم يرد في فضل ذلك إلا هذا الحديث لكان كافيا أن يبذل في سبيله المرءُ الغالي والنفيس، فأكرِم بعلم يتصل سنده برب العالمين بواسطة روح القدس الأمين، وسيدنا محمد صفوة الخلق أجمعين، إلا أن كثيرا من المتصدرين للإقراء في زماننا تصدروا لهذا الأمر دون إتقان للعلوم التي يُحتاج إليها، فوقفوا عند حدود اللفظ دون تطرق إلى مدلول الألفاظ، وما تضفيه على المعاني من حسن وجمال، فأردت أن أضرب بسهم في هذا الميدان من خلال جمعي للمواضع التي تفرد الإمام أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني عن القراء العشرة بقراءتها، مع التوجيه لها وبيان أثرها في التفسير.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عثمان بن عفان، ك: فضائل القرآن، ب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح رقم (٥٠٢٧).

مشكلة البحث:

من المعلوم أن المشكلة هي الباعث للباحث على التفكير، وهي الدافع الحقيقي لوجود البحوث والكتابة في الموضوعات المختلفة، وهي المحفز على الدراسات العلمية؛ إذ إنها تستفز ملكات الباحث العقلية والفكرية للنهوض لحل المعضلات التي تواجهه، وغالبا ما تتمثل المشكلة في عدة تساؤلات تمثل الإجابة عليها جوهر البحث ولبَّه.

ومشكلة بحثنا تكمن في جمع الألفاظ القرآنية التي انفرد الإمام أبو جعفر المدني بقراءتها، وتوجيهها توجيها لغويا وبيان ما يتعلق بها من الجانب التفسيري، فإذا كان العلماء قديما قد وقفوا مع القراءات مبينين لها موضحين ضبطها وكيفية النطق بها وتوجيهها، إلا أننا نجد أكثرهم لا يقف مع المعنى وقفة ليبين التفسير المتعلق بهذه القراءة، خاصة فيما زاد على القراءات السبع، فلم تحظ القراءات الثلاث المتممة للعشرة بما حظيت به القراءات السبع، بل نجد بعض العلماء كابن مجاهد يعد ما وراء السبعة شاذا، وإن كان ابن جني قد وجه كلامه بأن هذا المسمى شاذا ليس شذوذه شذوذ ضعف، وإنما سمي شاذا لكونه خارجا عن قراءة القراء السبعة[(١)]، فمفهوم الشذوذ عنده قلة القراءة به في الأمصار بالقياس إلى القراءات السبع، ثم قال ابن جني: "فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذًّا، وأنه مما أمر اللَّه تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنه حبيب إليه، ومرضيٌّ من القول لديه"[(٢)]. ونجد في بعض الكتب طعنا في بعض القراءات القرآنية وتشكيكا في مصدرها، فهل هناك تعارض واختلاف بين القراءات القرآنية؟ وهل يوجد فيما انفرد أبو جعفر بقراءته ما يخالف القواعد العربية والأصول الشرعية؟ وما الأسرار والحِكم والفوائد المأخوذة من القراءة التي قرأ بها؟ هذا ما

(١) يراجع السبعة لابن مجاهد ص (٨٧)، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني(١/ ٣٢).

(٢) يراجع المحتسب (١/ ٣٣).

سنحاول الإجابة عليه في هذا البحث بإذن اللَّه تعالى.

الدراسات السابقة:

١ـ الانفرادات عند علماء القراءات للباحث/ أمين محمد أحمد الشيخ أحمد الشنقيطي، بحث تقدم به صاحبه لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أ. هذا البحث عنى صاحبه ببيان القراءات التي جاءت عن القراء العشرة بأسانيد آحادية، فإن القراء العشرة لهم قراءات أخرى غير القراءات التي تواترت عنهم، فما تواتر عنهم هو الذي يجوز للإنسان أن يقرأ به، وأما ما جاء عن القراء العشرة بأسانيد أخرى لم تتواتر عنهم فلا تعتبر قرآنا، ولا يجوز للمسلم قراءتها في الصلاة ولا غيرها.

ب ـ جمع الباحث هذه الروايات التي لم تتواتر وعزاها إلى أصحابها دون توجيه لها، أو استدلال بها، أو بيان لمعناها.

٢ـ التوجيه اللغوي للقراءات التي انفرد بها القراء الثلاثة المكملين للعشرة للباحث/ محمد أحمد ناصر العودات. بحث تقدم به الباحث للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، تخصص اللغويات، من جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

ـ تناول الباحث القراءات التي تفرد بها القراء الثلاثة من الناحية اللغوية كتليين الهمزة (قراءتها بين بين، أي: مسهلة) وإبدالها وحذفها ونقلها، وحذف الحركة واختلاسها وإتباعها، والتضعيف والتخفيف، والتنقل بين الأفعال، وبين الاسم والفعل، والتبادل بين صيغ الأفعال، والقلب المكاني، والتذكير والتأنيث، وغير ذلك. وأما بحثي هذا فهو متناول لما تفرد بقراءته الإمام أبو جعفر مما تتواتر عنه، وبيان أثر ذلك على المعنى.

محتويات البحث:

يتكون هذا البحث من تقديم، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

أما التقديم ففيه بيان لأهمية البحث، وسبب اختياري له، ومشكلته، والدراسات

السابقة عليه، ثم بيان لمحتويات البحث، وخطواته.

وأما التمهيد فقد اشتمل على مبحثين: **الأول**: في بعض المسائل التمهيدية لدراسة القراءات، وراعيت فيه الاختصار؛ لأن جل هذه المباحث تناولها العلماء والباحثون بالدراسة واستفاضوا في ذلك، وقسمته إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: في بيان ماهية القراءات.

المطلب الثاني: أقسام القراءات.

المطلب الثالث: النسبة بين القرآن والقراءات.

المبحث الثاني: ترجمة للإمام أبي جعفر المدني، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نسبه ونشأته.

المطلب الثاني: من أخذ عنهم.

المطلب الثالث: من أخذوا عنه.

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: وفاته.

وأما الفصلان فهما في بيان ما انفرد به الإمام أبو جعفر من الكلمات الفرشية وبيان أثرها في التفسير.

الفصل الأول: ما انفرد به الإمام أبو جعفر من فاتحة القرآن إلى آخر سورة الإسراء.

الفصل الثاني: ما انفرد به الإمام أبو جعفر من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن.

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث، ويليها ثبت بالمصادر والمراجع التي استعنت بها أثناء البحث.

خطوات البحث:

١ـ جمعت واستقرأت القراءات التي انفرد بها الإمام أبو جعفر عن القراء العشرة من خلال الكتب المعتمدة.

٢ـ تعرضت للكلمات الفرشية، ولم أتعرض لما انفرد به الإمام في الأصول؛ لأن

الأصول متحدة في الألفاظ والمعاني، والتنوع فيها تنوع في صفة النطق وكيفية الأداء كتسهيل الهمزات والإمالات ومقادير المدات، وترقيق الراءات، وتغليظ اللامات، وغير ذلك.

٣ـ أكتب الآية القرآنية برواية حفص عن عاصم، وأردفها ببيات القراءات فيها.

٤ـ راعيت في جمعي لانفرادات أبي جعفر ترتيب الكلمات القرآنية حسب ورودها في سور القرآن.

٥ـ أبين معنى كل قراءة من القراءات الواردة في الكلمة محل البحث.

٦ـ أذكر الإشكالات الواردة على القراءة ـ إن وجدت ـ وجواب العلماء عنها.

٧ـ أسجل الفائدة المستنبطة من تنوع القراءات.

وبعد، فهذا البحث ما هو إلا محاولة متواضعة لخدمة كتاب اللَّه العزيز، ولا أدعي فيه كمالا فالكمال المطلق للَّه وحده، والمعصوم من عصم اللَّه، فإن كنت قد أصبت فمن اللَّه العظيم وحده، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، ونسأله ﷻ أن يعصمنا من الزلل وأن يوفقنا لصالح العمل، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى اللَّه وسلم على البشير النذير، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

المطلب الأول: ماهية القراءات

القراءات لغة:

القراءات جمع قراءة، والقراءة: مصدر الفعل الثلاثي: "قرأ"، يقال: قرأت الكتاب قراءة.

وفي الصحاح: "قرأت الشئ قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قرأتْ هذه الناقة جنينا، أي لم تَضُمَّ رحما على ولد. وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمِّي القرآن. وقال أبو عبيدة: سمِّي القرآن لأنه يجمع السُّوَرَ فيضُمُّها. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[(١)] أي: جمعه وقراءته، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[(٢)] أي: قراءته،وأقرأه القرآن فهو مُقْرِئٌ، وجمع القارئ: قَرَأَة، مثال: كافر وكفرة[(٣)]. فالقرآن في الآيتين مصدر الفعل: "قرأ" بمعنى: القراءة.

والْقُرَّاء: يكون من الْقِرَاءَة وَيكون من التنسك، وَهُوَ أحسن. وَجمع الْقُرَّاء: قراؤون. يُقَالُ: رَجُلٌ قُرَّاءٌ وامْرأَة قُرَّاءةٌ. وتَقَرَّأَ: تَفَقَّه. وتَقَرَّأَ: تَنَسَّكَ. وَيُقَالُ: قَرَأْتُ أَي: صِرْتُ قَارِئًا ناسِكاً[(٤)]. ومعنى قرأت القرآن: لفَظتُ به مجموعا[(٥)].

قلت: فمادة (ق ر أ) تأتي بمعنى الضم والجمع، تقول: قرأت الكتاب قراءة وقرآنا، أي: لفظت به مجموعا بعضه إلى بعض.

٢ـ تأتي بمعنى: التفقه، يقال: تقرَّأ: أي: تفقه.

٣ـ تأتي بمعنى التنسك والتعبد، يقال: قرأْتُ: أي: صرت ناسكا متعبدا.

---

(١) الآية: (١٧) من سورة القيامة.

(٢) الآية: (١٨) من سورة القيامة.

(٣) يراجع الصحاح للجوهري (١/ ٦٥)، ويراجع في مادة (ق ر أ) تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢١٢)، ولسان العرب لابن منظور (١/ ١٢٨)، وتاج العروس للزبيدي (١/ ٣٦٨).

(٤) يراجع المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٦/ ٤٧٠)، ولسان العرب (١/ ١٣٠).

(٥) يراجع تهذيب اللغة (٩/ ٢١٠)، ولسان العرب (١/ ١٣١).

القراءات اصطلاحا:

تعددت أقوال العلماء وتعاريفُهم لعلم القراءات، إلا أنني لم أجد في كتب المتقدمين تعريفا لهذا العلم، ربما لشهرة هذا العلم، وإقبال الناس عليه تعلما وتعليما، رواية ودراية، فلم يحتج إلى وضع حد له.

١ـ تعريف أبي حيان الأندلسي:

لم يُعَرِّف الإمام أبو حيان القراءات تعريفا مستقلا، وإنما جاء تعريفه لها عرضا ضمن تعريفه للتفسير حيث قال: "التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَمَدْلُولَاتِهَا، وَأَحْكَامِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ وَالتَّرْكِيبِيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الَّتِي تُحْمَلُ عَلَيْهَا حَالَةَ التَّرْكِيبِ، وَتَتِمَّاتٍ لِذَلِكَ. فَقَوْلُنَا: (عُلِمٌ) هُوَ جِنْسٌ يَشْمَلُ سَائِرَ الْعُلُومِ. وَقَوْلُنَا: يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ النُّطْقِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ هَذَا هُوَ عِلْمُ الْقِرَاءَاتِ"[(١)].

فعلم القراءات عند أبي حيان: "علم يُبْحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن".

والمتأمل في هذا التعريف يلاحظ أمورا:

١ـ أنه لم يعرف علم القراءات على وجه الاستقلال، ولا قصد أن يعرفه تعريفا جامعا مانعا، إنما أراد الإمام أبو حيان أن يعرف علم التفسير، فجاء تعريفه للقراءات تبعا وعرضا لا قصدا وغرضا.

٢ـ هذا التعريف أقرب أن يكون تعريفا للتجويد منه إلى القراءات، فقد عرف العلماء التجويد بأنه: "إخراج كل حرف من مخرجه وإعطاؤه حقه ومستحَقه من الصفات"[(٢)].

٢ـ تعريف بدر الدين الزركشي:

قال رحمه اللَّه: "اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي

---

(١) يراجع البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٢٦).

(٢) يراجع هداية القاري إلى تجويد كلام الباري للشيخ المرصفي (١/ ٤٥). فالتجويد إطار عام ومقياس شامل يدخل في كل قراءة توافرت فيها شروط وأركان القراءة الصحيحة التي يقرأ بها ويتبعد بها في الصلاة وخارجها.

المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز. والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[(١)].

ومن خلال هذا التعريف نجد الإمام الزركشي ـ رحمه اللَّه ـ نظر في تعريفه للقراءات إلى الكلمات المختلف فيها دون المتفق عليها، والقراءات تشمل كلا النوعين المتفق عليه والمختلف فيها، مما يجعل التعريف غير جامع.

٢ـ نجد أن الزركشي ـ رحمه اللَّه ـ لم يشر بوضوح إلى اختلاف القراءات من ناحية اللغة والإعراب، وإنما ذكر التخفيف والتثقيل ثم قال: (وغيرهما) مما قد يفهم منه أنه الاختلاف الذي على هذا المنوال كالمدود والتسهيل والحذف، واللَّه أعلم.

٣ـ تعريف الشيخ الزرقاني:

قال رحمه اللَّه: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"[(٢)].

قلت: ولكن ربما يعكر صفو هذا التعريف قول الشيخ: (مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء)، فربما يظن ظان ـ خاصة ممن له هوى في الطعن في القرآن ـ أن هذا النطق أو المذهب الذي يذهب إليه الإمام إنما هو بهواه أو من تلقاء نفسه، وليس بالسند المتصل إلى رسول اللَّه ﷺ.

٢ـ الشيخ الزرقاني ـ رحمه اللَّه ـ ذكر في تعريفه أوجه الاختلاف ولم يذكر أوجه الاتفاق.

٣ـ أشار الشيخ إلى أن المخالفة مخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها، وعلم القراءات أعم من ذلك فيدخل فيه الاختلاف في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات،

(١) يراجع البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٣١٨). النوع الثاني والعشرون: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص، أو تغيير حركة، أو إثبات لفظ بدل آخر.

(٢) يراجع مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ٤١٢).

وغير ذلك.

٤ـ مما يؤخذ على هذا التعريف طوله، والتعاريف يطلب فيها الاختصار.

٤ـ تعريف إمام الحفاظ وشيخ القراء ابن الجزري:

وهو أضبط هذه التعاريف وأحسنها وأجمعها وأشهرها. قال الإمام: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة[١].

٥ـ تعريف البنا الدمياطي:

قال: "هو علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب اللَّه تعالى واختلافُهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع"[٢]. وهو قريب من تعريف الإمام ابن الجزري إلا أنه زاده تفصيلا.

٦ـ تعريف الشيخ عبد الفتاح القاضي:

"هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا، مع عزو كل وجه لناقله"[٣].

فالناظر في تعريف أئمة القراءة لعلم القراءات يجد أن هذا العلم يجمع أمورا ثلاثة:

١ـ التوقيف والنقل بالسند المتصل إلى رسول اللَّه ﷺ.

٢ـ كيفية النطق بألفاظ القرآن.

٣ـ الاتفاق والاختلاف، ومظاهر هذا الاختلاف من مد وغن، وتسهيل وإبدال، وإثبات وحذف، وغير ذلك.

لذلك يمكن أن يقال في تعريف علم القراءات: **"هو علم يعرف به كيفية النطق بألفاظ القرآن اتفاقا واختلافا على الوجه الذي نطق به النبي ﷺ"**.

---

(١) يراجع منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ص (٩).

(٢) يراجع إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي ص (٦).

(٣) يراجع البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة للشيخ عبد الفتاح القاضي ص (٧).

المطلب الثاني: أقسام القراءات

تنقسم القراءات إلى ثلاثة أقسام:

١ـ قراءات متواترة. ٢ـ قراءات آحادية. ٣ـ قراءات شاذة.

- **والقراءة المتواترة:** ما نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه[١].

قال ابن الجزري: التواتر: "ما وراه جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم من غير تعيين عدد"، هذا هو الصحيح، وقيل بالتعيين، واختلفوا فيه فقيل: ستة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون"[٢]. والتواتر شرط أساسي عند الجمهور لقبول القراءة، ولا يرون الاكتفاء بصحة السند. وقد رأى جماعة الاكتفاء بصحة السند منهم ابن الجزري رحمه اللَّه، فقد قال رحمه اللَّه: "وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم، وقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده". وقال في طيبته:

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ للرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي

وَصَحَّ إسْناداً هُوَ الْقُرآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ الأَرْكَـــانُ

وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَةِ[٣]

وقد اعترض النويري على الإمام ابن الجزري في ذلك فقال: "وقوله: (وصح إسنادا) ظاهره أن القرآن يُكتفَى فى ثبوته مع الشرطين المتقدمين بصحة السند فقط، ولا يحتاج إلى تواتر، وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدّثين وغيرهم"[٤].

(١) يراجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٢٦٤).

(٢) يراجع منجد المقرئين ص (١٨).

(٣) يراجع النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ١٣)، وطيبة النشر له ص (٣٢).

(٤) يراجع شرح طيبة النشر للنويري (١/ ١١٧).

والقراءات العشر من هذا النوع خلافا لمن زعم أن القراءات الثلاثة المتممة للعشرة مختلف فيها، أو أنها آحادية غير متواترة[1].

قال ابن الجزري: "فالذي وصل إلينا اليوم متواترا وصحيحا مقطوعا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء، وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز"[2].

- **حكم هذا القسم**: القبول، والقراءة بها على وجه التعبد في الصلاة وخارجها، ولا يحل لأحد أن ينكر شيئا منها.

قال الإمام القرطبي: "وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما رووه من القراءات، وكتبوا في ذلك مصنفات، فاستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد اللَّه به من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون"[3].

وقد استفتى ابنُ الجزري تاجَ الدين السبكي فقال: "ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في القراءات العشر التي يُقرأ بها اليوم؟ وهل هي متواترة أم غير متواترة؟ وهل كل ما انفرد به واحد من العشرة بحرف من الحروف متواتر أم لا؟ وإذا كانت متواترة فما يجب على من جحدها أو حرفا منها؟ فأجابني: الحمد للَّه، القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول اللَّه ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل، وليس

(١) ممن قال بأن القراءات الثلاثة آحادية جلال الدين البلقيني حيث قال: "القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ، فالمتواتر: القراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التي هي تمام العشر، ويلحق بها قراءة الصحابة، والشاذ: قراءات التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم. يراجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٢٥٨).

(٢) يراجع منجد المقرئين ص (٢٤).

(٣) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤٦، ٤٧).

تواتر شيء منها مقصورا على من قرأ بالروايات، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدا رسول اللَّه، ولو كان مع ذلك عاميا جلفا لا يحفظ من القرآن حرفا، ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا يسع هذه الورقةَ شرحُه، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين للَّه تعالى، ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا يتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه، واللَّه أعلم[(١)].

- **القسم الثاني: القراءة الآحادية:** "فهي القراءة التي صح سندها، ولم تبلغ درجة التواتر، وصح وجهها في العربية، وخالف لفظها خط المصحف"[(٢)].
- **مثاله:** قراءة عبد اللَّه بن مسعود وأبي الدرداء: "والذكر والأنثى" في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾[(٣)]، وكقراءة ابن عباس: "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وأما الغلام فكان كافرا"[(٤)].
- **حكم هذا القسم:** أنه مقبول من ناحية العمل والاستدلال به في التفسير والأحكام الشرعية واللغة وغيرها، لكنه لا يقرأ به، قال ابن الجزري عن هذا النوع:

(١) يراجع النشر في القراءات العشر (١/ ٤٥، ٤٦).

(٢) يراجع النشر في القراءات العشر (١/ ١٤).

(٣) سورة الليل: (٣). قلت: فهذه القراءة صحيحة سندا، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري أن علقمة قال: دخلت في نفر من أصحاب عبد اللَّه (قلت: يعني ابن مسعود) الشأم فسمع بنا أبو الدرداء، فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم، قال: فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إليَّ، فقال: اقرأ، فقرأت: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[الليل: ١، ٢]، والذكر والأنثى، قال: أنت سمعتها من فيِّ صاحبك؟ قلت: نعم، قال: "وأنا سمعتها من فيِّ النبي ﷺ، وهؤلاء يأبون علينا. صحيح البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾، ح رقم (٤٩٤٣)، (٦/ ١٧٠)، وصحيح مسلم، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: ما يتعلق بالقراءات، ح رقم (٨٢٤)، (١/ ٥٦٦).

(٤) قلت: وهي قراءة صحيحة سندا، فقد رواها البخاري ومسلم في الحديث الطويل في قصة موسى والخضر، واللفظ للبخاري، وفي آخره: قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: "وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا"، وكان يقرأ: "وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين". صحيح البخاري، ك: التفسير، ب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ الكهف: (٦٠)، ح رقم (٤٧٢٥)، وصحيح مسلم، ك: الفضائل، ب: من فضائل الخضر، ح رقم (٢٣٨٠)، (٤/ ١٨٤٧).

"فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين: إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع، إنما أخذ بأخبار الآحاد، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد، والعلة الثانية: أنه مخالف لما قد أُجمع عليه فلا يقطع على صحته، وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به، ولا يكفر من جحده، ولبئس ما صنع إذا جحده"[1].

قال ابن الجزري في حكم قراءتها: "فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة؛ لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحا فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة، ولا في غيرها"[2].

قلت: فالإمام ابن الجزري يرى أن القراءة الآحادية تسمى باسم آخر وهو: (القراءة الشاذة)؛ لأنها شذت وخالفت رسم المصحف الذي عليه الإجماع، وعلى هذا فهي تسمى باسمين:

١ـ قراءة الآحاد. ٢ـ قراءة شاذة. أو أن لها اسما ولقبا، فالاسم (قراءة الآحاد)، واللقب (قراءة شاذة). وسميت بقراءة الآحاد؛ لأن دليلها خبر الآحاد، وليس الإجماع والتواتر، وسميت أو لقبت بالشاذة؛ لأنها شذت وخالفت رسم المصحف.

ويترتب على رأي الإمام ابن الجزري ذلك أن القراءات نوعان: ١ـ القراءات المتواترة. ٢ـ القراءات الآحادية أو الشاذة، ولا ثالث لهما على الصحيح.

ويعترض على هذا بأن تعريف القراءة الآحادية المتقدم غير جامع لحصره هذا النوع في القراءة التي صح سندها، وصح وجهها في العربية والنحو، ولكن لم تبلغ درجة التواتر، وخالفت رسم المصحف. إذن ما الذي يندرج تحته النوعان الآتيان، وهما: ١ـ ما نقله غير الثقة؟.

٢ـ ما نقله الثقة ولا وجه له في العربية؟. مما يجعل التعريف غير جامع.

وقال أبو عبيد في حكم الاحتجاج بها: "فأما ما جاء من هذه الحروف التي لم يؤخذ

(١) يراجع النشر في القراءات العشر (١/ ١٤).

(٢) يراجع منجد المقرئين ص (١٩).

علمها إلا بالإسناد والروايات التي يعرفها الخاصة من العلماء دون عوام الناس، فإنما أراد أهل العلم منها أن يستشهدوا بها على تأويل ما بين اللوحين، وتكون دلائلَ على معرفة معانيه وعلمِ وجوهه، وذلك كقراءة حفصة وعائشة: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى (صلاة العصر)"، وكقراءة ابن مسعود: "والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم"، ومثل قراءة أبي بن كعب: "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فإن فاءوا فيهن..."، وكقراءة سعد: "فإن كان له أخ أو أخت (من أمه)"، وكما قرأ ابن عباس: "لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم (في مواسم الحج)"، وكذلك قراءة جابر: "فإن اللَّه من بعد إكراههن (لهن) غفور رحيم". فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت مفسرة للقرآن"[١].

- **القسم الثالث**: القراءة الشاذة وهي: "ما نقلها غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه لها في العربية".

- **مثال ما نقله غير ثقة**: كثير مما في كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف كقراءة ابن السميفع[٢] في قوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾[٣] فقد قرأها: "ننحيك" بالحاء المهملة، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[٤] بفتح سكون اللام، وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة فإنها لا أصل لها، وهي موضوعة ومنسوبة إلى أبي حنيفة رحمة اللَّه عليه.

قال الإمام ابن الجزري: ومما جاء فيها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾[٥]

---

(١) يراجع فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص (٣٢٥).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن السَّميفع - بفتح السين - أبو عبد اللَّه اليماني، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه، وفي الجملة فقراءته ضعيفة وسندها فيه نظر، وإن صح فهي قراءة شاذة لخروجها عن المشهور، توفي سنة ٩٠هـ. يراجع غاية النهاية لابن الجزري (٢/ ١٦١)، وميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٥٧٥).

(٣) سورة يونس: (٩٢).

(٤) سورة يونس: (٩٢).

(٥) سورة فاطر: (٢٨).

برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين، ونسبها إليه وتكلف توجيهها، وإن أبا حنيفة لبريء منها.

- **ما نقله ثقة ولا وجه له في العربية**: وهذا لا يكاد يصدر إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون وهو قليل جدا، بل لا يكاد يوجد. ومن ذلك ما رواه ابن بكار[1] بسنده إلى ابن عامر من فتح ياء ﴿أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ﴾[2] مع إثبات الهمزة.
- **حكم هذا القسم**: عدم القبول، فهو لا يقبل قراءة ولا عملا ولا استدلالا، واللَّه أعلم[3].
- هناك نوع يدخل في هذا القسم الثالث، وهو ما وافق العربية والرسم، لكنه لم ينقل له سند، لا صحيح ولا ضعيف.

وقد قال فيه ابن الجزري: "فهذا رده أحق، ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر"[4].

وهذا النوع يطلق عليه قرءاة تجوزا، وإلا فإنه كذب لا تحل قراءته، ولا تفسير القرآن به، ولا الاستدلال به في الأحكام الشرعية؛ لأنه كذبٌ على اللَّه رب العالمين، والذي عليه أهل العلم منذ عصر ابن الجزري أن القراءات العشر هي المتواترة الصحيحة المقروء بها، وما عداها يعد شاذا، واللَّه أعلم.

(١) عبد الحميد بن بكار الدمشقي، نزيل بيروت، أخذ القراءة عن أيوب بن تميم القارئ، وقد انفرد عن أيوب عن يحيى عن ابن عامر بفتح الواو من ﴿عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[النور: ٣١] لم يروه عنه غيره. يراجع الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٤/ ٤٧)، وغاية النهاية (١/ ٣٦٠).

(٢) سورة الأنبياء: (١٠٩).

(٣) يراجع النشر بتصرف كبير (١/ ١٦-١٧).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٧).

المطلب الثالث: النسبة بين القرآن والقراءات

سؤال يطرح نفسه، ما الفرق بين القرآن والقراءات؟ وهل هما حقيقتان متوافقتان أم متغايرتان؟

وللعلماء في الجواب عن هذه المسألة قولان مشهوران:

القول الأول: التفرقة بين القرآن والقراءات، وهذا مذهب مكي بن أبي طالب، والزركشي، على خلاف بينهما في وجه التفريق.

القول الثاني: عدم التفريق بين القرآن والقراءات.

فأما أصحاب القول الأول: فقد اختلفت وجهة نظرهتهم في الفرق بين القرآن والقراءات.

١ـ فذهب مكي بن أبي طالب إلى التفرقة بين القرآن والقراءات على أساس الشروط الآتية:

أ ـ النقل عن الثقات إلى النبي ﷺ.

ب ـ شيوعه في العربية.

ج ـ موافقته لرسم المصحف.

فما توافرت فيه هذه الشروط فهو قراءة يقرأ بها (يعني أنها قرآن)، وما لم تتوافر فيه هذه الشروط بأن اختل شرط منها فهو قراءة ولا يقرأ بها[(١)].

ووافق السخاويُّ مكيا على ذلك، بل قال: "وهو المختار عند أكثرهم"[(٢)]. وأيده في ذلك الإمام ابن الجزري وقال: "هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم

(١) يراجع الإبانة عن معاني القراءات لمكي ص (٥١ـ٥٢)، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام ص (٨٤).

(٢) يراجع جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ص (٥٢٢).

عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه"[1].

٢ـ ذهب الزركشي إلى التفريق بين القرآن والقراءات بوجه آخر غير الذي ذهب إليه مكي ومن تبعه، فقال: "اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز. والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما".

وذكر السيوطيُّ تعريف الزركشي ولم يعقب عليه، وتبعهما على ذلك شهاب الدين البنا الدمياطي رحمهم اللَّه تعالى[2].

ويلاحظ على هذا التفريق الذي ذكره الإمام الزركشي أنه لم يبين المراد من القراءات، هل هي المتواترة أم الشاذة؟، بخلاف قول مكي فإنه قد صرح بذلك.

وأما أصحاب القول الثاني الذين لم يفرقوا بين القرآن والقراءة، فكل قراءة عندهم قرآن، وهذا لم يصرح به أحد، غير أن ابن الجزري ذكر كلاما عن ابن دقيق العيد نقله عنه أبو حيان أنه ينكر على من يحرم القراءة بالشاذ، فقال أبو حيان: "وعلى ما ذكره هؤلاء من المتأخرين من تحريم القراءة الشاذة يكون عالَم من الصحابة والناس من بعدهم إلى زماننا قد ارتكبوا محرما، فيسقط بذلك الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائما، وهم نقلة الشريعة فيسقط ما نقلوه، فيفسد على قول هؤلاء نظام الإسلام والعياذ باللَّه تعالى من ذلك، قال: ويلزم أيضا أن الذي قرءوا بالشواذ لم يصلوا قط؛ لأن الواجب لا يتأدى بفعل المحرم، قال: وقد كان قاضي القضاة أبو الفتح محمد بن علي يعني ابن دقيق العيد يستشكل هذه المسألة، ويستصعب الكلام فيها، وكان يقول: هذه الشواذ نقلت

(١) يراجع النشر (١/ ٩).

(٢) يراجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٢٧٣)، النوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون: معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج، ويراجع البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٣١٨)، النوع الثاني والعشرون (القراءات) معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص (٧).

نقل آحاد عن رسول اللَّه ﷺ فيعلم ضرورة أن رسول اللَّه ﷺ قرأ بشاذ منها وإن لم يعيَّن، وإذا كان كذلك فقد تواترت قراءة رسول اللَّه ﷺ بالشاذ وإن لم يتعين بالشخص، فكيف يسمَّى شاذًا، والشاذ لا يكون متواترًا؟[١].

ويلاحظ على هذا القول أمور:

١ـ نوافق الإمام ابن دقيق العيد على أن النبي ﷺ قد قرأ ببعض هذه القراءات التي اصطلح عليها العلماء بأنها قراءات شاذة، لكننا لا نستطيع القطع بأفراد هذه القراءات؛ لأن الصحابة في زمن عثمان بن عفان لم يجمعوا على هذه القراءات، لذلك فقد توقف العلماء في القطع بقرآنيتها؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، لكن يستفاد بها في التفسير واللغة.

٢ـ قال الإمام ابن الجزري: "فالذي وصل إلينا اليوم متواترا وصحيحا مقطوعا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء، وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز، وأما بلاد المغرب والأندلس، فلا ندري ما حالها اليوم لكن بلغنا عنهم أنهم يقرءوون بالسبع من طرق الرواة الأربعة عشر فقط، وربما يقرؤون ليعقوب الحضرمي، فلو رحل إليهم أحد من بلادنا لأسدى إليهم معروفا عظيما. فثبت من ذلك أن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة في نفس الأمر فإنها مما كان أذن في قراءته، ولم يتحقق إنزاله، وأن الناس كانوا مخيرين فيها في الصدر الأول، ثم أجمعت الأمة على تركها للمصلحة، وليس في ذلك خطر ولا إشكال؛ لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على خطأ"[٢].

هذا، وبعد عرض الأقوال في هذه المسألة نقول: العلاقة بين القرآن والقراءات لابد وأن يفرق فيها بين القراءات المقبولة والمردودة قراءة.

فأما القراءات المقبولة قراءة، وهي القراءات العشر المتواترة، فالعلاقة بينها وبين

(١) يراجع النشر (١/ ١٥)، ومنجد المقرئين ص (٢٢).

(٢) يراجع منجد المقرئين ص (٢٤).

القرآن علاقة توافق واتحاد، فكل قرآن قراءة، وكل قراءة متواترة قرآن، أو يقال: العلاقة بينهما التواطؤ، فكل ما يصدق عليه القرآن يصدق عليه أنه قراءة متواترة، وكل ما يصدق عليه أنه قراءة متواترة يصدق عليه أنه قرآن، وذلك أن القراءات العشر المتواترة نزل بها الوحي على النبي ﷺ، والرسول ﷺ قد قرأ بها، فالقرآن والقراءات يختلفان في المفهوم والمعنى، لكنهما يتحدان في الماصدق، فكل من القرآن والقراءات المتواترة ما صدقهما واحد، وهو اللفظ المنزل على النبي ﷺ بكيفياته المتواترة للتعبد بالتلاوة والتحدي والإعجاز.

وأما القراءات المردودة قراءة، وهي التي اختل فيها شرط من شروط القراءة الصحيحة، وهي التي يطلق عليها العلماء "القراءات الشاذة" فإن العلاقة بينها وبين القرآن علاقة تغاير، فما ثبت بطريق الآحاد ليس من القرآن، والشاذ أيضا ليس من القرآن، واللَّه أعلم.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام أبي جعفر المدني

وعد اللَّه سبحانه وتعالى بحفظ القرآن فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[١]، وهذه خصوصية له دون سائر الكتب، وهي أشرف خصوصية لأمة النبي محمد ﷺ، فقام أئمة ثقات بضبط هذا الكتاب ونقله بأمانة وإتقان، كما أخذوه عن شيوخهم من التابعين عن الصحابة عن النبي الأمين. قال الإمام ابن الجزري:

قام بها أئمـــــة القـــــرآن ومحرزو التحقيق والإتقـان
ومنهم عشر شمـــوس ظهرا ضياؤهم وفي الأنام انتشـرا
حتى استمد نور كل بـــدر منهم وعنهم كل نجم درِي[٢]

وقد جمع بعضهم أسماء الأئمة السبعة في بيتين فقال:

ألا إن قرّاء الأئمـة سبعـــة بهم يهتدي في الذكر كلّ كبير
عليّ أبو عمرو وحمزةُ عاصمٌ ونافعُ عبـدُ اللَّه وابن كثير[٣]

فلنا في هذه العجالة وقفة مع أحد هؤلاء السادة الأئمة الأعلام، ألا وهو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني.

المطلب الأول: نسبه ونشأته

أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ، مولى عبد اللَّه بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي عتاقة، ويعرف بأبي جعفر المدني . كان عابدا صواما قواما مجودا لكتاب اللَّه، وله قراءة محفوظة، وهو أحد العشرة الأعلام[٤].

أقرأ الناس دهرا طويلا. قال سليمان بن مسلم: أخبرني أبو جعفر يزيد بن القعقاع

(١) سورة الحجر: (٩).
(٢) يراجع طيبة النشر ص (٣).
(٣) يراجع معجم الأدباء (٤/ ١٥٤٤).
(٤) يراجع تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٥٦٦).

أنه كان يقرئ في مسجد رسول اللَّه ﷺ قَبْل الحرة[1]، وكانت الحرة على رأس ثلاث وستين سنة من مقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة. كان يمسك المصحف على مولاه عبد اللَّه بن عياش، وكان من أقرأ الناس. وكنت أرى كل يومٍ ما يقرأ وأخذت عنه قراءته، وأخبرني أنه أُتي به إلى أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ وهو صغير، فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة[2].

قال سبط الخياط: وروى ابن جماز عنه: أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما، وهو صوم داود عليه السلام،[3] واستمر على ذلك مدة من الزمان، فقال له بعض أصحابه في ذلك، فقال: إنما فعلت ذلك أروّض به نفسي لعبادة اللَّه تعالى، وقيل: كان يصلي في جوف الليل أربع تسليمات، يقرأ في كل ركعة بالفاتحة وسورة من طوال المفصل، ويدعو عقيبها لنفسه والمسلمين ولكل من قرأ عليه وقرأ بقراءته بعده وقبله[4].

(١) الحرة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود، فمتى كانت بهذه الصفة قيل لها حرة، والحرار كثيرة، والمراد بهذه الحرة حرة واقم، بالقاف المكسورة، وهي بالقرب من المدينة في جهتها. كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في مدة ولايته قد سير إلى المدينة جيشاً مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها، وخرج أهلها إلى هذه الحرة، فكانت الواقعة بها، وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ، حتى قيل إنه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة، ممن ليس لهن أزواج، بسبب ما جرى فيها من الفجور. يراجع وفيات الأعيان لابن خلكان (٦/ ٢٧٦).

(٢) يراجع وفيات الأعيان (٦/ ٢٧٥).

(٣) روى البخاري في صحيحه بسنده عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ قال له: "أحب الصلاة إلى اللَّه صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى اللَّه صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما، ويفطر يوما". وفي لفظ مسلم أن عبد اللَّه قال للنبي ﷺ: "فإني أطيق أفضل من ذلك، يا رسول اللَّه، قال: "صم يوما وأفطر يوما، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام". صحيح البخاري، ك: الجمعة، ب: من نام عند السحر، ح رقم (١١٣١). وصحيح مسلم، ك: الصيام، ب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، ح رقم (١١٥٩).

(٤) يراجع غاية النهاية (٢/ ٣٨٣).

المطلب الثاني: من أخذ عنهم

تلا أبو جعفر على مولاه: عبد اللَّه بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي.

وقرأ على: أبي هريرة، وأخذ القراءة عرضا على ابن عباس، وقد صلى بابن عمر.

وهو نزر الرواية، لكنه في الإقراء إمام.

روى عن: جابر بن عبد اللَّه، وزيد بن أسلم وهو من أقرانه، وعبد اللَّه بن عباس، وعبد اللَّه بن عمر بن الخطاب، ومولاه عبد اللَّه بن عياش بن أبي ربيعة، وأبي هريرة[١].

المطلب الثالث: من أخذوا عنه

وروى القراءة عنه عرضاً نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وسليمان بن مسلم بن جماز، وعيسى بن وردان الحذاء، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وروى عنه: إسماعيل بن جعفر، وعبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد القرظ، وعبد السلام بن حفص المدني، وعبد العزيز بن أبي حازم، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي، وعبيد اللَّه بن عمر العمري، ومالك بن أنس الإمام، ومحمد بن عبد الرحمن القرشي، ونجيح أبو معشر السندي[٢].

وأما راوياه اللذان أخذا عنه واشتهرت القراءة عنهما فهما:

أـ ابن وردان

عيسى بن وردان الحذاء، أبو الحارث المدني القارئ. إمام مقرئ حاذق، وراوٍ محقق ضابط[٣]. توفي في حدود سنة ١٦٠ هـ[٤].

ب ـ ابن جماز

سليمان بن مسلم بن جماز بالجيم والزاي مع تشديد الميم، أبو الربيع الزهري

(١) يراجع وفيات الأعيان (٦/ ٢٧٤)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٨٧).

(٢) يراجع تهذيب الكمال للحافظ المزي (٣٣/ ٢٠٠)، وطبقات القراء للذهبي (١/ ٤٩).

(٣) يراجع معرفة القراء الكبار للذهبي ص (٦٦)، وغاية النهاية (١/ ٦١٦).

(٤) يراجع غاية النهاية (١/ ٦١٦).

المدني مقرئ جليل ضابط[١].

توفي بعد ١٧٠ هـ[٢].

قال الإمام ابن الجزري في الطيبة:

ثم أبو جعفر الحبر الرِّضَى فعنه عيسى وابن جماز مضى[٣]

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه

تجرد الإمام أبو جعفر للقراءة، واعتنى بضبطها عناية كبيرة حتى صار إمام زمانه في القراءة، يقتدى به ويرحل إليه ويؤخذ عنه.

قال مالك بن أنس: كان أبو جعفر القارئ رجلاً صالحاً يفتي الناس بالمدينة[٤].

قال محمد بن سعد: كان ثقة، قليل الحديث، وكان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارئ بذلك، وتوفي في خلافة مروان بن محمد[٥].

وكان صالحا عابدا جوادا. قال مالك بن أنس: كان أبو جعفر القارئ إذا مر به سائل وهو يصلي بالليل دعاه فيستتر منه ثم يلقي إليه إزاره[٦].

قال سليمان بن مسلم: رأيت أبا جعفر بعد موته في المنام وهو على الكعبة فقلت له: أبا جعفر. قال: نعم أقرئ إخواني عني السلام، وأخبرهم أن اللَّه تعالى جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرئ أبا حازم السلام وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس، فإن اللَّه ﷻ وملائكته يتراءون مجلسك بالعشيات[٧].

---

(١) يراجع غاية النهاية (١/ ٣١٥)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٦٨).

(٢) يراجع غاية النهاية (١/ ٣١٥).

(٣) يراجع طيبة النشر ص (٣٣).

(٤) يراجع وفيات الأعيان (٦/ ٢٧٥).

(٥) يراجع الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٢٦).

(٦) يراجع معرفة القراء الكبار ص (٤١).

(٧) يراجع تاريخ دمشق (٦٥/ ٣٦١)، وطبقات القراء (١/ ٥١، ٥٢).

المطلب الخامس: وفاته

قال نافع: لما غسل أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارئ بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك أحد ممن حضره أنه نور القرآن[١].

اختلف في تاريخ وفاته، فقيل: ١٢٧، وقيل: ١٢٨، ١٣١، وقيل: ١٣٢هـ. قال ابن جماز: ولم يزل أبو جعفر إمام الناس في القراءة إلى أن توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة بالمدينة، عن نيف وتسعين سنة[٢].

***

(١) يراجع وفيات الأعيان (٦/ ٢٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٨٨).

(٢) يراجع مشاهير علماء الأمصار ص (١٢٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٢٧٥)، وطبقات القراء (١/ ٥٣).

الفصل الأول:

ما انفرد به الإمام أبو جعفر من فاتحة القرآن إلى آخر سورة الإسراء

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾[البقرة: ١].

انفرد الإمام أبو جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالسكت[(١)] على كل حرف من حروف الهجاء[(٢)]،

(١) السكت في اللغة: المنع، وفي الاصطلاح: قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف من غير تنفس بنية العود إلى القراءة في الحال، ويكون في وسط الكلمة وفي آخرها، وعند الوصل بين السورتين لمن له ذلك من القراء. يراجع النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٢٤٠)، وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري للشيخ عبد الفتاح المرصفي (١/ ٤٠٧).

(٢) إطلاق الحرفية على الألفاظ التي يتهجى بها في فواتح السور فيه نوع مسامحة، فإنهم يستعملون الحرف في معنى الكلمة، وإلا فإن هذه الألفاظ كـ (طه)، و (يس)، و (الم) أسماء لدخولها في حد الاسم، ولأنه يعتريها ما يعتري الأسماء، وبذلك صرح أئمة اللغة. قال الإمام الزمخشري: اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء، مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم، فقولك: ضاد اسم سمى به (ضه) من ضرب إذا تهجيته، وكذلك: را، با: اسمان لقولك: ره، به.

فإن قلت: لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية؟ وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين؟ قلت: قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف، فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح.

والدليل على اسميتها أنها ألفاظ يعتريها ما يعتري الأسماء من الإمالة كقولك: با، تا. والتفخيم كقولك: يا، ها. والتعريف، والتنكير، والجمع والتصغير، والوصف، والإسناد، والإضافة، وجميع ما للأسماء المتصرفة.

يقول الزمخشري: ثم إنى عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك. قال سيبويه: قال الخليل يوما- وسأل أصحابه- : كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في (لك)، والباء التي في (ضرب)؟ فقالوا: نقول: باء، كاف فقال: إنما جئتم بالاسم، ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: كه، به.

قال الإمام البيضاوي: وبه (أي: باسمية هذه الألفاظ) صرح الخليل وأبو علي. وأجاب الإمام البيضاوي عن اعتراض من يعترض على اسميتها بحديث النبي ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف". والجواب عن هذا الاعتراض أن المراد بالحرف في الحديث غير المعنى الذي اصطلح عليه، فإن تخصيصه به عرف مجدَّد بل المراد المعنى اللغوي. يراجع الكشاف (١/ ١٩، ٢٠)، وأنوار التنزيل (١/ ٣٣)، والحديث المذكور في سنن الترمذي، ك: فضائل القرآن، ب: ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن =

نحو: ألف، لام، را، حا، ميم، طا، كاف، وغير ذلك ـ سكتة لطيفة من غير تنفس[١].

معنى القراءة:

السكت على هذه الألفاظ لبيان أن كل حرف منها منفصل عن الآخر غير متصل به، وإن اتصلت رسما. قال أبو البقاء: "من يفصل بين كل حرفين بوُقَيْفَة يسيرة فلأجل أن يبين أن بناء هذه الحروف على السكون، وأن كلا منها غير متعلق بالآخر، فأجراه مجرى ما يوقف عليه بالكلية لتمام الكلام عليه، كقولك: هذا زيد"[٢].

فهي حروف سكن آخرها على نية الوقف عليه، فسرد سرد أسماء الأعداد فيقال: ثلاثة أربعة خمسة. قال الفخر الرازي: "حكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة الأعجاز كأسماء الأعداد فيقال: ألفْ لامْ ميمْ، كما تقول: واحدْ اثنانْ ثلاثةْ، فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب، كقولك: هذه ألفٌ وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف"[٣].

فائدة قراءة أبي جعفر:

السكت على هذه الفواتح يشير إلى أن هذه الفواتح مفصولة معنى وأن اتصالها في الرسم فقط، وأنها ذكرت تبكيتا للمعاند وإيقاظا للمتعامي، وتحديا للمعارض ولبيان أن هذا القرآن منتظم من جنس ما ينظمون منه كلامهم، فلو كان هذا الكلام بزعمهم من عند غير اللَّه لما عجزوا عن آخرهم عن أن يأتوا بحديث مثله، فلما شمل العجز جميعهم دل ذلك على أنه ليس بكلام بشر وإنما هو كلام مالك القوى والقدر.

الموضع الثاني: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]. انفرد الإمام أبو جعفر بضم التاء من "للملائكة"

= ما له من الأجر، ح رقم (٣١٥٨)، من حديث ابن مسعود، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(١) يراجع النشر (١/ ٤٢٤)، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص (١٦).

(٢) يراجع إعراب القراءات الشواذ (١/ ١٠٥).

(٣) يراجع مفاتيح الغيب (٢/ ٢٤٩).

وصلا حيثما وردت في القرآن، وقرأ الباقون بكسرها[1].

وقد وردت في خمسة مواضع من كتاب اللَّه، الموضع الأول هنا في سورة البقرة.

الثاني: في سورة الأعراف [الآية: ١١].

الثالث: سورة الإسراء [الآية ٦١].

الرابع: سورة الكهف [الآية: ٥٠].

الخامس: سورة طه [الآية: ١١٦].

معنى القراءة وتوجيهها:

وجه العلماء قراءة أبي جعفر بضم التاء بثلاثة توجيهات:

١ـ قال أبو البقاء: قدَّر الوقف على التاء، فلما لقيتها همزة الوصل حذفت، وجعلت التاء تبعا لضمة الجيم، والسين بينهما ساكنة، وهي حاجز غير حصين[2]. أي: لما قدر الوقف على التاء ساكنة وبعدها همزة الوصل وهي محذوفة وصلا، فتحركت التاء بحركة الجيم إجراء للوصل مجرى الوقف، واستثقالا للانتقال من الكسر إلى الضم.

٢ـ على نقل حركة الهمزة إلى التاء، ويؤيد هذا التوجيه ما حكي عن امرأة من العرب أنها رأت بناتها يحدثن رجلا فقالت: ما هذا؟ أفي السَّوَتَنْتُنَّه؟ أردات: أفي السوءَةِ أَنْتُنَّه؟ فحذفت الهمزة من (السوءة) تخفيفا، وألقت حركتها على الواو فانفتحت الواو، وألقت حركة الهمزة في (أنتنه) على كسرة التاء من (السوءة) فانفتحت، وحذفت همزة (أنتنه) فصارت: أفي السوتنتنه؟. وفي قراءة أبي جعفر لما وقف على كلمة "للملائكة" ثم أتى بهمزة الوصل فحركها بحركتها[3]. أي: حرك التاء في "للملائكة" بحركة همزة الوصل، وهمزة الوصل هنا مضمومة لضم ثالث الفعل، قال الإمام ابن الجزري:

(١) يراجع النشر (٢/ ٢١٠)، والبدور الزاهرة ص (٣٠).

(٢) يراجع إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء (١/ ١٤٧).

(٣) يراجع المحتسب (١/ ٧٢)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ١٤٧ـ١٤٨).

وابدأ بهمز الوصل من فعل بضم إن كان ثالث من الفعل يضم[١]

٣ـ أن تكون التاء مكسورة على أصلها، ثم أشمت صوت الضمة إشارة وتنبيها على أن الهمزة المحذوفة مضمومة في الابتداء[٢].

طعن بعض العلماء على هذه القراءة:

من العلماء من طعن على القراءة بضم التاء وحكم عليها باللحن، وأن من قرأ بها لم يكن مصيبا كالزجاج وأبي جعفر النحاس وأبي علي الفارسي، وأبي الفتح ابن جني، بل قرر بعضهم أنها قراءة ضعيفة جدا، وأن أحسن ما تحمل عليه أن ينسب الراوي لها إلى عدم الضبط، كذا قال أبو البقاء العكبري[٣].

سبب التضعيف للقراءة:

وأما سبب تضعيفهم للقراءة فذلك لأن كلمة (الملائكة) في موضع خفض باللام، فالتاء إذن مكسورة.

فإن قيل لهم: إن ضمة التاء هي ضمة نقلت من همزة الوصل بعد سقوطها إلى التاء.

قالوا: هذا يجوز إذا كان ما قبل الهمزة ساكن صحيح، نحو قوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ﴾[٤]، وادخلُ ادخل، فضم لالتقاء الساكنين لتخرج من ضمة إلى ضمة، أما ما قبل همزته متحرك ـ ولا سيما حركة إعراب ـ فلا وجه لأن تحذف حركته ويحرك بالضم، ألا

(١) يراجع المقدمة الجزرية ص (٢٢).

(٢) يراجع إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبي البقاء (١/ ٣٠).

(٣) يراجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١١٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١/ ٤٥)، والحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي (١/ ٦٥)، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (١/ ٧١)، والتبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء (١/ ٥١).

(٤) جزء من الآية: (٣١) من سورة يوسف، قرأ البصريان وعاصم وحمزة بكسر التاء وصلا، والباقون بضمها. يراجع البدور الزاهرة ص (١٦٣). والتمثيل بضم التاء في قراءة: "وقالت اخرج" ليس بصحيح؛ لأنها حركة التقاء الساكنين، والتي في قراءة أبي جعفر حركة إعراب فلا يتلاعب بها. يراجع الدر المصون (١/ ٢٧٢).

تراك لا تقول: قل للرجل ادخل، ولا: قل للمرأة ادخلي. وعلل الزمخشري لذلك بقوله: "لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة، كقولهم: (الحمدِ للَّه)[1].

الرد على استشكال من طعن في هذه القراءة:

١ـ الأصل العام الذي يدرء به كل طعن، ويجاب به عن كل إشكال في القراءة، أن القراءة متى ما تواترت وثبتت نسبتها للنبي ﷺ فإنها حينئذ تصير حجة في اللغة، يحتج بها لا لها، وتصير متبوعة لا تابعة، وتصبح أقوى من كل شاهد من الشواهد العربية؛ إذ إنها مروية عن أفصح العرب وتناقلها الصحابة والتابعون وتلقوها بالقبول، وهم أحرص الناس على ألا يُمّسّ القرآن بتحريف في لفظه أو معناه.

٢ـ أنها لغة من لغات العرب، كما قال الإمام أبو حيان: أنها لغة أزدشنوءة، ودافع الإمام عنها دفاعا قويا مبينا خطأ من خطأ الإمام أبا جعفر في هذه القراءة قائل: "لا ينبغي أن يخطأ القارئ بها ولا يغلط، والقارئ بها أبو جعفر، أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد اللَّه بن عباس وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة"[2]. ولا يشترط أن تأتي القراءة على الأفصح والأقيس وإنما شرطها أن توافق وجها من وجوه اللغة. قال الإمام ابن الجزري: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه. وقولنا في الضابط ولو بوجه: نريد به وجها من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحا مجمعا عليه، أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح؛ إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها. قال أبو عمرو الداني: وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن

(١) يراجع المحتسب (١/ ٧١)، والكشاف للزمخشري (١/ ١٢٧).

(٢) يراجع البحر المحيط (١/ ٢٤٦).

على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها"[(١)].

٣ـ توجه القراءة على أحد التوجيهات السابقة، وإن لم يسلم التوجيه الأول من اعتراض عليه، فإن الثاني والثالث سالمان من الاعتراض عليهما.

الفائدة من قرءاة أبي جعفر بضم التاء:

يتحصل من هذه القراءة أن الضمة هنا جاءت للتخفيف والتيسير، فإذا كانت العرب تستثقل الانتقال من الكسر إلى الضم فإن قراءة الإمام أبي جعفر أزالت هذا الثقل، لتتحقق الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف حين طلب النبي ﷺ من جبريل أن يزيده لأن أمته فيهم العجوز والشيخ الكبير، والذي لم يقرأ كتابا قط، ففي صحيح مسلم من حديث ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ، قال: "أقرأني جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[(٢)]. ويظهر أيضا من القراءة بضم التاء أن فيها إشارة إلى علو قدر الملائكة، فإذا كان السجود في أصله إنكسار وخضوع وتذلل إلا أن الخضوع والتذلل للَّه والإنكسار بين يديه يرفع صاحبه ويعلي قدره لامتثاله لأمر ربه، وهذا الملمح هو ما أشارت إليه قراءة الرفع.

الموضع الثالث: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[البقرة: ٧٨]. انفرد الإمام أبو جعفر بتخفيف الياء من لفظ (الأماني) وبابه حيث وقع في القرآن. مع إسكان الياء المرفوعة والمخفوضة، وكسر الهاء من (تلك أمانيهِم) لكونها بعد ياء ساكنة[(٣)].

(١) يراجع النشر (١/ ١٠)، والإتقان للسيوطي (١/ ٢٥٩)، النوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون: معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج.

(٢) صحيح مسلم، ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ح رقم (٨١٩).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٢١٧)، والبدور الزاهرة ص (٣٥)، والبهجة المرضية شرح الدرة المضية للشيخ علي محمد الضباع ص (٣٠).

قلت: وردت كلمة الأماني وما جاء منها في ستة مواضع من القرآن:

١- ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: ٧٨].

٢- ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ ﴾ [البقرة: ١١١].

٣، ٤- ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣].

٥- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢].

٦- ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [الحديد: ١٤]. وقعت مضمومة في الموضع ٢، ٦، ومفتوحة في الموضع ١، ٥، ومكسورة في الموضع ٣، ٤.

معنى القراءة:

وجه العلماء قراءة أبي جعفر: (أمانيَ) بتخفيف الياء على أنها لغة في الكلمة، فإن (أمنية) تجمع على (أماني) بالتشديد والتخفيف. قال الفراء: "فالأماني على وجهين في العربية، فإن من العرب من يخفف الياء فيقول: "إلا أمانيَ"، ومنهم من يشدد، وهو أجود الوجهين. وكذلك ما كان مثل أمنية، ومثل أضحية، وأغنية، ففي جمعه وجهان: التخفيف والتشديد"[(١)].

فـ (الأماني) جمع أمنية، وهي (أفعولة) كالأعجوبة والأضحوكة والأكذوبة والأغلوطة، أصلها (أُمْنُوية)، اجتمعت ياء وواو وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، وانكسرت النون من أجل الياء فصارت (أمنِيَّة) وجمعها بتشديد الياء على زنة (أفاعيل) نحو: كالأعاجيب والأضاحيك والأكاذيب

(١) يراجع معاني القرآن للفراء (١/ ٤٩).

والأغاليط. وإذا جمعت على (أفاعل) خففت الياء والأصل التشديد؛ لأن الياء الأولى في الجمع هي الواو التي كانت في المفرد التي انقلبت فيه ياء، فوجه قراءة التخفيف جمعه على أفاعل، ولم يعتد بحرف المد الذي في المفرد كما يقال في جمع مفتاح: مفاتيح ومفاتح. وحذف الياء مع الإدغام أسهل من حذفه ولا إدغام معه؛ لأن هذه الياء لما أُدغمت خفيت، فإذا حذفتها فكأنك إنما حذفت شيئًا هو في حال وجوده في حكم المحذوف[(١)].

ثانيا: قال الفخر الرازي: "الأماني" جمع أمنية، ولها معان مشتركة في أصل واحد، أحدها: ما تخيله الإنسان فيقدر في نفسه وقوعه ويحدثها بكونه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، فإن فسرنا الأماني بهذا كان قوله: (إلا أماني) إلا ما هم عليه من أمانيهم في أن اللَّه تعالى لا يؤاخذهم بخطاياهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وما تُمَنِّيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة. وثانيها: (إلا أماني) إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فقبلوها على التقليد. وثالثها: (إلا أماني) أي إلا ما يقرءون"[(٢)].

فائدة قراءة أبي جعفر:

القراءة بتخفيف الياء لغة من لغات العرب، والتخفيف والتشديد ظاهرتان من الظواهر التي تبدو جلية في اللغة العربية، وهذه الآية التي معنا تبين أن هناك طائفة اليهود لا يعلمون عن التوراة إلا أكاذيب اختلقها لهم علماؤهم، وأباطيل تقولوها كذبا وزورا، وتمنوا أن تكون تلك الأغاليط متحققة في نفس الأمر، وقراءة التخفيف فيها إشارة إلى أنهم بأكاذيبهم وافتراءاتهم يريدون طمس الحق وحذفه وإزالته، وتشير أيضا إلى أن هذا الفعل منهم كان سهلا ميسورا لتمرسهم واعتيادهم عليه، فكيف تطمعون ـ أيها

(١) يراجع المحتسب (١/ ٩٤، ٩٥)، والجامع لأحكام القرآن (٢/ ٦)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ١١٢)، والتحرير والتنوير (١/ ٥٧٤).

(٢) يراجع مفاتيح الغيب (٣/ ٥٦٤).

المؤمنون ـ في إيمانهم بعد علمكم بأحوالهم، فعلماؤهم محرفون لكتاب اللَّه على ما تميل إليه أهواؤهم، وعوامهم لا يعلمون عن كتابهم إلا قراءات عارية عن الفهم خالية من التدبر، وأوهام مفتراة من وضع أحبارهم.

وفي الآية: (١١١) من سورة البقرة يخبر ﷻ عن قيل أهل الكتاب وزعمهم أن الجنة خاصة بهم، فقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، فقال ﷻ: "تلك أمانيهم"، وقراءة التخفيف بحذف الياء في هذه الكلمة فيها بيان أن دعواهم أن الجنة لهم دون غيرهم دعوى باطلة لا أساس لها ولا وجود، وأنها دعوى بدون حق أو برهان، إنما هي أماني وأباطيل خدعهم بها الشيطان، وقراءة التشديد تقيد شدة تمنيهم لهذه الأمنية، وأن قلوبهم قد أشربتها، ونفوسهم قد تعلقت بها أتم التعلق.

قال الإمام الزمخشري: فإن قلت: لم قيل: "تلك أمانيهم"، وقولهم: "لن يدخل الجنة" أمنية واحدة؟

قلت: أشير بها إلى الأمانى المذكورة وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم[(١)]، وأمنيتهم أن يردوهم كفارا[(٢)]، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم: أى تلك الأمانى الباطلة أمانيهم. أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

قال ابن المنير: يبعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[البقرة: ١١١ - ١١٢]، فإن البرهان المطلوب منهم

(١) في قوله تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[البقرة: ١٠٥].

(٢) في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[البقرة: ١٠٩].

هاهنا إنما هو على صحة دعواهم أن الجنة لا يدخلها غيرهم. ويحقق هذا قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾، فإنما يعنى الجنة ونعيمها، ردا عليهم في نفى غيرهم عن دخولها، ففي هذا دليل بين على أن الأمانى المشار إليها ليس إلا ما طولبوا بإقامة البرهان على صحته وهو أمنية واحدة.

والجواب القريب: أنهم لشدة تمنيهم لهذه الأمنية ومعاودتهم لها وتأكدها في نفوسهم جُمِعَت، ليفيد جمعها أنها متأكدة في قلوبهم، بالغة منهم كل مبلغ، والجمع يفيد ذلك وإن كان مؤداه واحدا. ووجه إفادة الجمع في مثل هذا للتأكيد أن الجمع يفيد بوضعه الزيادة في الآحاد، فنقل إلى تأكيد الواحد، فتدبر هذا الفصل فانه من نفائس صناعة البيان واللَّه الموفق[(١)].

وفي الآية: (١٢٣) من سورة النساء يبين اللَّه ﷻ أن الوصول إلى مرضاته واستحقاق الثواب لا يكون بالأوهام الباطلة والأماني الزائفة، وإنما يكون بالجد والاجتهاد، والسعي بالعمل الصالح، فمن عمل خيرا جوزي به، ومن عمل سوءا جوزي به.

وفي الآية: (٥٢) من سورة الحج يخبر اللَّه ﷻ عن شئ يسلي به رسوله ﷺ عن تكذيب المكذيب وإعراض المتعنتين الذين يستعجلون عذاب اللَّه. قال الإمام أبو حيان: "ذكر له تعالى مسلاة ثانية باعتبار من مضى من الرسل والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمان قومهم متمنين لذلك مثابرين عليه، وأنه ما منهم أحد إلا كان الشيطان يراغمه بتزيين الكفر لقومه وبث ذلك إليهم وإلقائه في نفوسهم، كما أنه ﷺ كان من أحرص الناس على هدى قومه، وكان فيهم شياطين كالنضر بن الحارث يلقون لقومه وللوافدين عليه شبها يثبطونهم بها عن الإسلام"[(٢)].

قال الفخر الرازي: "التمني جاء في اللغة لأمرين: أحدهما: تمني القلب والثاني:

(١) يراجع الكشاف وبذيله حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف (١/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) يراجع البحر المحيط (٧/ ٥٢٥).

القراءة، قال اللَّه تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي إلا قراءة؛ لأن الأمي لا يعلم القرآن من المصحف وإنما يعلمه قراءة، قيل: إنما سميت القراءة أمنية؛ لأن القارئ إذا انتهى إلى آية رحمة تمنى حصولها وإذا انتهى إلى آية عذاب تمنى أن لا يبتلى بها[1].

فإذا فسرت الأمنية على تمني القلب فالمعنى: وما أرسلنا من رسول إلا تمنى هداية قومه إلى الحق الذي جاءهم به، والشيطان يلقي الوساوس والشبهات في طريق دعوته ليصد الناس عن الإيمان به كي لا تتحقق التي تمناها كل نبي ورسول، فيقولون عنه أنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يقولون عنه ساحر أو مجنون، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٥٢]. وإذا فسرت على معنى التلاوة والقراءة فالمراد: ما يلقيه الشيطان من الأكاذيب ليصد الناس عن اتباع ما يتلى عليهم، فيؤولون الآيات تأويلا فاسدا، ويضربون كلام اللَّه بعضه ببعض، ولكن هذه الوساوس التي يلقيها الشيطان لا ثبات لها ولا استقرار، ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الحج: ٥٢].

وفي الآية: (١٤) من سورة الحديد يخبر ﷻ عن جواب المؤمنين على المنافقين بعد أن ضرب بين الفريقين بسور باطنه الرحمة مما يلي المؤمنين، وظاهره العذاب من قبل المنافقين، والمنافقون ينادون على المؤمنين: "ألم نكن معكم" فيرد المؤمنون عليهم بأنكم أهلكتم أنفسكم بالشهوات وغرتكم الأماني الباطلة والخدع الزائفة حتى جاء أمر اللَّه.

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [البقرة: ١٧٣]. انفرد الإمام أبو جعفر بتشديد الياء من كلمة (الميتة) هنا وفي سورة المائدة (الآية: ٣)، والنحل (الآية: ١١٥).

(١) يراجع مفاتيح الغيب (٢٣/ ٢٣٨).

وانفرد كذلك بتشديد الياء من كلمة (ميتة) في موضعي الأنعام (الآية: ١٣٩، ١٤٥).

وانفرد كذلك بتشديد الياء من (بلدة ميتا) حيث ما جاءت في القرآن، وقد وردت في ثلاثة مواضع: سورة الفرقان (الآية: ٤٩)، والزخرف (الآية: ١١)، و (ق) (الآية: ١١)[١].

معنى القراءة:

الموت ضد الحياة. يقال: مات يموت ويمات فهو ميِّت وميْت، ويستوي فيه المذكر والمؤنث.

واختلف العلماء في التفرقة بين الميت مخففا ومشددا، فقيل: الميْت: الذي مات بالفعل. والميِّت والمائت: الذي لم يمت بعد، ولكنه بصدد أن يموت. وأنشد أبو عمرو:

أيا سائلي تفسير ميْت وميِّت فدونك قد فسرت إن كنت تعقـــل
فمن كان ذا روح فذلك ميِّت وما الميْت إلا من إلى القبر يُحْمَـل[٢]

ولكن الصواب أن ميِّت يصلح لما قد مات ولما سيموت، قال اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]. قال الأزهري: وأما من قال: الميِّت: ما لم يمت ووجهه إلى الموت، والميت: ما قد مات، فهو خطأ، يقال للذي مات: ميِّت وميْت، ولما سيموت ولم يمت: ميِّت وميْت[٣].

من خلال ما سبق نجد أن قراءة التخفيف والتشديد لغتان في هذه الكلمة، ومما يؤيد ذلك مجئ كلمة (الميت، الميتة، ميتة، ميتا، لبلد ميت) بالتخفيف والتشديد مما يدل على أن الكلمة باللغتين تستعمل فيما مات وما لم يمت. قال الإمام ابن جرير

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٢٤، ٢٦٦)، والبدور الزاهرة ص (٤٤، ٨٩، ١١١، ١١٢، ١٨٣، ٢٢٧، ٢٦٦).
(٢) يراجع مختار الصحاح ص (٣٠١)، وتاج العروس (٥/ ١٠٠)، مادة (موت).
(٣) ينظر معاني القراءات (١/ ٢٤٨).

الطبري: وأما "الميتة"، فإن القرأةَ مختلفة في قراءتها. فقرأها بعضهم بالتخفيف، ومعناه فيها التشديد، ولكنه يخففها كما يخفف القائلون في "هو هيّن ليّن": "الهيْن الليْن"، كما قال الشاعر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ[1]

فجمع بين اللغتين في بيت واحد، في معنى واحد. وقرأها بعضهم بالتشديد، وحملوها على الأصل، وقالوا: إنما هو "مَيْوِت": "فيعل"، من الموت. ولكن الياء الساكنة والواو المتحركة لما اجتمعتا، والياء مع سكونها متقدمة، قلبت الواو ياء وشددت، فصارتا ياء مشددة، كما فعلوا ذلك في "سيد وجيد". ومن خففها، فإنما طلب الخفة. فهما لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب؛ لأنه لا اختلاف في معنييهما[2].

فائدة القراءة:

بعد هذا البيان نلاحظ أن التشديد سمة بارزة في هذه الكلمة عند الإمام أبي جعفر كيما تصرفت وحيثما وردت، أحيانا يتفق معه قراء آخرون على التشديد، وفي مواضع أخرى ينفرد بالتشديد وهي المواضع المذكورة آنفا، وقراءة التشديد جاءت على الأصل، وما جاء على الأصل فلا يسأل عن علته إلا أن التشديد يضفي على الكلمة ثقلا لا يوجد في التخفيف، فالميتة من الحيوان ما خرجت روحه دون تذكية، وبموتها ومفارقة الروح لها دون تذكية صارت محرمة على الإنسان أن يأكل منها، فالتحريم ليس لذات العين وإنما هو متعلق بشئ مقدر يدل عليه السياق، أي: حرم عليكم أكل الميتة، وعدم أكلها وقلة الانتفاع بها ثقيل على نفس صاحبها وهو ما أفادته قراءة التشديد،

(١) هذا البيت ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١٤/ ٣٤٣)، وابن يعيش في شرح المفصل (٥/ ٤٣٨) بلا نسبة، ونسبه لعدي بن الرَّعْلاء ابنُ منظور في لسان العرب (٢/ ٩١)، والزبيدي في تاج العروس (٥/ ١٠١)، مادة (موت).

(٢) يراجع جامع البيان (٣/ ٣١٨، ٣١٩).

كذلك يقال في البلدة الميتة، فالأرض الجدباء التي لا تنبت زرعا ولا تخرج نبتا لا يحبها صاحبها لعدم النفع بها، وكذلك الميت من الإنسان يدخل الهم والغم على نفوس أهله بموته، والقلب الميت هو القلب الذي قسا وأثقلته الذنوب وأبعدته عن اللَّه ﷻ، فقراءة التشديد تشير إلى الثقل الذي يحدث عند القراءة بهذه الكلمة كالثقل الذي يحدث عند موت هذه الأشياء.

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٧٣]. انفرد الإمام أبو جعفر بكسر من (اضطِر) حيث وقع[(١)].

وقد وردت هذه الكلمة في أربعة مواضع من القرآن:

١ـ هنا في البقرة.

٢ـ المائدة (الآية:٣).

٣ـ الأنعام (الآية: ١٤٥).

٤ـ النحل (الآية: ١١٥).

معنى القراءة:

الأصل في كلمة (اضطُرَّ): (اضطُرِرَ)، فقراءة الجمهور جاءت على الأصل في الكلمة، وقراءة أبي جعفر جاءت على نقل حركة الراء ـ بعد سكونها وإدغامها في الراء التي بعدها ـ إلى الطاء.

قال أبو جعفر النحاس: وقرأ أبو جعفر (فمن اضطِر) بكسر الطاء؛ لأن الأصل: (اضطُرِرَ)، فلما أدغم ألقى حركة الراء على الطاء[(٢)].

وقراءة أبي جعفر فيها مجئ الكسرة بعد الضمة، فالنون مضمومة والطاء مكسورة، وبينهما الضاء وهي مانع غير حصين لسكونها، والعرب تستثقل مجئ الكسرة بعد الضمة أو الضمة بعد الكسرة لثقله على اللسان؛ لأن في الكسر تسفلا وفي الضم

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٢٦)، والبدور الزاهرة ص (٤٤).

(٢) يراجع إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٧٩).

نقيضه، واللسان يستثقل الانتقال من أحدهما إلى الآخر مع المحافظة على السرعة المعتادة في الأداء، والانتقال من الضم إلى الكسر أخف من الانتقال من الكسر إلى الضم؛ لأن في الأول انتقالا من الأشد إلى الأخف، بخلاف الثاني ففيه انتقال من خفيف إلى ثقيل ومن تسفل إلى تصعد.

قال الإمام المهدوي: "والعرب تكره الخروج من تسفل إلى تصعد، وتستخف الخروج من تصعد إلى تسفل"(١).

فائدة القراءة:

جاءت قراءة أبي جعفر بكسر الطاء لتنبه القارئ إلى أصل الكلمة، وأن أصلها (اضطرِر)، والانتقال من الضم في النون إلى الكسر في الطاء إشارة إلى أن الثقل يتلوه ويعقبه تخفيف، فإذا أُحوج المؤمن ووقع في مشقة وألجأته الضرورة لأكل شئ من هذه المحرمات فلا حرج عليه ولا إثم، ففي الكسر بعد الضم إشارة إلى أن المشقة تجلب التيسير وأن اللَّه يجعل بعد العسر يسرا.

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. انفرد الإمام أبو جعفر بتحريك السين من "اليسر، العسر" وبابهما بحركة الضم(٢).

وجاء ذلك معرفا في موضعين هنا وفي سورة الإنشراح: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[الشرح: ٥ – ٦].

وجاء منكرا في خمسة مواضع: سورة الكهف (الآية: ٧٣، ٨٨)، والذاريات (الآية: ٣)، والطلاق (الآية: ٤، ٧).

وجاء بلفظ الاسم (عسرة) في موضعين: البقرة (الآية: ٢٨٠)، والتوبة (الآية: ١١٧).

---

(١) يراجع شرح الهداية ص (١٧). ولهذا تُخُلِّص من التقاء الساكنين بالكسر على الأصل، وبالضم ليناسب الضم الضم.

(٢) يراجع النشر (٢/ ٢١٥، ٢١٦)، والبدور الزاهرة ص (٤٦).

وجاء وصفا بلفظ (اليسرى، العسرى) في ثلاثة مواضع: الأعلى (الآية: ٨)، والليل (الآية: ٧، ١٠).

معنى القراءة:

ذهب العلماء إلى أن الضم والسكون لغتان في (اليسر والعسر)[١]. ولكنهم اختلفوا في أيهما الأصل، الضم أم السكون؟

فرجح السمين الحلبي وابن عادل أن الضم هو الأصل؛ لأنه المعهود في كلامهم، والسكون تخفيف. ورجح الطاهر ابن عاشور أن الأصل السكون والضم للإتباع؟[٢] أي: لإتباع حركة السين للياء، ولما كانت الياء مضمومة ضمت السين إتباعا لها.

فائدة القراءة:

قراءة أبي جعفر وإن كانت بمعنى قراءة الجمهور، لأن الضم والإسكان لغتان في هذه الكلمة إلا أنه من المعلوم أن السكون أخف من الضمة، بل إن الضمة هي أثقل الحركات، هذا الثقل يضفي على كلمة "العسر" ثقلا، يتجلى ذلك في قوله: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[البقرة: ٢٨٠]، فالإعسار حالة يتعسر فيها على المرء وجود المال، وهذا الثقل أيضا موجود في "العسُرة" في قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧]، ثقل بسبب ما أصابهم في هذه الغزوة غزوة تبوك من العناء والتعب والمشقة لبعد الشُّقَّة وشدة الحر وقوة العدو المقصود.

قال الإمام البقاعي: "كانوا في عسرة من الزمان بالجدب والضيقة الشديدة والحر الشديد، وعسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد، وعسرة من الزاد تزودوا التمر المدوّد والشعير المسوّس، وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرَ اثنان، وربما مصها

(١) يراجع إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨٨)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٢٣٤).

(٢) يراجع الدر المصون (٢/ ٢٨٥)، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (٣/ ٢٨٨)، والتحرير والتنوير (٢/ ١٧٥).

الجماعة ليشربوا عليها الماء، وسماها ساعة تهوينا لأوقات الكروب وتشجيعا على مواقعة المكاره، فإن أمدها يسير وأجرها عظيم خطير، فكانت حالهم باتباعه في هذه الغزوة أكمل من حالهم قبلها"[1].

فإن قيل: هذا الثقل موجود ومؤثر في كلمة (العسر)، فما فائدة في كلمة (اليسر)؟

أقول: حركة الضم في كلمة اليسر أفادت عظم هذا اليسر وكثرته، فإذا كان اليسر من اللَّه فهو يسر لا شقاء معه، ورخاء عظيم لا يقدر قدره إلا اللَّه، لذلك جاءت (اليسرى) في سورة الأعلى لتفيد هذا العظم في هذه الكلمة. قال الطاهر ابن عاشور: "واليسرى: مؤنث الأيسر، وصيغة (فعلى) تدل على قوة الوصف؛ لأنها مؤنث أفعل"[2]. وكذلك تتضح هذه السعة في تنكير اليسر وتعدده في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ ليكون المؤمن مطمئنا ولا يضيق صدره بعسر؛ لأنه يعلم أن اللَّه سيجعل بعد عسر يسرا، وأنه لا يغلب عسر يسرين.

فالقاعدة أن الاسم إذا كان معرفة وأعيد معرفة فالثاني هو الأول غالبا، وإذا كان نكرة وأعيد نكرة فالثاني غير الأول، فالعسر الأول هو العسر الثاني، واليسر الأول غير اليسر الثاني؛ لأن العسر معرف، فهو واحد؛ لأنه ذلك المعرف بعينه، واليسر منكر، ولو كان اليسر الثاني هو الأول لتكرر وفيه الألف واللام ليعرف ذكره، كما تقول: رأيت رجلاً، وأكرمت الرجل[3].

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[البقرة: ١٩٧]. قرأ المكي والبصريان برفع الثاء والقاف مع التنوين، ووافقهم أبو جعفر، وانفرد بتنوين (جدال) مع الرفع، والباقون

(١) يراجع نظم الدرر (٩/ ٣٦).

(٢) يراجع التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٨٢).

(٣) يراجع أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٧٣)، والنكت في القرآن الكريم لأبي الحسن القيرواني ص (٥٦١)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٤/ ٩٤، ٩٧)، النوع السادس والأربعون، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٣٥٢)، النوع الثاني والأربعون.

بالفتح بلا تنوين في الثلاث[١].

معنى القراءة:

قرأ ابن كثير المكي ومن معه برفع وتنوين (رفثٌ)، و (فسوقٌ) على جعل (لا) بمعنى (ليس)، فارتفع الاسم بعدها، والخبر محذوف والتقدير: فليس فيه رفث ولا فسوق، أو التقدير: فليس رفث ولا فسوق في الحج، ودل عليه (في الحج) الظاهر، وخبر (ولا جدال) قوله: (في الحج). ولا يحسن أن يكون (في الحج) الظاهر خبرا عن الأسماء الثلاثة؛ لأن خبر (ليس) منصوب، وخبر (جدال) مرفوع؛ لأن (ولا جدال) اسم واحد في موضع رفع بالابتداء[٢].

ورفع الأولين (رفث، فسوق) ونصب الثالث (جدال) لمفارقته إياهما في المعنى، وذلك أن معنى الأولين: لا ترفثوا ولا تفسقوا. ومعنى الثالث: ولا جدالَ في الحج أي: لا شك في أنه في ذي الحجة، ردا على من جادل فيه من المشركين، وزعم أنه في غير ذي الحجة على ما كانت الجاهلية تفعله قبل الإسلام[٣].

وقرأ أبو جعفر برفع وتنوين الثلاثة (رفثٌ) و (فسوقٌ) و (جدالٌ) على أنه اسم لها لـ (لا) العاملة عمل (ليس)، و (في الحج) خبر عن الثلاثة. قال ابن مالك في إعمال (لا) عمل (ليس):

في النّكرات أعملت كليس لا وقد تلي لات وإن ذا العملا

يعني: أن (لا) تعمل عمل (ليس) فترفع الاسم وتنصب الخبر، بشرط أن يكون اسمها نكرة كقوله:

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى اللَّه واقيا[٤]

(١) يراجع النشر (٢/ ٢١١)، والبدور الزاهرة ص (٤٧).

(٢) يراجع شرح الهداية للمهدوي ص (١٩٤، ١٩٥)، والكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي بن أبي طالب (١/ ٢٨٦).

(٣) يراجع شرح الهداية ص (١٩٤، ١٩٥).

(٤) هذا البيت من الشواهد التي لم يذكروا لها قائلا معينا. و (لا) اختلف فيها فمذهب الحجازيين إعمالها عمل =

ومن نصب الثلاثة فعلى التبرئة، ونفي جميع الجنس، ويكون خبر الثلاثة قوله: (في الحج). فنفى جميع الرفث وجميع الفسوق كما تقول: لا رجل في الدار[1].

فائدة قراءة أبي جعفر:

أولا: قراءة الجمهور بنصب الثلاثة أفادت نفي جميع هذا الجنس من الرفث والفسوق، وأنه لم يرخص في نوع من الرفث ولا الفسوق كما لم يرخص في ضرب من الجدال في الحج.

ثانيا: قراءة ابن كثير ومن وافقه برفع (رفث، فسوق) لأن النفي فيهما يراد به النهي، أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، فالحج قد يقع فيه رفث أو فسوق فنهى اللَّه عن ذلك. أما الجدال فقرؤوه بالنصب لأنه إخبار؛ إذ إن الحج لا شك أنه وقع في ذي الحجة، ولم يقع كما كانت العرب توقعه في غير ذي الحجة لتأخيرهم بعض الشهور، وفيهم نزل قول اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[التوبة: ٣٧]. وقال النبي ﷺ في حجته: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللَّه السموات والأرض..."[2].

= (ليس)، ومذهب تميم إهمالها. يراجع ألفية ابن مالك ص (٢٠)، وتوضيح المقاصد والمسالك للمرادي (١/ ٥١٠)، وشرح ابن عقيل (١/ ٣١٢، ٣١٣).

(١) يراجع الكشف (١/ ٢٨٦).

(٢) رواه البخاري في ك: تفسير القرآن، ب: قوله: "إن عدة الشهور...."، ح رقم (٤٦٦٢)، ومسلم ك: القسامة، ب: تغليظ حرمة الدماء والأعراض والأموال، ح رقم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة.

قال العلماء: معناه أنهم في الجاهلية يتمسكون بملة إبراهيم ﷺ في تحريم الأشهر الحرم، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أخروا تحريم المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى إلى شهر آخر، وهكذا يفعلون في سنة بعد سنة حتى اختلط عليهم الأمر، وصادفت حجة النبي ﷺ تحريمهم وقد طابق الشرع، وكانوا في تلك السنة قد حرموا ذا الحجة، فأخبر النبي ﷺ أن الاستدارة صادفت ما حكم اللَّه تعالى به يوم خلق السموات والأرض.

قال أبو عبيد: كانوا ينسؤون أي: يؤخرون، وهو الذي قال اللَّه تعالى فيه: "إنما النسيء زيادة في الكفر"، =

قال الإمام الزمخشري: "والمراد بالنفي وجوب انتفائها، وأنها حقيقة بأن لا تكون. وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع. وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع والآخر بالنصب؛ لأنهما حملا الأولين على معنى النهى، كأنه قيل: فلا يكونن رفث ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج، وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام، وسائر العرب يقفون بعرفة، وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء، فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة، فأخبر اللَّه تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج"(١).

ثالثا: قراءة أبي جعفر برفع الثلاثة على أنه إخبار أريد به النهي عن الثلاثة: لا ترفث ولا تفسق ولا تجادل، وهو يفيد العموم أيضا لورود النكرة في سياق النفي، فقراءة أبي جعفر نهت عن الرفث والفسوق والجدال في جميع أوقات الحج، وهذه الأمور وإن كانت محرمة ومنهيا عنها على الإطلاق في عموم الأوقات إلا أنها في أوقات الحج أشد نهيا لفضل الزمان وحرمة المكان. وقراءة الجمهور نهت عن هذه الأشياء بجميع صورها وأشكالها.

ومن قرأ "فلا رفث ولا فسوق" بالرفع والتنوين فالوقف عليهما عنده كاف على معنى: (ليس)، ونصب (ولا جدال) على التبرئة، على معنى: ولا شك في الحج أنه واجب في ذي الحجة. فقوله: (ولا جدال في الحج) مستأنف في موضع رفع بالابتداء وخبره في المجرور. ومن نصب الأسماء الثلاثة لم يقف على ذلك لتعلق بعضه ببعض بالعطف(٢).

= فربما احتاجوا إلى الحرب في المحرم فيؤخرون تحريمه إلى صفر، ثم يؤخرون صفر في سنة أخرى فصادف تلك السنة رجوع المحرم إلى موضعه.

(١) يراجع الكشاف (١/ ٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) يراجع المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ص (٣٠).

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[البقرة: ٢١٠]. انفرد الإمام أبو جعفر بخفض تاء (والملائكةِ)، ، وقرأ الباقون برفعها[١].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور برفع التاء من (والملائكةُ) عطفا على لفظ الجلالة. وقرأ أبو جعفر بخفضها (والملائكةِ) عطفا على (ظلل)[٢]، أو على (الغمام)[٣]، أو على الجوار وإن كان فاعلا لـ(يأتيهم)[٤].

واختلف أهل التأويل في قوله: (ظُلل من الغمام)، وهل هو من صلة فعل اللَّه جل ثناؤه، أو من صلة فعل (والملائكة)، ومن الذي يأتي فيها؟

١ـ ذهب بعض العلماء إلى أنه من صلة فعل اللَّه، ومعناه: هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّه في ظلل من الغمام، وأن تأتيهم الملائكة. قال قتادة: يأتيهم اللَّه وتأتيهم الملائكة عند الموت.

قال عكرمة: (إلا أن يأتيهم اللَّه في ظلل من الغمام)، قال: طاقات من الغمام، والملائكة حوله.

٢ـ وقال آخرون: بل هو من صلة فعل الملائكة، وإنما تأتي الملائكة فيها، وأما الرب تعالى ذكره فإنه يأتي فيما شاء[٥].

---

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٢٧)، والبدور الزاهرة ص (٤٨).

(٢) يراجع التبيان في إعراب القرآن (١/ ١٦٩)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٢٤٤)، وجامع البيان (٤/ ٢٦١).

(٣) يراجع التبيان في إعراب القرآن (١/ ١٦٩)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (١/ ٥٧٤).

(٤) يراجع غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٥٧٤). ولم أجد التوجيه بالجر على المجاورة في هذه القراءة إلا عند النيسابوري رحمه اللَّه، وعليه يكون معنى قراءة أبي جعفر كقراءة الجمهور، والأولى أن يؤخذ بالتوجيهين الأولين؛ لأن كلام اللَّه يحمل على المشهور الفاشي من كلام العرب دون النادر.

(٥) يراجع جامع البيان (٤/ ٢٦٣، ٢٦٤)، ورجح الإمام الطبري أنه من صلة فعل الرب تبارك وتعالى.

فائدة قراءة أبي جعفر:

قراءة الجمهور برفع تاء (والملائكة) فيها تقديم وتأخير، أي: هل ينتظرون إلا أن يأتيهم اللَّهُ والملائكةُ في ظلل من الغمام، فالملائكة تأتي في ظلل من الغمام واللَّه ﷻ يأتي فيما شاء، أو يأتي الرب ﷻ في ظلل من الغمام والملائكة حوله. وجعل (في ظلل من الغمام) متعلقا بالملائكة أولى؛ لأن في إسناده إلى اللَّه إشكالا؛ لاقتضائه الظرفية، أي أن يكون اللَّه في ظلل من الغمام أو أن يكون في الغمام، وهي من الأمور المحالة على اللَّه ﷻ.

وهذا الإتيان من الملائكة يكون في يوم القيامة، ومجيئهم يوم القيامة ثابت في النصوص قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[الفرقان: ٢٥]، وقال جل ذكره: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وهذا يضعف قول قتادة أن الإتيان هنا يكون عند الموت، والصواب أنه يكون لما يحدث في موقف الحساب عند قيام القيامة وتشقق السماء.

قال مكي بن أبي طالب: "وهذا الإتيان عند أكثرهم يوم القيامة يكون. وقال قتادة: "ذلك عند الموت"، وهو قول شاذ"(١).

وقراءة أبي جعفر أفادت إتيان اللَّه في ظلل من الغمام وفي ظلل من الملائكة الذين لا يعصون أمره بل يتبادرون لامتثاله، والمعنى: ما ينتظر هؤلاء الذين يتبعون خطوات الشيطان إلا أن يأتيهم اللَّه في ظلل من الغمام وظلل من الملائكة، أو أن يأتيهم في ظلل من الغمام وفي الملائكة أي في جمع من الملائكة الذين يأتون الموقف يوم القيامة. قال الإمام البغوي: "قرأ أبو جعفر بالخفض عطفا على الغمام، تقديره: مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي مع العسكر، والأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى اللَّه تعالى، ويعتقد أن اللَّه عز اسمه منزه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة. وكان مكحول

(١) يراجع الهداية إلى بلوغ النهاية (١/ ٦٨٩).

والزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: أمروها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف اللَّه به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا اللَّه تعالى ورسوله"[(١)]. قال أبو محمد مكي بن أبي طالب: "ويجب أن تعتقد أن صفات اللَّه جل ذكره بخلاف صفات المخلوقين، فلا تعتقد إلا أن الإتيان والمجيء من اللَّه تبارك وتعالى صفة وصف بها نفسه لا إتيان انتقال وتغير حال، تعالى اللَّه عن ذلك"[(٢)].

فينبغي على المسلم أن يفوض ذلك إلى اللَّه ﷻ أو يؤوله تأويلا يليق بجلال اللَّه، فقدره بعض أهل العلم على حذف مضاف كأنه: "إلا أن يأتيهم أمر اللَّه"، كما يقال: قد خشينا أن يأتينا بنو أمية، يراد به: حُكمهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هل ينظرون إلا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه، كما يقال: قطع الوالي اللص أو ضربه، وإنما قطعه أعوانُه[(٣)]. قال الإمام الزمخشري: "فإن قلت: لم يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت: لأن الغمام مظنة الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول؛ لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم، كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير"[(٤)].

فهذا تهديد شديد ووعيد أكيد بذكر إتيان بأسه ﷻ وعقابه وانتقامه بهؤلاء الذين ذكرهم اللَّه في الآيات السابقة من الساعين في الأرض فسادا المتتبعين لخطوات الشيطان، يأتيهم عذاب اللَّه في ظلل من السحاب يحسبونه رحمة وهو عليهم نقمة،

(١) يراجع معالم التنزيل للبغوي (١/ ٢٤١).
(٢) يراجع الهداية (١/ ٦٩٠).
(٣) يراجع جامع البيان (٤/ ٢٦٥، ٢٦٦).
(٤) يراجع الكشاف (١/ ٢٥٣).

فيكون أشد وقعا على نفوسهم كما حدث لقوم هود عليه السلام لما رأوا السحاب فظنوه غوثا فإذا به هلاك لهم، لذا ختمت الآية بقوله: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾، وختمت ما قبلها بقوله: ﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٠٩]، وختمت ما بعدها بقوله: ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[البقرة: ٢١١]، فسياق الآيات فيه زجر وتهديد ووعيد فوجب أن تحمل الآية على ذلك.

الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾[البقرة: ٢١٣]. انفرد أبو جعفر بضم الياء وفتح الكاف من (ليَحكُم) فقرأها: (ليُحْكَم)، والباقون بفتح الياء وضم الكاف[(١)].

وقد وردت في أربعة مواضع من القرآن هنا، وفي آل عمران (الآية: ٢٣)، وسورة النور (الآية: ٤٨، ٥١).

معنى القراءة:

قرأ الإمام أبو جعفر "ليُحْكَم" ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، وقرأ الجمهور: "ليَحْكُم" بتسمية الفاعل، واختلف في فاعل "يحكم" على ثلاثة أقوال:

١ـ أن الفاعل هو الكتاب، وتقدير الكلام: ليحكم الكتاب وهو التوراة بين الناس.

٢ـ الفاعل ضمير يعود على اللَّه سبحانه وتعالى.

٣ـ الفاعل ضمير يعود على (النبيين)، والتقدير: ليحكم كل نبي بكتابه[(٢)].

فائدة قراءة أبي جعفر:

قراءة الجمهور جاءت ببيان أن فاعل الفعل (يحكم) مصرح به، وهو عائد على (الكتاب)، وإنما عاد على الكتاب لأنه أقرب مذكور، وهو أقوى الوجوه الثلاثة.

فإن قال قائل كيف يصح أن ينسب الحكم إلى الكتاب؟

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٢٧)، والبدور الزاهرة ص (٤٨).

(٢) يراجع الكشاف (١/ ٢٥٦)، ومفاتيح الغيب (٦/ ٣٧٥)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٢١٤).

والجواب: أن ذلك من باب التجوز إذ إن مَن يقضي ويحكم من النبيين بين الناس إنما يحكم بدلالة الكتاب ويقضي بما نص عليه وحكم به، فجاز أن ينسب الحكم إليه كما في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾[الجاثية: ٢٩].

وجائز أن يكون فاعل (يحكم) ضميرا يعود على اللَّه تعالى؛ لأنه الحاكم على الحقيقة بأوامره ونواهيه، وجائز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على (النبيين)؛ لأنهم الذين يحكمون وينفذون ما أمر اللَّه به في كتابه، فهو الواسطة بين اللَّه وبين خلقه. قال الإمام الرازي: "فيكون المعنى: ليحكم اللَّه، أو النبي المنزل عليه، أو الكتاب، ثم إن كل واحد من هذه الاحتمالات يختص بوجه ترجيح، أما الكتاب فلأنه أقرب المذكورات، وأما اللَّه فلأنه سبحانه هو الحاكم في الحقيقة لا الكتاب، وأما النبي فلأنه هو المظهر فلا يبعد أن يقال: حمله على الكتاب أولى، أقصى ما في الباب أن يقال: الحاكم هو اللَّه، فإسناد الحكم إلى الكتاب مجاز[(١)] إلا أن نقول: هذا المجاز يحسن تحمله لوجهين الأول: أنه مجاز مشهور يقال: حكم الكتاب بكذا، وقضى كتاب اللَّه بكذا، ورضينا بكتاب اللَّه، وإذا جاز أن يكون هدى وشفاء، جاز أن يكون حاكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء: ٩]. والثاني: أنه يفيد تفخيم شأن القرآن وتعظيم حاله"[(٢)].

---

(١) هذا المجاز مجاز عقلي علاقته السببية؛ لأن الكتاب سبب للحكم وبه يكون. والمجاز العقلي: هو إسناد الفعل، أو ما في معناه (من اسم فاعل، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له. يراجع جواهر البلاغة للهاشمي ص (٢٥٥). قال الشيخ/ عبد الرحمن الأخضري:

ولحقيقة مجـــــاز وردا للعقل منسوبين، أما المبتدا
إسناد فعل أو مضاهيه إلـى صاحبه كـ"فاز من تنبـلا"
والثان أن يسند للملابَـــس ليس له يبنى كـ"ثوب لابِس".

ينظر الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون للأخضري ص (٢٥).

(٢) يراجع مفاتيح الغيب (٦/ ٣٧٥).

وجاءت قراءة أبي جعفر ببناء الفعل لما لم يسم فاعله؛ لبيان أن الكتاب ليس فاعلا على الحقيقة، وإنما يحكم به، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله له أغراض منها رغبة المتكلم في إظهار تعظيمه للفاعل، والمعنى: كان الناس أمة واحدة كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين كما قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما[١]، أي: كانوا أمة واحدة مجتمعين على ملة واحدة فاختلفوا فلم يعاقبهم اللَّه ولم يعجل لهم العذاب، بل أقام عليهم الحجة فبعث إليهم النبيين مبشرين ومنذرين، ويؤيده ما جاء في سورة يونس في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾[يونس: ١٩].

وفي سورة النور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[النور: ٤٨] أسند الحكم في قراءة الجمهور للنبي ﷺ، وبني الفعل أيضا في قراءة أبي جعفر لما لم يسم فاعله. قال شهاب الدين الألوسي: "ونائب الفاعل ضمير المصدر أي: ليحكم هو أي: الحكم، والمعنى ليفعل الحكم"[٢].

الموضع العاشر: قوله تعالى: ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٣٣]. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برفع الراء مشددة: (لا تضارُّ)، وانفرد أبو جعفر بسكون الراء مخففة: (لا تضارْ)، والباقون بفتح الراء مشددة: (لا تضارَّ).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. انفرد أبو جعفر بتخفيف الراء وإسكانها: (ولا يضارْ)، والباقون بالتشديد مع الفتح: (ولا يضارَّ)[٣].

(١) يراجع جامع البيان (٤/ ٢٧٥).

(٢) يراجع روح المعاني (٩/ ٣٨٩).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٢٢٧)، والبدور الزاهرة ص (٥٠، ٥٧).

معنى القراءة:

من قرأ : (لا تضارَّ) فعلى أن (تضارَّ) في موضع جزم بـ (لا)، وأصله: (لا تضارر) أدغمت الراء في الراء، وفتحت لالتقاء الساكنين. والقراءة بالرفع: (لا تضارُّ) على أنه خبر بمعنى النهي، وقد سبق بخبر منفي وهو قوله: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فعطف عليه: (لا تضارُّ) ليتشابها في اللفظ. وقراءة أبي جعفر بسكون الراء مخففة على حذف إحدى الراءين.

قال أبو منصور الأزهري: "من قرأ بفتح الراء فعلى أنه موضع جزم على النهي، ولفظه لفظ الخبر، الأصل (لاتضارر) فأدغمت الأولى في الثانية، وانفتحت لالتقاء الساكنين، وهو الاختيار في المضاعف، كقولك: عضَّ زيدا، وضارَّ عمرا يا رجل، ومعنى: لا تضار والدة بولدها، أي: لاتترك إرضاع ولدها ضرارا لأبيه فتضر بالولد؛ لأن الوالدة أشفق على ولدها من الأجنبية، ولبنها له أهنأ وأمرأ، ولا يضار الوالد الأم فيأخذه منها يروم بذلك غيظها فيضر بولده. ومن قرأ بالرفع فللعطف على قوله: (لا تكلف نفس) فأتبعا الرفع الرفع وجعلاه خبرا، والمعنى نهي"[(١)]. وقال ابن جني: "القراءة بسكون الراء ينبغي أن تكون: لا تضارر، كقراءة أبي عمرو، إلا أنه حذف إحدى الراءين تخفيفا، وينبغي أن تكون المحذوفة الثانية؛ لأنها أضعف، وبتكريرها وقع الاستثقال"[(٢)]. وذهب آخرون إلى أن السكون من ضار يضير، وهو مرفوع، ويكون السكون لإجراء الوصل مجرى الوقف[(٣)].

فائدة القراءة:

سبق في معنى القراءة أن أبا منصور الأزهري بين أن المعنى لا تَضرُّ الوالدة الوالد بسبب ولدها بأن تترك رضاعه، فيكون الفعل (تضار) للمعلوم وفاعله (والدة). وذهب

(١) يراجع معاني القراءات للأزهري (١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) يراجع المحتسب (١/ ١٢٣).

(٣) يراجع البحر المحيط (٢/ ٥٠٢)، والدر المصون (٢/ ٤٦٧).

الفراء إلى أن معنى (لا تضار والدة بولدها) أي: لا ينْزَعن ولدها منها وهي صحيحة لها لبن فيدفع إلى غيرها. (ولا مولود له بولده) يعني الزوج. أي: إذا أرضعت صبيها وألفها وعرفها فلا تضارن الزوج في دفع ولده إليه[١].

والسبب في هذا الخلاف مجئ الفعل (تضارَّ) مشددا فاحتمل أن يكون أصله (تضارِرْ) أو (تضارَرْ)، فالأول على إسناد الضرر إلى الوالدة والوالد أي: لا يقع الضرر منهما على الآخر بسبب الولد، فلا تضر المرأة الرجل بتركها رضاع ولدها مع إلفه لها، ولا يضر الرجل المرأة بإبعاد ولدها عنها مع محبتها له، وعلى الثاني يكون الضرر واقعا عليهما.

قال أبو البقاء: "يقرأ بضم الراء وتشديدها. وفيها وجهان، أحدهما: أنه على تسمية الفاعل، وتقديره: لا تضارِر، والمفعول على هذا محذوف تقديره: لا تضار والدة والدا بسبب ولدها. والثاني: أن تكون الراء الأولى مفتوحة على ما لم يسم فاعله، وأدغم لأن الحرفين مثلان، ورفع لأن لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي، ويقرأ بفتح الراء وتشديدها على أنه نهي، وحرك لالتقاء الساكنين، وكان الفتح أولى لتجانس الألف والفتحة قبلها، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون أصله: تضارِر وتضارَر على تسمية الفاعل وترك تسميته على ما ذكرنا في قراءة الرفع. وقرئ شاذا بسكون الراء والوجه فيه أن يكون حذف الراء الثانية فرارا من التشديد"[٢].

فالنهي عن الضرر ثابت ومقرر في القراءات الثلاث غير أن قراءة الفتح جاءت على النهي الصريح، وقراءة الرفع جاءت بلفظ الخبر وأفادت النهي في المعنى، ومجيؤها بلفظ الخبر فيه إشارة إلى أن المرأة العاقلة والرجل البصير لا ينبغي أن يقع منهما هذا الضرر، فجاء النهي بصيغة الخبر ليكون أبعد عن الوجود، وجاءت قراءة أبي جعفر بإسكان الراء فرارا من الثقل الحاصل من التشديد وكأنه يشير إلى ما ينبغي أن يكون

(١) يراجع معاني القرآن للفراء (١/ ١٥٠).

(٢) يراجع التبيان في إعراب القرآن (١/ ١٨٥).

عليه كلا الزوجين من التخفيف والسكون وعدم التصلب في الرأي والتشديد، وأن الولد ينبغي أن يتفقا على أمر تربيته والعناية به، وأن يكون الولد مصدر اتفاق بينهما لا مصدر شقاق وتخالف ومضارة، وأن الضرر منهما لا ينبغي أن يكون، بل يجب أن يكون الأمر على خلافه. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ يحتمل أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل، أي: لا يضارِر كاتب ولا شهيد بالتقاعس عن الكتابة والشهادة أو الزيادة والنقص منها، فيكون الضرر واقعا منهما. ويحتمل لا يضارَر أي: لا يقع الضرر عليهما بأن يشغلا عن أعمالهما ومعاشهما باستدعاء للكتابة أو الشهادة. فمجئ الفعل بهذه الصيغة ليحتمل الأمرين ويعم الحكمين، وهذا من وجوه الإعجاز. وجاءت قراءة السكون للتخفيف وعدم وقوع مشقة على الكاتب والشهيد أو عليهما.

الموضع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾[البقرة: ٢٨٢]. قرأ أبو جعفر بإسكان الهاء من: (يمل هْو)، وهي رواية لقالون عن نافع من طريق طيبة النشر. والباقون بضمها: (يمل هُو)[(١)].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور بضم الهاء على الأصل؛ لأن الهاء منفصلة عما قبلها. وانفرد أبو جعفر بإسكان الهاء إجراء للمنفصل مجرى المتصل، قال أبو البقاء: " وقرئ بإسكانها على أن يكون أجرى المنفصل مجرى المتصل بالواو أو الفاء أو اللام ؛ نحو: وهو، فهو، لهو "[(٢)].

ولفظ (هو) و (هي) إذا سبقا بـ (و) أو (ف) أو (ثم) جاز فيهما الضم والإسكان، فهما لغتان في الكلمة الضمعلى أصل حركة الهاء، والإسكان لكثرة الحركات[(٣)].

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٠٩)، والبدور الزاهرة ص (٥٦).

(٢) يراجع التبيان (١/ ٢٢٨)، وإعراب القراءات الشواذ (١/ ٢٨٧).

(٣) يراجع معاني القراءات للأزهري (١/ ١٤٤).

فائدة القراءة:

القراءتان في هذه الكلمة من باب تعدد اللغات في الكلمة الواحدة، فقراءة الجمهور جاءت على الأصل وما جاء على الأصل لا يسأل عن علته، وقراءة أبي جعفر جاءت بالإسكان تنزيلا للمنفصل منزلة المتصل، وعلة الإسكان في المتصل التخفيف لكثرة الحركات، فكذلك هنا في (يمل هْو) سكنت للتخفيف، وكأن الإسكان والتخفيف في قراءة أبي جعفر فيه إشارة إلى التخفيف في الحكم بالنسبة للسفيه الذي لا يحسن التصرف أو الجاهل بالأمر أو الضعيف لصغره أو اختلال عقله، هؤلاء لضعفهم وعجزهم جعل الإملاء لوكيلهم أو من يلي أمرهم.

الموضع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾[آل عمران: ٤٩]. (الطير) انفرد أبو جعفر بقراءته بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة بعدها في مكان الياء: (الطائِر)، والباقون من غير ألف وبياء ساكنة بعد الطاء: (الطَّيْر)[(١)]. ووافقه نافع ويعقوب في قوله: (فيكون طيرا) فقرؤوا: (فيكون طائرا).

معنى القراءة:

قراءة أبي جعفر: (الطائر) جاءت بلفظ الواحد على زنة: (فاعل). وقراءة الجمهور: (الطير) تحتمل أوجها:

١ـ يجوز أن تكون على المصدرية، يقال: طار يطير طيرا. قال أبو البقاء: "وهو مصدر في الأصل أو مخفف من الطيِّر"[(٢)].

٢ـ ويجوز أن تكون على الجمع كما يقال: راكب وركب. قال ابن جرير: "(الطير) جمع: (طائر)"[(٣)].

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٤٠)، والبدور الزاهرة ص (٦٤).

(٢) يراجع إعراب القراءات الشواذ (١/ ٣١٩).

(٣) يراجع جامع البيان (٦/ ٤٢٥).

٣ـ ويجوز أن تكون مفردة، وذهب جماعة من أهل اللغة إلى أن (الطير) يطلق على الواحد أيضا، ويجمع على طيور. قال ابن زنجلة في قراءة (طائر): "هي على لفظ الواحد كما تقول: رجل وراجل، وركب وراكب. قال الكسائي: الطائر واحد على كل حال، والطير يكون جمعا وواحدا، وحجته أن اللَّه أخبر عنه أنه كان يخلق واحدا ثم واحدا. وحجة قراءة (طيرا) أن اللَّه جل وعز إنما أذن له أن يخلق طيرا كثيرة ولم يكن يخلق واحدا فقط"[(١)]. قال الأزهري: "وقد سمعت العرب تقول لواحد الطيور: طير وطائر"[(٢)]. وهو على هذا التوجيه موافق لقراءة أبي جعفر.

فائدة القراءة:

قراءة أبي جعفر أفادت أن عيسى عليه السلام أعطاه اللَّه عددا من الآيات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإجبار ببعض الأمور الغيبية، ومن هذه الآيات أنه كان يصور من الطين على هيئة الطائر ثم ينفخ في هذا المصور فيصير طائرا، والطائر هنا اسم جنس، فكأنه ذهب إلى نوع واحد من الطير. قال الفخر: "يروى أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة، وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش، فأخذ طينا وصوره، ثم نفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض. قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا، ثم اختلف الناس فقال قوم: إنه لم يخلق غير الخفاش، وكانت قراءة نافع عليه. وقال آخرون: إنه خلق أنواعا من الطير وكانت قراءة الباقين عليه"[(٣)]. وقراءة أبي جعفر متناسبة في الموضعين: كهيئة الطائر فأنفخ فيه فيكون طائرا.

---

(١) يراجع حجة القراءات ص (١٦٤).

(٢) يراجع معاني القراءات (١/ ٢٥٨).

(٣) يراجع مفاتيح الغيب (٨/ ٢٢٨). ويقال: إنما طلبوا خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق. يراجع الجامع لأحكام القرآن وفيه ذكر القرطبي- رحمه اللَّه- بعض الأعاجيب في خلقه. وهذا الأثر عن وهب بن منبه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا ولا تكذب، ولعل خلقه على هذه الصفة العجيبة لإثبات المعجزة لعيسى عليه السلام، وإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا لإثبات الكمال في خلق اللَّه تعالى.

وقراءة نافع ويعقوب: كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائرا، والتقدير: فيكون ما أنفخ فيه طائرا، أو فيكون ما أخلقه طائرا، أو فيكون كل واحد من المخلوق طائرا كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾[النور: ٤]، أي: فاجلدوا كل واحد منهم(١). بينما جاءت قراءة الباقين لتفيد أنه لم يخلق طيرا واحدا ولا نوعا واحدا، إنما خلق أنواعا مختلفة وأفرادا كثيرة، وأفرد في قراءة أبي جعفر من باب ذكر الخاص من بين أفراد العام اهتماما به لأنه أعجب في الخلق وأدل على القدرة.

الموضع الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[آل عمران: ١٩٨]. (لكن) انفرد الإمام أبو جعفر بتشديد النون من: "لكنَّ" هنا وفي سورة الزمر في قوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾[الزمر: ٢٠]. وقرأ الباقون بتخفيف: "لكنِ" ساكنة وقفا، مكسورة للتخلص من الساكنين وصلا(٢).

معنى القراءة:

قراءة الجمهور بالتخفيف على إهمال "لكن"، فإن "لكنَّ" إذا خففت أهملت فلم تعمل ـ وهو مذهب الجمهور ـ كقوله: "ولكنِ اللَّهُ قتلهم"(٣)، وذهب البعض إلى إعمالها قياسا على إعمال "أن" المخففة، وهو مذهب ضعيف؛ لعدم سماعه. وعُلِّل المنع من العمل بمباينة لفظها للفظ الفعل، وذلك أن شبهها بالأفعال بزيادة لفظها على لفظ الفعل؛ فلذلك لما خففت وأسكن آخرها، بطل عملها، وعلل كذلك بزوال موجب إعمالها وهو الاختصاص إذ صارت يليها الاسم والفعل(٤). بينما "لكنَّ" المشددة

(١) يراجع شرح الهداية ص (٢٢١)، والكشف (١/ ٣٤٥).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٢٤٧)، والبدور الزاهرة ص (٧٥، ٢٧٥).

(٣) جزء من الآية: (١٧) من سورة الأنفال، وقرأ بتخفيف النون من "ولكن"، ورفع الاسم بعدها ابنُ عامر وحمزة، والكسائي وخلف. يراجع النشر (٢/ ٢١٩).

(٤) يراجع أوضح المسالك (١/ ٣٦٦)، ونتائج الفكر في النحو للسهيلي ص (٢٠١)، وهمع الهوامع للسيوطي (١/ ٥١٨).

تختص بالجملة الاسمية.

فائدة القراءة:

قراءة (لكن) بالتخفيف على أن (لكن) حرف عطف واستدراك، و (الذين) مبتدأ، و (اتقوا) صلة الموصول، و (لهم غرف) جملة مكونة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، وهذه الجملة خبر عن (الذين). فالآيات السابقة جاءت لبيان تقلب الذين كفروا وسيطرتهم في البلاد، وأن هذا التقلب لا ينبغي أن يغتر به أحد فإنه لن يدوم طويلا، بل هي مدة قليلة يتمتعون فيها ثم سرعان ما سيزول ذلك من بين أيديهم، ويصيرون إلى العذاب الأكبر بسبب كفرهم وبغيهم، وجاءت (لكن) وهي حرف استدراك ووقعت هنا أحسن موقع؛ لأن مضمون ما بعدها ضد مضمون ما قبلها، فجاءت لتقابل جزاء الكافرين بالثواب العظيم للمؤمنين، وببيان وعد اللَّه للمؤمنين إثر وعيده للكافرين، والمعنى: هذا هو شأن الكافرين يتقلبون في البلاد لفترة قصيرة من الزمان هي مدة حياتهم ثم يتركون ذلك بموتهم ويصيرون إلى عذاب أبدي لا ينقطع عنهم، لكن جزاء الذين اتقوا ربهم وانتهوا عن معاصيه على خلاف ذلك، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، فشتان بين الجزاءين.

قال السمين: "ووقعت (لكن) هنا أحسن موقع، فإنها وقعت بين ضدين: وذلك أن معنى الجملتين التي قبلها والتي بعدها آيل إلى تعذيب الكفار وتنعيم المتقين، ووجه الاستدراك أنه لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم في التجارة وتصرفهم في البلاد لأجلها جاز أن يتوهم متوهم أن التجارة من حيث هي متصفة بذلك، فاستدرك أن المتقين وإن أخذوا في التجارة لا يضرهم ذلك وأن لهم ما وعدهم به"[1]. وأما قراءة أبي جعفر بالتشديد فجاءت على إعمال "لكنَّ" عمل "إنَّ" فهي من أخواتها، و "الذين اتقوا" اسم "لكنَّ"، و "لهم غرف" خبر "لكنَّ". فقراءة أبي جعفر جاءت لتأكيد هذا الجزاء للمؤمنين، ورد لمن يشك فيه أو يعتقد سواه.

(١) يراجع الدر المصون (٣/ ٥٤٥).

وفي سورة الزمر جاءت قراءة الجمهور لبيان الفارق بين حال المؤمنين وحال الكافرين، وأن حال كل منهما على المضادة من الآخر، وجاءت قراءة أبي جعفر لتأكيد جزاء المؤمنين وأنه لا وجه للمقارنة بينه وبين ما لهؤلاء المشركين من عذاب. قال الطاهر ابن عاشور: "فحصل في قضية الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت تقرير على تقرير ابتدئ بالإشارتين في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ١٨]، ثم بما أعقب من تفريع حال أضدادهم على ذكر أحوالهم، ثم بالاستدراك الفارق بين حالهم وحال أضدادهم"(١).

الموضع الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء: ٣]. انفرد الإمام أبو جعفر بقراءة: "فواحدة" بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب(٢).

معنى القراءة:

قراءة الجمهور بنصب: (فواحدةً) على أنها مفعول لفعل محذوف أي: فانكحوا واحدةً.

وقراءة أبي جعفر بالرفع وفيها أوجه:

١ـ على أنها مبتدأ خبره محذوف والتقدير: فواحدةٌ تكفي أو تُقْنع.

٢ـ أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: فالمنكوحة واحدة.

قال أبو البقاء: "فواحدة" أي: فانكحوا واحدة، ويقرأ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: فالمنكوحة واحدة. ويجوز أن يكون التقدير: فواحدة تكفي"(٣).

٣ـ أن تكون "فواحدةٌ" فاعلا لفعل محذوف تقديره: فكفت أو فتكفيكم واحدة. قال الإمام الزمخشري: "وقرئ: (فواحدة) بالرفع على: فالمقنع واحدة، أو فكفت

(١) يراجع التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٧٣).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٢٤٧)، والبدور الزاهرة ص (٧٦).

(٣) يراجع التبيان في إعراب القرآن (١/ ٣٢٩).

واحدة، أو فحسبكم واحدة"[1].

فائدة القراءة:

الآية الكريمة تتحدث عن إباحة تعدد الزوجات بشرط العدل بينهن في المعاملة والحقوق الظاهرة لا في الميل القلبي والشعور الباطني إذ لا قبل للإنسان به، فإن خاف الإنسان عدم العدل فعليه الاقتصار على واحدة فهي تكفيه، وتكون والحالة هذه أدعى لصفاء الحياة ودوام الألفة والمودة، وأقرب إلى اجتناب الجور والظلم، وإذا كان الظلم حراما فالوسيلة إليه محرمة؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، وإذا كان العدل يتحقق بترك التعدد فالاقتصار على الواحدة واجب وما سواه محظور.

فقراءة الجمهور بالنصب على تقدير فعل أمر محذوف هي الأصل لملائمتها لما سبق في قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[النساء: ٣]. ويكون تقدير الفعل: انكحوا أو تزوجوا أو اختاروا واحدةً، والأولى تقديره: (اختاروا) ليصح عطف (أو ما ملكت أيمانكم) على قوله: (فواحدة)؛ إذ إن ملك اليمين لا يعقد عليها إلا إذا قصد بالنكاح الوطء لا العقد.

قال محمد بن مصلح الدين القوجوي: "إن كان الفعل المقدر (فاختاروا) تكون كلمة (أو) لعطف ما ذكر بعدها على قوله: "فواحدة"، وإن كان (فانكحوا) تكون (أو) لعطف فعل مقدر على (فاختاروا) المقدر ويكون التقدير: فانكحوا واحدة وطأوا ما ملكت أيمانكم، على طريق حذف المعطوف وإبقاء العاطف كما في علفتها تبنا وماء باردا أي: وسقيتها ماء[2]، واحتيج إلى تقدير المعطوف حينئذ؛ لأن المملوكات بملك

(١) يراجع الكشاف (١/ ٤٦٨).

(٢) هذا شطر بيت تمامه:

علفتها تبنا وماء باردا حتى شتت همالةً عيناها

البيت لم أعثر له على قائل، وهو مشهور عند النحاة. "شتت" يروى في مكانه "بدت" وهما بمعنى واحد،"همالة" صيغة مبالغة، من هملت العين، إذا همرت بالدموع. والمعنى: قد أشبعت الدابة تبنا، وأرويتها ماء حتى فاضت عيناها بالدموع من الشبع على عادة الدواب. فقيل: "ماء" منصوب بفعل يعطف =

اليمين لا يتعلق بهن عقد النكاح إلا أن يراد بالنكاح الناصب للمعطوف عليه عقد التزويج، وبناصب (ما ملكت) الوطء فيلزم استعمال المشترك في معنييه، والجمع بين الحقيقة والمجاز، وكلاهما لا يخلو عن تكلف"[(١)].

وأما قراءة أبي جعفر فجاءت بالرفع على الابتداء، وسوغ الابتداء بالنكرة اعتمادها على فاء الجزاء[(٢)] أو الخبرية، وبكليهما تكون الجملة اسمية فتفيد الثبوت والدوام والاستقرار، إن خفتم الجور ففي الواحدة مقنع وكفاية.

الموضع الخامس عشر: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤]. انفرد أبو جعفر بنصب هاء الجلالة في قوله: (حفظ اللَّهَ)، والباقون برفعها: (بما حفظ اللَّهُ)[(٣)].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور برفع الهاء من لفظ الجلالة على أنه فاعل الحفظ أي: بحفظ اللَّه للصالحات القانتات أن جعلهن كذلك.

وقرأ الإمام أبو جعفر بنصب اسم اللَّه على حذف مضاف أي: بما حفظن دين اللَّه وشرعه. قال أبو الفتح ابن جني: "هو على حذف المضاف؛ أي: بما حفظ دين اللَّه وشريعة اللَّه وعهود اللَّه، ومثله: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧] أي: دين اللَّه وعهود اللَّه وأولياء اللَّه، وحذف المضاف في القرآن والشعر وفصيح الكلام في عدد

= على: "علفتها"، والتقدير وسقيتها. وقيل لا حذف بل ضمن علفتها معنى أنلتها وأعطيتها. يراجع الصحاح (١/ ٣١٩)، والتعريفات ص (١٢)، والخصائص (٢/ ٤٣٣)، ولسان العرب (٢/ ٢٨٧)، ومغني اللبيب ص (٨٢٨).

(١) يراجع حاشية زاده (٣/ ٢٥٦).

(٢) يراجع الدر المصون (٣/ ٥٦٦).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٢٤٩)، والبدور الزاهرة ص (٧٩).

الرمل سعة"[1].

لكننا نجد الإمام الطبري في هذا الموضع يذكر أن النصب هنا قبيح في العربية وخارج عن عن المعروف من منطق العرب؛ لأن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر، من أجل أن الفاعل إذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب معروف[2].

ويأتي فارس الميدان الإمام ابن هشام ليجيب عن هذا الإشكال فيقول:

"أين الفاعل في قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني: "بِمَا حَفِظَ اللَّهَ" بنصب اسم اللَّه ﷻ ؟

الجواب: يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون اسم اللَّه تعالى فاعلا ولكنه نصب لفهم المعنى، فإنه من كلامهم أن الفاعل ربما نصب إذا أُمن الإلباس كقولهم: كسر الزجاجُ الحجرَ، وخرق الثوبُ المسمارَ. رويا برفع الزجاج والثوب، ونصب الحجر والمسمار. وعلى هذا فيتحد مع قراءة السبعة. والمعنى عليهما بحفظ اللَّه لهن، والمفعول محذوف كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. الثاني: أن يكون ضميرا مستترا في حفظ، وفي مرجعه وجهان:

أحدهما: النسوة المذكورات وذلك باعتبار المعنى دون اللفظ، أي بما حفظ هو أي بما حفظ من ذكر. والثاني: (ما) على أن تقدر موصولة واقعة على دينهن. أي حافظات للغيب بالذي حفظ اللَّه من دينهن وقد يقدح في الوجه الأول بأن ما اعتمد في إثباته ليس بحجة"[3].

فائدة القراءة:

جاءت قراءة القراءة بإسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، فالحفظ على الحقيقة من اللَّه، وطريق حفظ اللَّه لهن بأمرهن برعاية حق الزوج ونهيهن عن المخالفة والوقوع

(١) يراجع المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ١٨٨).

(٢) يراجع جامع البيان (٨/ ٢٩٧).

(٣) يراجع أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن لابن هشام ص (٨، ٩).

في المعصية فهو حفظ تكليفي، ثم حفظهن اللَّه وعصمهن من ذلك، فلولا حفظه وتوفيقه ما حفظن حق الزوج، وحفظ تعالى لهن حقهن حين أوصى الأزواج بهن، وأمر الرجال بإيتائهن مهورهن والإنفاق عليهن، ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]، فكأنه سبحانه يقول لهن: قد حفظتكن من الوقوع في المعصية، وحفظت لكن حقكن من مهر ونفقة فواجب عليكن في مقابلة هذا الحق حفظ حق الزوج، فهذا مقابل لذاك.

وجاءت قراءة أبي جعفر مبينة السبب في حفظ اللَّه لهن وهو امتثالهن أمر اللَّه، فحفِظْن اللَّهَ في بيوتهن فلم يدخلْن أحدا بيوتهن إلا بإذن أزواجهن، وحفظن ماله وحفظن أنفسهن، فهو حفظ عام يشمل حفظهن للأزواج في غيابهم وفي حضورهم من باب أولى، وحفظ أولادهم وأموالهم وأسرارهم، وهذه المحافظة من النساء الصالحات ـ على قراءة أبي جعفر ـ لحق اللَّه وحق الزوج وقعت بحفظ اللَّه إياهن ابتداء كما في قراءة الجمهور، فقد حفظن اللَّهُ بيان أمره ونهيه وحدوده، فوقع منهن الحفظ بالامتثال، ثم جاء الحفظ ثانيا من اللَّه بتوفيقه وعصمته.

قال الفخر الرازي: "(ما) في قوله: (بما حفظ اللَّه) فيها وجهان: الأول: بمعنى الذي، والعائد إليه محذوف، والتقدير: بما حفظه اللَّه لهن، والمعنى أن عليهن أن يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ اللَّه حقوقهن على أزواجهن، حيث أمرهم بالعدل عليهن وإمساكهن بالمعروف وإعطائهن أجورهن، فقوله: (بما حفظ اللَّه) يجري مجرى ما يقال: هذا بذاك، أي هذا في مقابلة ذاك.

والوجه الثاني: أن تكون (ما) مصدرية، والتقدير: بحفظ اللَّه، وعلى هذا التقدير ففيه وجهان: الأول: أنهن حافظات للغيب بما حفظ اللَّه إياهن، أي لا يتيسر لهن حفظ إلا بتوفيق اللَّه، فيكون هذا من باب إضافة المصدر إلى الفاعل. والثاني: أن المعنى: هو أن المرأة إنما تكون حافظة للغيب بسبب حفظهن اللَّه أي بسبب حفظهن حدود اللَّه وأوامره، فإن المرأة لولا أنها تحاول رعاية تكاليف اللَّه وتجتهد في حفظ أوامره لما

أطاعت زوجها، وهذا الوجه يكون من باب إضافة المصدر إلى المفعول"[1]. والجمهور على رفع الجلالة من (حفظ اللَّه). وفي (ما) على هذه القراءة ثلاثة أوجه، أحدها: أنها مصدرية والمعنى: بحفظ اللَّه إياهن أي: بتوفيقه لهن أو بالوصية منه تعالى عليهن. والثاني: أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي: بالذي حفظه اللَّه لهن من مهور أزوجهن والنفقة عليهن قاله الزجاج. والثالث: أن تكون (ما) نكرة موصوفة، والعائد محذوف أيضا كما تقرر في الموصولة بمعنى الذي.

وقرأ أبو جعفر بنصب الجلالة، وفي (ما) ثلاثة أوجه أيضا، أحدها: أنها بمعنى الذي، والثاني: نكرة موصوفة، وفي (حفظ) ضمير يعود على (ما) أي: بما حفظ من البر والطاعة. ولا بد من حذف مضاف تقديره: بما حفظ دين اللَّه أو أمر اللَّه؛ لأن الذات المقدسة لا يحفظها أحد. والثالث: أن تكون (ما) مصدرية، والمعنى بما حفظن اللَّه في امتثال أمره، وساغ عود الضمير مفردا على جمع الإناث لأنهن في معنى الجنس، كأنه قيل: ممن صلح، فعاد الضمير مفردا بهذا الاعتبار، ورد الناس هذا الوجه بعدم مطابقة الضمير لما يعود عليه وهذا جوابه[2].

الموضع السادس عشر: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾[النساء: ٩٤]. قرأ ابن وردان بفتح الميم الثانية من "مؤمَنا"، والباقون بكسرها[3].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور: "لست مؤمِنا" على أنه اسم فاعل من الإيمان، وقرأ ابن وردان عن أبي جعفر: "لست مؤمَنا" اسم مفعول من الأمن. قال الإمام الطبري: "يا أيها الذين

(١) يراجع مفاتيح الغيب (١٠/ ٧١).

(٢) يراجع الدر المصون (٣/ ٦٧٠، ٦٧١).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٢٥١)، والبدور الزاهرة ص (٨٣).

صدقوا اللَّه وصدقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم "إذا ضربتم في سبيل اللَّه"، يقول: إذا سرتم مسيرا للَّه في جهاد أعدائكم "فتبينوا" يقول: فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره، ولا تتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علمتموه يقينا حربا لكم وللَّه ولرسوله، "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم" يقول: ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم، "لست مؤمنا" فتقتلوه ابتغاء "عرض الحياة الدنيا"، فإن "عند اللَّه مغانم كثيرة" من رزقه وفواضل نعمه، فهي خير لكم إن أطعتم اللَّه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فأثابكم بها على طاعتكم إياه، فالتمسوا ذلك من عنده، "كذلك كنتم من قبل" أي: كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلم فقلتم له: "لست مؤمنا" فقتلتموه، كذلك كنتم أنتم من قبل، يعني: من قبل إعزاز اللَّه دينه بتباعه وأنصاره، تستخفون بدينكم، كما استخفى هذا الذي قتلتموه وأخذتم ماله، بدينه من قومه أن يظهره لهم، حذرا على نفسه منهم"[(١)]. وأوردوا في سبب نزول الآية آثارا أصحها ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: " كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل اللَّه في ذلك إلى قوله: (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تلك الغنيمة"[(٢)].

(١) يراجع جامع البيان (٩/ ٧٠، ٧١).

(٢) صحيح البخاري، ك: تفسير القرآن، ب: "وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا"، ح رقم (٤٥٩١)، وصحيح مسلم، ك: التفسير، ح رقم (٣٠٢٥). اختلف في القائل والمقول له على أقوال ذكرها الإمام السيوطي في الإتقان فقال: "لست مؤمنا" هو عامر بن الأضبط الأشجعي، وقيل: مرداس، والقائل ذلك نفر من المسلمين منهم أبو قتادة وملحم بن جثامة، وقيل: إن الذي باشر القول محلم، وقيل: إنه الذي باشر قتله أيضا، وقيل: قتله المقداد بن الأسود، وقيل: أسامة بن زيد. وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد اللَّه بن أبي حدرد قال: "بعثنا رسول اللَّه ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي، وَمُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ بن قيس "، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر الأشجعي على قعود له، معه مُتَيِّعٌ وَوَطْبٌ ["مُتيِّع" بتشديد الياء: تصغير متاع. "وَطْب" بفتح فسكون: سِقاءُ اللبن يُتَّخذ من جلدٍ]، من لبن، فلما مر بنا سلم علينا، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله بشيء كان =

فائدة القراءة:

هذه الآية الكريمة ترشدنا إلى التريث والتثبت في الأمور، وأنه ليس من شأن المؤمن أن يقول لمن استسلم وانقاد لأمر المسلمين ـ على قراءة "السلم" ـ[1] أو ألقى إليهم تحية الإسلام ـ على قراءة "السلام" ـ فأظهر ما يدل على إسلامه علامة على دخوله في هذا الدين ـ لا ينبغي أن يقال له: لست مؤمنا إنما تقول هذه الكلمة خشية القتل بل اقبلوا منه ما أظهر وعاملوه بموجبه، ولما كان الانقياد والاستسلام لا يظهر بسهولة ويسر جاءت قراءة (السلام) لتزيد من التثبت والاحتراز والتأني حتى لا يقدم الإنسان على دم معصومة أو مجهولة الحال، فالدماء لها حرمتها لا يقدم المسلم عليها إلا بيقين، وفي هذا باب عظيم من الفقه وهو أن الأحكام تناط بالظاهر إذ لا اطلاع للمرء على السرائر.

فقراءة الجمهور تبين أن المسلم لا ينبغي أن يقول لمن ألقى الاستسلام والصلح أو ألقى للمسلمين تحية الإسلام: لست مؤمنا أي: ليس لإيمانك حقيقة إنما تلفظت بلفظة الإيمان خشية القتل.

وقراءة أبي جعفر تبين أن من ألقى تحية الإسلام وأظهر الاستلام ينبغي أن يُؤَمَّن ويعامل بموجب ما أظهره، فلا يقال له: لست مؤمَنا أي: لا نؤمنك ولا نعطيك أمانا في نفسك، بل أعطوه الأمان ولا تقدموا على قتله لتأخذوا ماله وتصيبوا عرض الدنيا، بل

= بينه وبينه، وأخذ بعيره ومتيعه، فلما قدمنا على رسول اللَّه ﷺ، وأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن: (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللَّه فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند اللَّه مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن اللَّه عليكم فتبينوا إن اللَّه كان بما تعملون خبيرا)[النساء: ٩٤]. قال الإمام ابن حجر: "وهذه عندي قصة أخرى ولا مانع أن تنزل الآية في الأمرين معا". يراجع مسند أحمد، مسند عبد اللَّه بن أبي حدرد، ح رقم (٢٣٨٨١)، (٣٩/ ٣١٠)، والإتقان، النوع السبعون، في المبهمات، (٤/ ٩٧)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٥٩).

(١) قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن عامر وحمزة وخلف بحذف الألف بعد اللام: (السلم). والباقون بإثباته: (السلام). يراجع النشر (٢/ ٢٥١)، والبدور ص (٨٣).

كفوا عنه واقبلوا منه، فكذلك كنتم من قبل فمن اللَّه عليكم.

الموضع السابع عشر: قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[المائدة: ٣١ – ٣٢].

انفرد أبو جعفر بكسر همزة (أَجْل) ونقل حركتها إلى النون قبلها، فينطق بالنون مكسورة وبعدها الجيم الساكنة: (منِ جْل)، وإذا وقف على (من) ابتدأ بهمزة مكسورة: (إِجْل)[(١)].

معنى القراءة:

(أَجْل) و (إِجْل) لغتان في الكلمة. قال أبو الفتح ابن جني: "يقال: فعلت ذلك من أَجْلك ومن إِجْلك بالفتح والكسر، ومن إِجْلَاك ومن جَلَلِك ومن جَلَالِك ومن جَرَّاك"[(٢)].

قرأ أبو جعفر بكسر الهمزة: (إجل) وهي لغة في (أجل) بمعنى الجناية، ثم نقل حركة الهمزة ـ تخفيفا ـ إلى الساكن قبلها وهي النون، وحذف الهمزة.

قال صاحب المفردات: "الأجل: الجناية التي يُخاف منها آجلا، فكل أجل جناية وليس كل جناية أجلا، يقال: فعلت كذا من أجله، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، أي: من جراء، وقرئ: (من إجل ذلك) بالكسر. أي: من جناية ذلك"[(٣)].

وقال السمين الحلبي: "الأجْل في الأصل هو الجناية، يقال: أَجَل الأمر إجْلا وأجْلا بفتح الهمزة وكسرها إذا جناه، ومعنى قول الناس: فعلته من أجلك ولأجلك أي:

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٥٤)، والبدور الزاهرة ص (٩٢).

(٢) يراجع المحتسب (١/ ٢٠٩).

(٣) يراجع المفردات ص (٦٦).

بسببك، وكذلك قولهم: فعلته من جرَّائك، أصله من أن جررته، ثم صار يستعمل بمعنى السبب"[1].

فائدة القراءة:

بعد بيان معنى القراءتين يظهر أن فتح الهمزة وكسرها لغتان في كلمة (أجل)، إلا إن قراءة الإمام أبي جعفر زادت شيئا على قراءة الجمهور وهو نقل حركة الهمزة المكسورة إلى النون، فالهمزة حرف من الحروف الثقيلة وتخلصت العرب من ثقلها بأمور، كالتسهيل والإبدال والحذف والنقل، فقراءة أبي جعفر يفيد التيسر والتخفيف والسهولة، فمن تخفيف اللَّه لعباده ومن رحمته بهم شرع هذا الحكم، وقضى أن قتل نفس واحدة عدوانا يعادل قتل الناس جميعا مبالغة وتغليظا، وإحياء نفس واحدة معادل لإحياء الناس جميعا، وخص بنو إسرائيل بمزيد التشديد والتغليظ لقسوة قلوبهم، وامتناعهم من الامتثال لأوامر ربهم، حتى قتلوا أنبياءه.

قال الإمام أبو عمرو الداني: "وقال نافع: (من أجل ذلك) تمام، فجعل (من) صلة لـ (النادمين) أو لقوله: (فأصبح). والوجه أن تكون (من) صلة لـ (كتبنا) بتقدير: من أجل قتل قابيل هابيل كتبنا على بني إسرائيل. وهو قول الضحاك، فلا تفصل من ذلك"[2].

وما ذكره الإمام الداني عن نافع محتمل، وهو أن تكون (من أجل ذلك) صلة لـ (النادمين) على معنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك أي: ندم من أجل قتله أخاه ولم يواره، فيكون الوقف على (من أجل ذلك) تاما.

لكن الأولى ما رجحه الإمام الداني من أن (من أجل ذلك) ابتداء كلام ليس متعلقا بما قبله، وإنما هو متصل بقوله: (كتبنا)، ومما يؤيد ذلك:

١ـ أن (فأصبح من النادمين) رأس آية، والآية في أصلها فصل للكلام.

٢ـ وصل (من أجل ذلك) بقوله: (كتبنا) يبين علة القضاء والكتب، ويوضح فائدته،

(١) يراجع الدر المصون (٤/ ٢٤٧، ٢٤٨).

(٢) يراجع المكتفى في الوقف والابتدا ص (٦٠).

وهو أن اللَّه حكم وفرض ذا الحكم من أجل هذه الجناية، ومن جرَّاء هذه النازلة، وما يحدث من وراءها من مفاسد. قال القرطبي: "وخص بني إسرائيل بالذكر- وقد تقدمتهم أمم قبلهم كان قتل النفس فيهم محظورا- لأنهم أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل الأنفس مكتوبا، وكان قبل ذلك قولا مطلقا، فغلظ الأمر على بني إسرائيل بالكتاب بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء"(١).

قال الكيا الهراسي: "فيه بيان أن كل ندم ليس بتوبة، وأن ابن آدم القاتل لم يندم على وجه القربة إلى اللَّه تعالى وخوف عقابه، وإنما كان ندمه من حيث اتقى جانب أبويه وذويه، واستوحش منهم، ولم يهنه ما فعله في دنياه، وانتبذ بعيدا عنهم، فندم لذلك، ولو ندم على وجه التوبة لأوشك أن يقبل اللَّه تعالى منه ذلك"(٢).

الموضع الثامن عشر: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[الأعراف: ٥٨]. قرأ ابن وردان بخلف عنه بضم الياء وكسر الراء: "يُخْرِجُ" من قوله: "لا يخرج إلا نكدا"، والباقون بفتح الياء وضم الراء: "لا يَخْرُجُ"، وهو الوجه الثاني لابن وردان. وقرأ أبو جعفر بفتح الكاف من "نكَدًا"، والباقون بكسرها: "نكِدًا"(٣).

قلت: لا خلاف بين القراء في قوله: "يَخرُج نباته" فقد قرأ الجميع بفتح الياء وضم الراء، وقد ذكر أبو البقاء أن خلاف القراء فيها، ووجه ذلك فقال: "قوله تعالى: (يخرج نباته): يقرأ بفتح الياء وضم الراء ورفع النبات، ويقرأ كذلك إلا أنه بضم الياء على ما لم يسم فاعله، ويقرأ بضم الياء وكسر الراء، ونصب النبات؛ أي: فيخرج اللَّه، أو الماء، (بإذن ربه) متعلق بـ (يخرج)"(٤). والصواب أن خلافهم في (لا يخرج إلا نكدا)، ولا

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٩٤٦).
(٢) يراجع أحكام القرآن للكيا الهراسي (٣/ ٦٢).
(٣) يراجع النشر (٢/ ٢٧٠)، والبدور الزاهرة ص (١١٨).
(٤) يراجع التبيان في إعراب القرآن (١/ ٥٧٦).

خلاف بينهم في (يخرج نباته).

وحاصل القراءات المتواترة في هذه الجملة ثلاث: ١ـ الوجه الأول عن ابن وردان: "لا يُخْرِج إلا نكَدا".

٢ـ رواية ابن جماز والوجه الثاني عن ابن وردان: "لا يَخْرُج إلا نكَدا".

٣ـ قراءة الباقين: "لا يَخْرُج إلا نكِدا".

معنى القراءة:

قال الراغب: " النكد: كل شيء خرج إلى طالبه بتعسر، يقال: رجل نكَد ونكِد، وناقة نكداء: طفيفة الدر صعبة الحلب". وقال الفيروز آبادي: "نكِد عيشهم، بالكسر، ينكَد نكَدا: اشتد. قال اللَّه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا ﴾ أى: قليل النُّزْل والرَّيْع[1]، وهذا مثل لقلوب الكافرين. ورجل نكِد ونكَد، أى عسر، وقوم أنكاد ومناكيد. ونكدنى فلان حاجتى أى منعنى إياها. وعطاء منكود: نزر قليل"[2].

قرأ ابن وردان: "لا يُخْرِجُ" على أنه من الرباعي: (أخرج)، يقال: أخرج يُخْرج، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره: (هو) يعود على النبات، والفعل هنا متعد يحتاج مفعولا، و (نكدا) مفعوله. وقرأ الباقون: "لا يَخْرُج" على أنه من (خرج) الثلاثي، يقال: خرج يَخْرُج، والفاعل أيضا ضمير مستتر يعود على النبات.

وأما قراءة: "نكِدا" بكسر الكاف فيجوز فيها وجهان:

١ـ النصب على الحالية أي: نبات البلد الذي خبث لا يخرج إلا حال كونه نكِدا عسرا. قال الإمام البيضاوي: "ونصبه على الحال وتقدير الكلام، والبلد الذي خبث لا يخرج نباته إلا نكدا، فحذف المضاف [النبات]، وأقيم المضاف إليه [ضمير الهاء

(١) النُّزْل: ما يهيأ للنزيل، والجمع الأنزال. والنُّزْل أيضا: الريْع. يقال: طعام كثير النُّزْل والنَزَل بالتحريك. الرَّيْع: النماء والزيادة. وأرض مَرِيعة بفتح الميم، أي مُخْصِبَة. يراجع الصحاح (٥/ ١٨٢٨)، مادة (نزل)، ونفس المصدر (٣/ ١٢٢٣)، مادة (ريع).

(٢) يراجع المفردات ص (٨٢٣)، وبصائر ذوي التمييز (٥/ ١١٩).

العائد إلى البلد] مقامه، فصار مرفوعا مستترا [لوقوعه موقع الفاعل]"[١]. ٢ـ أن تكون نعت مصدر محذوف، تقديره: لا يَخْرج إلا خروجا نكدا.

وقراءة أبي جعفر: "نكَدا" نصب على المصدرية، أي: لا يخرج إلا ذا نكَد.

قال أبو جعفر النحاس: (لا يخرج إلا نكدا) نصب على الحال، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى ذا نكد، وقرأ أبو جعفر (إلا نكَدا) فهذا مصدر بمعنى ذا نكد"[٢].

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور بينت الكيفية التي يخرج عليها نبات الأرض الخبيثة، وهو أن خروجه منحصر في حالة واحدة هي خروجه نكدا عسرا قليلا، كأنه لا يخرج إلا على هذا الحال، ولا يكون إلا على هذه الكيفية؛ لأنه انطبع على هذه الصفة، وكذلك الكافر لا ينتفع بالمواعظ والآيات الشرعية والكونية، ولا يظهر أثرها فيه. قال مكي بن أبي طالب: "هذا مثل ضربه اللَّه لروح المؤمن، وروح الكافر، فالمؤمن يرجع روحه الطيب إلى جسده سهلاً طيباً كما خرجت إذا مات، والكافر لا يرجع روحه إلى جسده إلا بالنكد كما خرج. وقيل: هو مثل ضربه اللَّه للمؤمن والكافر، فشبه المؤمن بالبلد الطيب إذا أصابه المطر أخرج نباته بإذن ربه، كذلك المؤمن إذا سمع الهدى قَبِلَهُ بإذن ربه، وشبه الكافر بالأرض السَّبِخَةِ المالحة وهي التي خبثت لا تخرج النبات إلا نكداً"[٣].

وقراءة أبي جعفر "نكَدا" على المصدر لتأكيد المعنى والمبالغة في أن النبات في الأرض الذي خبثت لا يخرج أصلا وإن أخرجت أرضه فهي لا تخرج إلا النكد، وجاء التعبير في الأرض الطيبة بقوله: "والبلد الطيب" ليدل على ثباته واستقراره وأنه هو الأصل، وفي جانب الخبيث جاء التعبير بالاسم الموصول دون التعبير بـ (الخبيث) ليدل على أن الخبث ليس أصلا بل هو عارض وطارئ.

(١) يراجع أنوار التنزيل (٣/ ١٧).

(٢) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٥٨، ٥٩).

(٣) يراجع الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٢٤١٣).

قال الطاهر ابن عاشور: "والذي يظهر لي: أن يكون (الذي) صادقا على نبات الأرض، والمعنى: والنبت الذي خبث لا يخرج إلا نكدا، ويكون في الكلام احتباك[1] إذ لم يذكر وصف الطيب بعد نبات البلد الطيب، ولم تذكر الأرض الخبيثة قبل ذكر النبات الخبيث، لدلالة كلا الضدين على الآخر. والتقدير: والبلد الطيب يخرج نباته طيبا بإذن ربه، والنبات الذي خبث يخرج نكدا من البلد الخبيث، وهذا صنع دقيق لا يهمل في الكلام البليغ"[2].

الموضع التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]. انفرد أبو جعفر بضم الطاء من "يبطشون"، والباقون بكسرها[3]. وهكذا في كل موضع ورد فيه هذا الفعل في القرآن، وقد ورد في ثلاثة مواضع، هنا وفي سورة القصص في قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ [القصص: ١٩]. وفي سورة الدخان في قوله: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[الدخان: ١٦].

معنى القراءة:

قراءة: "يبطشون" بالكسر والضم لغتان في الكلمة. قال أبو عبيدة: بطش يبطِش

---

(١) الاحتباك: أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول، ومأخذ هذه التسمية من الحبك، وهو الشد والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب هو سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه إحكاما يمنع عنه الخلل، مع الحسن والرونق.
ومثاله: قول اللَّه ﷻ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ١٣] أي: "قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة" مؤمنة "تقاتل في سبيل اللَّه وأخرى كافرة" تقاتل في سبيل الطاغوت. فحذف الوصف وهو لفظ "مؤمنة" في الأوائل لدلالة مقابله في الأواخر لفظ "كافرة"، وحذف من الأواخر جملة "تقاتل في سبيل الطاغوت" لدلالة مقابله في الأوائل، وهي جملة "تقاتل في سبيل اللَّه". يراجع خزانة الأدب (٣/ ٢٥٧-٢٥٨)، والبلاغة العربية (١/ ٣٤٧)، (٢/ ٥٤).

(٢) يراجع التحرير والتنوير (٨/ ١٨٦).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٢٧٤)، والبدور ص (١٢٧).

ويبطُش بكسر الطاء ورفعها[١].

قال ابن منظور: "البطش: التناول بشدة عند الصولة والأخذ الشديد في كل شيء، بطش بطش يبطِش ويبطُش بطشا. والبطش: الأخذ القوي الشديد، وفي التنزيل: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾[الشعراء: ١٣٠]. قال الزجاج: جاء في التفسير أن بطشهم كان بالسوط والسيف، وإنما أنكر اللَّه تعالى ذلك؛ لأنه كان ظلما، فأما في الحق فالبطش بالسيف والسوط جائز، والبطشة: السطوة والأخذ بالعنف"[٢].

فائدة القراءة:

في هذه الآية الكريمة تقريع للمشركين وتبكيت لهم في عبادتهم الأصنام، وبيان أنها مربوبة لا تضر ولا تنفع، ، وأنهم عباد للَّه أمثالكم، فكيف يعبد العاقل من هو مثله بل أخس منه، فإن الإنسان يسمع ويبصر ويعقل وهذه المخلوقات جماد لا تتحرك، فالقراءتان لغتان في الكلمة، "يبطِشون" من باب ضرب يضرب، و "يبطُشون" من باب خرج يخرج، فهي تؤكد بكل طريق أن هذه المخلوقات لا تملك لنفسها من الأمر شيئا فضلا عن أن تملك لعابديها، ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٢].

الموضع العشرون: قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ [الأنفال: ٦٦]. قرأ أبو جعفر (ضعفا) بضم الضاد وفتح العين والفاء وبعدها ألف وبعد الألف همزة مفتوحة غير منونة والمد عنده متصل: (ضُعَفاء). وقرأ عاصم وحمزة وخلف بفتح الضاد: (ضَعفا)، والباقون بضمها: (ضُعفا)[٣].

معنى القراءة:

قرأ أبو جعفر: (ضعفاء) جمع ضعيف، يقال: كريم وكرماء، ورحيم ورحماء. وقرأ

(١) يراجع غريب الحديث لإبراهيم الحربي (٣/ ١١٦٣).

(٢) يراجع لسان العرب (٦/ ٢٦٧)، مادة (بطش).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٢٧٧)، والبدور الزاهرة ص (١٣٢).

الباقون: (ضعفا) بفتح الضاد وضمها على المصدرية، وهما لغتان في الكلمة، يقال: ضعُف ضَعفا وضُعفا.

قال الراغب: الضعف: خلاف القوة، وقد ضعف فهو ضعيف. قال ﷻ: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[الحج: ٧٣]، والضعف قد يكون في النفس، وفي البدن، وفي الحال، وقيل: الضعف والضعف لغتان. قال الخليل: الضُعف بالضم في البدن، والضَعف في العقل والرأي، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾[البقرة: ٢٨٢]، [قلت: هذا القول بالتفريق في المعنى بين الضَعف والضُعف ـ ترده الآية التي معنا في سورة الأنفال؛ لأن الضعف فيها ضعف في البدن، وجاءت القراءة فيها بالفتح والضم، وهذا يدل على أنهما لغتان في الكلمة]، وجمع الضعيف: ضعاف، وضعفاء. قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾[التوبة: ٩١][1].

فائدة القراءة:

هذه الآية ناسخة لما قبلها في قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[الأنفال: ٦٥]، فقد أمر اللَّه فيها المؤمنين بالثبات أمام الكافرين، وإن كان في مقابل الواحد عشرة ووعدهم بالغلب والنصر بعونه وتأييده، ثم خفف عنهم في هذه الآية ورفع عنهم وجوب ثبات الواحد أمام عشرة وأمر بالثبات للواحد أمام اثنين فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ فكان هذا التخفيف من اللَّه تعالى لضعفهم. قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: "لما نزلت: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾ شق ذلك على المسلمين، حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ ﴾[الأنفال: ٦٦] قال: فلما خفف اللَّه عنهم من العدة

(١) يراجع المفردات ص (٥٠٦، ٥٠٧).

نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم"[١].

وذكر جمع من العلماء الآية الأولى في جملة الآيات المنسوخة. قال أبو القاسم المقري: "وكان فرضا على الرجل أن يقاتل عشرة، فمتى فر كان موليا للدبر، فعلم اللَّه تعالى عجزهم فيسر وخفف، فنزلت الآية التي بعدها فصارت ناسخة لها فقال: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾، والتخفيف لا يكون إلا من ثقل، فصار فرضا على الرجل أن يقاتل رجلين، فإن انهزم منهما كان موليا للدبر وإن انهزم عن أكثر لم يكن موليا للدبر بدليل ظاهر الآية"[٢].

فكان الفرض على الرجل في الآية الأولى بثبات المؤمن أمام عشرة، فنسخ ذلك بوجوب الثبات لرجلين، فإن زاد العدد عن اثنين جاز له الفرار.

ولكن بعض العلماء أنكر نسخ الآية الأولى، وذكر أنها من قبيل التخفيف للحكم. قال أبو جعفر النحاس عقب ذكر الآية ونقله لأثر ابن عباس: "وهذا شرح بين حسن أن يكون ذا تخفيفا لا نسخا؛ لأن معنى النسخ رفع حكم المنسوخ ولم يرفع حكم الأول؛ لأنه لم يقل فيه: لا يقاتل الرجل عشرة، بل إن قدر على ذلك فهو الاختيار له، ونظير هذا إفطار الصائم في السفر لا يقال إنه نسخ الصوم، وإنما هو تخفيف ورخصة، والصيام له أفضل"[٣].

قلت: دعوى عدم نسخ الآية وعدها من قبيل تخفيف الحكم، واعتبار حكم الآية الأولى باقيا ـ بعيدة، والقول بالنسخ هو الصواب، ووجه ذلك أن الآية الأولى أفادت وجوب ثبات الواحد من المسلمين أمام عشرة من الكافرين، والآية الثانية أفادت

(١) صحيح البخاري، ك: تفسير القرآن، ب: "الآن خفف اللَّه عنكم وعلم أن فيكم ضعفا"، ح رقم (٤٦٥٣). (العدة) العدد الذي يجب عليهم الثبات عند لقائه. (نقص من الصبر) أي من صبر المسلمين وثباتهم عند لقاء عدوهم.

(٢) يراجع الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم المقري ص (٩٤). ذكرها القاسم بن سلام في كتابه الناسخ والمنسوخ ص (١٩٣)، وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٢/ ٤٥٣).

(٣) يراجع الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص (٤٧٠).

وجوب ثبات الواحد أمام اثنين، وهما حكمان متعارضان، فلزم المصير إلى القول بالنسخ، فالوقوف والثبات وعدم الفرار أمام عشرة كان فرضا واجبا، ونسخت هذه الفرضية ورفع هذا الوجوب وصار المؤمن مخيرا أمام العشرة بين الثبات والصبر أو الفرار، وأصبح الواجب هو عدم الفرار أمام اثنين فقط، ومعلوم أن التخيير يعارض الإلزام والإيجاب. وقراءة الجمهور: (ضعفا) فيها أن الضعف واقع في أفراد الناس، وقد علم اللَّه من قبل ذلك التخفيف الضعف فيهم فوقع الضعف فنزل التخفيف في التكليف. وقراءة أبي جعفر: (ضعفاء) بيان أن هذا الحكم شرعه اللَّه للجميع بسبب بعض الضعفاء، فإذا كان هناك ضعفاء أنزل اللَّه التخفيف لأجلهم فهناك جمع منهم عندهم من القوة والصبر ما يستطيعون به الثبات أمام الأعداد الكبيرة، ودونك تاريخ المسلمين فهو خير شاهد على ذلك، وانظر على سبيل المثال ما لاقاه المسلمون وما حدث لهم في غزوة مؤتة حين لقي ثلاثة آلاف من المسلمين مائتي ألف من الروم[1].

الموضع الحادي والعشرون: قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[الأنفال: ٦٧]. قرأ أبو جعفر (أُسَارى) بضم الهمزة وبألف بعد السين، وقرأ الباقون (أَسْرى) بفتح الهمزة، وإسكان السين من غير ألف بعدها[2].

معنى القراءة:

قراءة: "أسرى" جمع أسير، وهو جمع جاء على القياس في (فعيل)، يقال: جريح وجرحي، ومريض ومرضى، وقتيل وقتلى.

وأما قراءة أبي جعفر فقيل فيها: ١ـ هي جمع الجمع، يقال: أسير وأسرى وأسارى. قال ابن خالويه: "فالحجة لمن أثبتها: أنه أراد: جمع الجمع. والحجة لمن طرحها: أنه أراد جمع أسير. وقال أبو عمرو: الأسرى: من كانوا في أيديهم أو في الحبس.

(١) يراجع الروض الأنف للسهيلي (٧/ ١٠، ١٢).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٢٧٧)، والبدور ص (١٣٣).

والأسارى: من جاء مستأسرا"[١]. وهذه التفرقة التي ذكرها عن أبي عمرو ردها أبو علي الفارسي وقال: "والعرب لا تعرف ذلك، كلاهما عندهم سواء"[٢].

٢ـ ذهب بعض العلماء إلى أن (أسارى) جمع أسير تشبيها له بـ (كسلان)، فكما شبه أسير بـ (كسلان)، شبه (أسارى) بـ (كسالى). وكذلك شبه (كسلان) بـ (أسير) فقيل في جمعه: (كسلى) تشبيها له بـ (أسرى). قال سيبويه: "أسارى، شبهوه بقولهم: كسالى. وقالوا: كسلى فشبهوه بأسرى"[٣].

فائدة القراءة:

هذه الآية نزلت في شأن أسرى بدر، روى الإمام مسلم في الحديث الطويل في هذا الشأن: "فلما أسروا الأسارى، قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي اللَّه، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى اللَّه أن يهديهم للإسلام، فقال رسول اللَّه ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا واللَّه يا رسول اللَّه، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمَكِّنا فنضربَ أعناقهم، فتمكنَ عليا من عَقِيل فيضربَ عنقه، وتمكِّنِّي من فلان نَسِيبا لعمر فأضربَ عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول اللَّه ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول اللَّه، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول اللَّه ﷺ: "أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِضَ علي عذابُهم أدنى من هذه الشجرة – شجرة قريبة من نبي اللَّه ﷺ – وأنزل اللَّه ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ ﴾

(١) يراجع الحجة في القراءات السبع ص (١٧٣).

(٢) يراجع الحجة للقراء السبعة (٤/ ١٦٥).

(٣) يراجع الكتاب لسيبويه (٣/ ٦٥٠).

[الأنفال: ٦٩] فأحل اللَّه الغنيمة لهم"[(١)].

يخبر اللَّه ﷻ في هذه الآية الكريمة أنه ما صح ولا استقام لنبي أن يكون له أسرى ويقبل الفداء إلا بعد أن يثخن في الأرض، وفيها عتاب للمؤمنين لإيثارهم الفداء على المبالغة في القتل؛ لأن غزوة بدر أول معركة حاسمة بين أهل الإيمان والشرك، والمسلمون يومئذ قليل مستضعفون، والمشركون كثر مستقوون، فكان الإثخان أولى وأدعى لكسر شوكة المشركين وردعهم، فلما كثر المسلمون وقوي سلطانهم نزل بعد ذلك قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[محمد: ٤]، وليس بين هذه الآية والتي معنا تعارض، خلافا لما ادعاه البعض من أن الآية منسوخة[(٢)] بآية سورة محمد ﷺ، والصحيح أنها محكمة غير منسوخة؛ إذ لا يصار للنسخ إلا عند تعذر الجمع.

ثم إن الآية عتاب للنبي ﷺ والمؤمنين في عدم المبالغة في القتل يوم بدر، ولقبولهم الفداء، ولو كان هذا تحريما ومنعا لما أخذ الفداء ولعدل إلى قتلهم فور نزول الآية. فكلتا الآيتين يدل على أن الإثخان مقدم وبعده يجوز المن أو الفداء.

قال أبو جعفر النحاس: "وهذا كله من الناسخ والمنسوخ بمعزل؛ لأنه قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ فأخبر بهذا، فلما أثخن في الأرض كان له أسرى واختلف في الحكم فيهم"[(٣)].

قال ابن الجوزي: "وليس للنسخ وجه؛ لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قلة، فلما كثروا واشتد سلطانهم نزلت الآية الأخرى، ويبين هذا قوله: ﴿ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾"[(٤)].

(١) صحيح مسلم، ك: الجهاد والسير، ب: ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه، ح رقم (١٧٦٣).

(٢) ذكر الآية ضمن الآيات المنسوخة القاسم بن سلام في كتابه الناسخ والمنسوخ ص (٢٠٩).

(٣) يراجع الناسخ والمنسوخ للنحاس ص (٤٧٢).

(٤) يراجع نواسخ القرآن لابن الجوزي (٢/ ٤٥٥).

وقراءة الجمهور في الآية: "أسرى" جاءت على القياس في جمع (فعيل) على (فعلى) كما في: قتيل وقتلى، ومريض ومرضى، والعرب تجمع على (فعلى) ما كان به مرض أو دمامة أو بلية أو مصيبة، ولما كان الأسر مصيبة وبلية ابتلوا بها وأصيبوا بها تمنعهم من النهوض جُمِع جَمْع ذوي العاهات فقيل: أسير وأسرى. قال الشيخ خالد الأزهري: "(فَعْلى) بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو جمع لما دل على آفة من هلك أو توجع أو نقص ما من (فعيل)، حال كونه وصفا للمفعول، فالتوجع كـ جريح وجرحى، وأسير وأسرى، والهلك نحو: قتيل وقتلى، وصريع وصرعى"[(١)]. وقراءة أبي جعفر: (أسارى) جاءت جمعا للجمع، يقال: أسير وأسرى وأسارى، أو جمعا على غير قياس كما قال سيبويه تشبيها لها بـ(كسالى) لما بينهما من قلة النشاط وعدم التصرف.

الموضع الثاني والعشرون: قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[التوبة: ١٩]. قرأ ابن وردان بخلف عنه (سُقَاة) بضم السين وحذف الياء، و (عَمَرَة) بفتح العين وحذف الألف بعد الميم[(٢)].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور: (سقاية) و (عمارة) على المصدرية، وهذه القراءة تحتاج إلى تقدير مضاف محذوف؛ لأن السقاية والعمارة مصدر، و (من آمن) ذات وجوهر، ولا يشبه الحدث والفعل (المصدر) بالفاعل، فلزم تقدير المضاف ليتقابل الطرفان، وقدر المحذوف من الأول أو من الثاني، فعلى الحذف من الأول يكون التقدير: أجعلتم أصحاب أو أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن...، وعلى الحذف من الثاني يكون التقدير: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن....

(١) يراجع التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري (٢/ ٥٣٣).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٢٧٨)، والبدور ص (١٣٤).

وقرأ ابن وردان بخلف عنه: (سقاة) جمع (ساق) كـ (قاض)، يقال: قاضٍ وقضاة، وساقٍ وسقاة، ورامٍ ورماة.

و (عمرة) جمع (عامر)، يقال: فاجر وفجرة، وعامر وعمرة، وكافر وكفرة.

قال أبو جعفر النحاس: "﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴾ التقدير في العربية: أجعلتم أصحاب سقاية الحاج، وقيل التقدير: كإيمان من آمن باللَّه، وجعل الاسم موضع المصدر؛ إذ علم معناه مثل: إنما السخاء حاتم، وإنما الشعر زهير. ﴿ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ مثل: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[يوسف: ٨٢]، وقرئ: (أجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام) سقاة جمع ساق، والأصل فيه (سُقَيَة) على (فعلة) كذا الجمع المعتل من هذا نحو: قاض وقضاة، وناس ونساة"[(١)].

قلت: (سقاة) أصلها (سُقَية) تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصارت: (سقاة)[(٢)].

فائدة القراءة:

هذه الآية بيان أن العقيدة الصحيحة والإيمان باللَّه واليوم الآخر لا يعدله شئ، وإنكار على من يسوي بين سقاية الحجيج وعمارة البيت وبين الإيمان باللَّه. روى مسلم في صحيحه من حديث النعمان بن بشير، قال: كنت عند منبر رسول اللَّه ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أَعْمُر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل اللَّه أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول اللَّه ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ الآية

(١) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١١٢، ١١٣).

(٢) يراجع الأصول في النحو لابن السراج (١/ ٣٥)، والممتع الكبير في التصريف لابن عصفور ص (٣٨٠).

إلى آخرها"[١].

قراءة الجمهور: (سقاية الحاج وعمارة المسجد) تحتاج إلى تقدير مضاف كما سبق بيانه في معنى القراءة كي يتعادل الطرفان ويكون المبتدأ كالخبر في المعنى، والمعنى: أجعلتم هذين الفعلين كالإيمان باللَّه، أو أجعلتم أهل التصدق والتبرع بسقاية الحجيج وعمارة البيت كأهل الإيمان باللَّه واليوم الآخر، وقراءة أبي جعفر بينت المعنى ووضحته دون حاجة إلى تقدير مضاف، فكانت المقابلة فيها بين ذات وذات، بين سقاة الحاج وعمرة المسجد وبين من آمن باللَّه، فبينت قراءة الجمهور أن الأعمال الأولى لا تتساوى مع الإيمان باللَّه، وبينت قراءة أبي جعفر أن الأشخاص الفاعلين لهذه الأعمال ليسوا متساوين؛ إذ لا يقبل اللَّه عملا مع فساد العقيدة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾[التوبة: ٥٤]، وقال ﷻ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان: ٢٣].

الموضع الثالث والعشرون: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[التوبة: ٣٦]. قرأ أبو جعفر بإسكان العين من "اثنا عْشر" ومد الألف مدا مشبعا لأجل الساكن، والباقون بفتح العين[٢]. وانفرد كذلك بإسكان العين في موضعين آخرين، هما: ١ـ قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾[يوسف: ٤]، فقرأ: (أحدَ عْشر).

٢ـ قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[المدثر: ٣٠]، فقرأ: (تسعة عْشر).

معنى القراءة:

قراءة الجمهور في: (اثنا عَشر) وأختيها جاءت على الأصل في كلام العرب، وقراءة

(١) صحيح مسلم، ك: الإمارة، ب: فضل الشهادة في سبيل اللَّه، ح رقم (١٨٧٩).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٢٧٩)، والبدور الزاهرة ص (١٣٥).

أبي جعفر بإسكان العين لغة فصيحة، وربما كرهها البعض لاجتماع الساكنين[1]، ولكن ورودها في القرآن يدل على فصاحتها، وتصير حجة يحتج بها. قال ابن الجزري: "قرأ أبو جعفر بإسكان العين من الثلاثة، ولا بد من مد ألف اثنا لالتقاء الساكنين، وهو فصيح سمع مثله من العرب في قولهم: (التقت حلقتا البطان)[2] بإثبات ألف (حلقتا)"[3].

وبين أبو الفتح ابن جني العلة في إسكان العين في قراءة أبي جعفر فقال: "سبب ذلك عندي أن الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد، وبني الأول منهما لأنه كصدر الاسم، والثاني منهما لتضمنه معنى حرف العطف ـ لم يجز الوقف على الأول؛ لأنه كصدر الاسم من عجزه، فجعل تسكين أول الثاني دليلا على أنهما قد صارا كالاسم الواحد، وكذلك بقية العدد إلى تسعة عشر، إلا اثنا عشر[4] واثني عشر، فإنه لا يسكن العين لسكون الألف والياء قبلهما. ومما يدلك على أن الاسمين إذا جريا مجرى الاسم الواحد بالتركيب عوملا في مواضع معاملته، ما حكاه أبو عمر الشيباني من قولهم في (حضر مَوْت: حضرمُوت بضم الميم؛ ليكون كعنكبوت"[5].

فائدة القراءة:

الآية الكريمة تقرر أن عدة الشهور في حكم اللَّه وعلمه اثنا عشر شهرا، والقراءتان

(١) قال السمين الحلبي: " واستكرهت من حيث الجمع بين ساكنين على غير حديهما". يراجع الدر المصون (٦/ ٤٤).

(٢) البِطان: (حزام القَتَب) الذي يجعل تحت بطن البعير. يقال: التقت حلقتا البطان للأمر إذا اشتد. والقِتْب والقَتَب إكاف البعير، وقيل: هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير. وقيل: رحل صغير على قدر السنام. يراجع مختار الصحاح ص (٣٦)، وتاج العروس (٣٤/ ٣٦٥)، مادة (ب ط ن)، ولسان العرب (٣/ ٣٧٣)، مادة (ق ت ب).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٢٧٩).

(٤) استثنى ابن جني (اثنا عشر، واثني عشر)، والأول منهما ثابت ومقروء به في قراءة أبي جعفر كما بينا، وإنما جاز في (اثنا عشر) لأن الألف حرف مد، وكأنه تُخُلِّص من الساكنين بالمد المشبع.

(٥) يراجع المحتسب (١/ ٣٣٢).

في (اثنا عشر) لغتان في الكلمة، وقراءة أبي جعفر بإسكان العين للتخفيف دفعا لتوالي الحركات، والبناء في كلمة (عشر) يدل على عدم التغيير ولزوم حالة واحدة، والسكون في العين يدل على الثبات، وعدة الشهور عند اللَّه ثابتة لا زيادة عليها ولا تغيير فيها كما يفعل المشركون بنسأ الشهور وتأخيرها.

الموضع الرابع والعشرون: قوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ﴾ [يونس: ٤]. قرأ أبو جعفر: (أنه) بفتح الهمزة، والباقون بكسرها[(١)].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور: (إنه يبدأ) بكسر همزة (إنه) على الاستئناف. وهمزة (إن) تكسر في الابتداء. قال ابن مالك:

فاكسر في الابتدا وفي بدء صله وحيث إنّ ليمين مكمله[(٢)]

وقرأ أبو جعفر: (أنه) بفتح الهمزة، وهمزة (إن) تفتح إذا صح حلول المصدر محلها مع معموليها. قال ابن مالك:

وهمز إن افتح لسد مصدر مسدها وفي سوى ذاك اكسر[(٣)]

على أنها في موضع نصب، والتقدير: وعد اللَّه وعدا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فـ (أنه) معمول للفعل (وعَدَ) الناصب للمصدر (وعْدَ)، أي: وعد بدء الخلق وإعادته.

---

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٨٢)، والبدور ص (١٤٢).

(٢) يراجع ألفية ابن مالك ص (٢١).

(٣) يراجع ألفية ابن مالك ص (٢١). قال الأشموني: "(وهمز إن افتح) وجوبا (لسد مصدر مسدها) مع معموليها لزوما، بأن وقعت في محل فاعل نحو: (أولم يكفهم أنا أنزلنا)، أو مفعول غير محكي بالقول، نحو: (ولا تخافون أنكم أشركتم)، أو نائب عن الفاعل، نحو: (قل أوحي إلي أنه استمع)، أو مبتدأ نحو: (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة)، أو مجرور بالحرف نحو: (ذلك بأن اللَّه هو الحق)، أو معطوف على شيء من ذلك، نحو: (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم). يراجع شرح الأشموني (١/ ٢٩٩).

٢ـ يجوز أن تكون همزة (أنه) فتحت على حذف حرف الجر، والتقدير: وعد اللَّه حقا لأنه يبدأ الخلق.

٣ـ يجوز أن تكون في موضع رفع على أنها فاعل للفعل الذي نصب (حقا)، والتقدير: حق حقا أنه يبدأ الخلق أي: حق بدءُ الخلق.

قال الفراء: "﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ مكسورة لأنها مستأنفة. وقد فتحها بعض القراء. ونرى أنه جعلها اسما للحق [حقا]، وجعل (وعد اللَّه) متصلا بقوله: (إليه مرجعكم)، ثم قال: (حقا إنه يبدؤا الخلق)، فـ(أنه) في موضع رفع"(١).

وقال أبو جعفر النحاس: "يكون (أن) في موضع نصب أي: وعدكم أنه يبدأ الخلق، ويجوز أن يكون التقدير: لأنه يبدأ الخلق كما يقال: لبيك أن الحمد والنعمة لك، والكسر أجود"(٢).

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور بكسر همزة (إنه) على القطع والاستئناف؛ لبيان أن الغاية من خلق الخلق وإعادتهم مجازاتُهم على ما عملوه في الدنيا. قال الإمام الزمخشري: "(إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه، وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم"(٣). وقراءة أبي جعفر جاءت كالتعليل للوعد السابق، فوعده بالبعث حق لا ارتياب فيه؛ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فالقادر على البدء من العدم قادر على الإعادة وهو أهون عليه، وتبين أيضا أن هذا الأمر وعد من اللَّه، ووعده ﷻ لا يخلف؛ لأنه قادر على إنفاذ ما وعد به، فتقدير الآية: وعدكم بدء الخلق وإعادته، والوعد ليس على البدء والإعادة جميعا؛ لأن البدء غير داخل في الوعد إذ إنه حدث وانقضى، وإنما الوعد على المجموع وعلى بدء

(١) يراجع معاني القرآن للفراء (١/ ٤٥٧).

(٢) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٤٤، ٢٤٥).

(٣) يراجع الكشاف (٢/ ٣٢٨).

من لم يتم بدؤه بعد، وواقع على الجزء الثاني جميعه وهو الإعادة، والوعد يتناول الوعد بالجنة والوعيد بالنار على الأصل في الكلمة، وإن كانت غالبة في الخير أو لا تستعمل في غيره إلا تهكما كما في قولٍ، وقراءة أبي جعفر كذلك بينت أن هذا الوعد واقع لا محالة، فاللَّه ﷻ يحق بدء الخلق وإعادته، فكل هذه المعاني مفادة من تعدد القراءات في هذه الكلمة، فجل وعز من هذا كلامه.

الموضع الخامس والعشرون: قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[هود: ١١٤]. قرأ أبو جعفر بضم اللام: (زُلُفا)، والباقون بفتحها: (زُلَفا)[(١)].

معنى القراءة:

الزلفة والزلفى والزُّلَف: القربة والمنزلة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةً ﴾[الملك: ٢٧]، قيل: معناه: لما رأوا زلفة المؤمنين وقد حرموها. وقيل: استعمال الزلفة في منزلة العذاب كاستعمال البشارة ونحوها من الألفاظ. وقال: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ ﴾[ص: ٤٠]. وجمع الزلفة: زلَف.

والزلفة أيضا: الطائفة من أول الليل، والجمع: زلَف وزلُفات وزلْفات. وقوله تعالى: ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ أى ساعة بعد ساعة يقرب بعضها من بعض. وعنى بالزلف من الليل المغرب والعشاء. وأزلفه: قربه. وقوله تعالى: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠] أى أدنيت. والمزدلفة سميت بها لقربها من منى. وازدلف إلى اللَّه بركعين: تقرب[(٢)].

قراءة الجمهور (زلَفا) بفتح اللام على أنها جمع (زلْفة) مثل (ظلمة) تجمع على (ظلَم)، و (غرفة) تجمع على (غرف).

وأما قراءة أبي جعفر (زلُفا) بضم اللام فلها وجهان:

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٩١)، والبدور الزاهرة ص (١٥٩).

(٢) يراجع المفردات ص (٣٨٢)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ١٣٦، ١٣٧).

١ـ أن تكون جمع (زلْفة) كقراءة الجمهور، وضمت اللام اتباعا لضمة الزاي.

٢ـ أن تكون جمع (زليف) مثل: قريب وقرْب، وغريب وغرْب.

قال أبو جعفر النحاس: "وقرأ أبو جعفر (وزلُفا) بضم الزاي واللام وهو جمع زليف؛ لأنه قد نطق بـ (زليف)، ويجوز أن يكون واحدا"[(١)]. أي: أن يكون (زلفا) على القراءتين واحدا وهو جمع (زلفة).

قال أبو الفتح: "(زلفا) بضم الزاي واللام واحدته (زلفة)، كـ (بُسْرة وبسُر)[(٢)] فيمن ضم السين. وأما قراءة الجماعة: ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ فعلى الظاهر، نحو: غرفة وغرف"[(٣)].

فائدة القراءة:

أمر اللَّه ﷻ في هذه الآية الكريمة سيد الأمة وإمامها بإقامة الصلاة في طرفي النهار أوله وآخره، فيكون ذلك شاملا لجميع الأوقات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ولم تعين الآية الصلوات الواجب إقامتها في هذه الأوقات ولا كيفيتها ولا عدد ركعاتها، وجاء تفصيل ذلك في السنة المطهرة، وأمر اللَّه كذلك بإقامة الصلاة في أول ساعات الليل فقال: ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ لقرب ساعات الليل من طرف النهار الآخر، وكما أن الصلاة في هذه ساعات الليل قريبة من طرف النهار فهي (زلفى) يتقرب بها العبد إلى اللَّه، وتدنيه وتقربه من مولاه لفراغ قلبه وإقباله على ربه. وجاء في سبب نزول الآية أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل اللَّه ﷻ: "أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات"[هود: ١١٤]، فقال

(١) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٨٧).

(٢) البسر: الغض من كل شيء، وبه سمي الرجل بسرا، وكذلك بسر النخل. وماء بسر: قريب عهد بالسحاب. ويقال: امرأة بسرة وغلام بسر إذا كانا شابين طريين. يراجع جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (١/ ٣٠٨)، مادة (بسر).

(٣) يراجع المحتسب (١/ ٣٣٠، ٣٣١).

الرجل: يا رسول اللَّه ألي هذا؟ قال: (لجميع أمتي كلهم)"[١]. والقراءتان في الكلمة لغتان فيها كما هو مسموع عن العرب.

الموضع السادس والعشرون: قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾[هود: ١١٦]. قرأ ابن جماز: (بِقْيَةٍ) بكسر الباء وإسكان القاف وتخفيف الياء، والباقون: (بَقِيَّةٍ) بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء[٢].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور: (بَقِيَّة) على أنها صفة على زنة (فعيلة) بمعنى فاعل للمبالغة، أي: أولو فضيلة كـ(ذبيحة)، وأولو خير ومعروف وطاعة ودين.

٢ـ يجوز أن تكون مصدرا بمعنى (البقوى)، أي: ذوو بقاء وحفظ وصيانة لأنفسهم عن الوقوع في سخط اللَّه وعقابه.

وأما قراءة أبي جعفر: (بِقْية) على زنة (فِعْلة) في جريانها مجرى الهيئة. قال ابن مالك:

وفَعْلة لمرة كجَلسه وفِعْلة لهيئة كجِلسه[٣]

ووهم كثير من المفسرين في قراءة أبي جعفر فضبطوها بضم الباء وسكون القاف[٤].

---

(١) صحيح البخاري، ك: مواقيت الصلاة، ب: الصلاة كفارة، ح رقم (٥٢٦)، من حديث ابن مسعود، واللفظ للبخاري، ومسلم في ك: التوبة، باب قوله: "إن الحسنات يذهبن السيئات"، ح رقم (٢٧٦٣).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٢٩٢)، والبدور الزاهرة ص (١٥٩).

(٣) يراجع ألفية ابن مالك ص (٤١).

(٤) ومن هؤلاء المفسرين ابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٢١٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٢٢٤)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٤٢٣)، وابن عادل في اللباب (١٠/ ٥٩٧)، والألوسي في روح المعاني (٦/ ٣٥٤)، وغيرهم. قال ابن الجزري: "وقد ترجمها أبو حيان بضم الباء، فوهم". النشر (٢/ ٢٩٢).

قال أبو البقاء: "الجمهور على تشديد الياء وهو الأصل. وقرئ بتخفيفها، وهو مصدر بقي يبقى بِقية، كلَقِيته لقية، فيجوز أن يكون على بابه، ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى فعيل، وهو بمعنى فاعل"(١).

فائدة القراءة:

هذه الآية الكريمة تبين سببا من أسباب هلاك الأمم السابقة وهو أنه ما وجد فيهم أهل خير وفضل ينهونهم عن الفساد في الأرض. يقول تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ ﴾ أي: هلا وجد من القرون قبلكم أصحاب خير وفضل ينهون أصحاب الفساد عن فسادهم؛ لأن الأمر في ابتدائه يبدأ قويا متينا، ثم يدخله الضعف شيئا فشيئا، فمن ثبت وقت الضعف فهو بقية الجيل الأول. ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ (إلا) هنا منقطعة على قولٍ، وعلى هذا القول يجوز القول على قوله: ﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ويكون الوقف عليه كافيا، ويبتدأ بـ(إلا قليلا) والمعنى: لكنّ قليلا ممن أنجينا نهو عن الفساد، وباقيهم تركوا النهي.

قال الإمام الزمخشري: "(أولوا بقية): أولو فضل وخير. وسمى الفضل والجودة (بقية)؛ لأن الرجل يَسْتَبْقِي مما يُخْرِجُه أجودَه وأفضله، فصار مثلا في الجودة والفضل. ويقال: فلان من بقية القوم، أى من خيارهم. ومنه قولهم: في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا. ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى، كالتقية بمعنى التقوى، أى: فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط اللَّه وعقابه. (إلا قليلا) استثناء منقطع، معناه: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تاركون للنهى"(٢).

فقراءة الجمهور أفادت وصف هذه القلة بأنهم أهل خير ودين، وأفادت صيانتهم أنفسهم عن معصية اللَّه، فقد جمعوا بين خيرين، بين صلاحهم في أنفسهم وإصلاحهم

(١) يراجع التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧١٨).

(٢) يراجع الكشاف (٢/ ٤٣٦، ٤٣٧).

لغيرهم، ولا يفعل ذلك إلا صاحب المعروف، من له فكر صائب وفكر ثاقب. وقراءة أبي جعفر وصفت هيئتهم من لزومهم القوة والثبات والبقاء على الطاعة، ونصحهم لعباد اللَّه ونهيهم إياهم عن الفساد والوقوع في معصية اللَّه.

قال ابن عاشور: "وقرأ ابن جماز عن أبي جعفر (بقية) بكسر الباء الموحدة وسكون القاف وتخفيف التحتية، فهي لغة، ولم يذكرها أصحاب كتب اللغة، ولعلها أجريت مجرى الهيئة لما فيها من تخيل السمت والوقار"(١).

الموضع السابع والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[النحل: ٧]. قرأ أبو جعفر: (بشَّق) بفتح الشين، وكسرها غيره: (بشِّق)"(٢).

معنى القراءة:

ذهب العلماء في توجيه قراءة أبي جعفر إلى أنها بمعنى قراءة الجمهور، لكنّ الفرق بينهما أن قراءة الجمهور: (بشِّق) اسم، وقراءة أبي جعفر: (بشَّق) مصدر. قال أبو الفتح ابن جني: "(الشَّق) بفتح الشين بمعنى (الشِّق) بكسرها، وكلاهما المشقة"(٣).

فائدة القراءة:

بين اللَّه تعالى في هذه الآية الكريمة فائدة من فوائد الأنعام الجمّة، وهي أن الأنعام تحملكم وأثقالكم إلى بلد لم تكونوا واصلين إليه بأنفسكم إلا بشق الأنفس، فكيف تبلغوه بدونها وأنتم حاملين لأمتعتكم على ظهوركم، فإذا كانت المشقة الشديدة تلحق المسافر إذا كان وحده غير حامل شيئا، فكيف يبلغ هذه البلاد البعيدة وهو حامل متاعه. والقراءات في كلمة (بشق) بفتح الشين وكسرها لغتان في هذه الكلمة، إلا أن قراءة أبي جعفر بالفتح على أن الكلمة مصدر تقول: شققت الشئ شَقا، والشَّق في أصله يطلق

(١) يراجع التحرير والتنوير (١٢/ ١٨٤).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٠٢)، والبدور الزاهرة ص (١٧٨).

(٣) يراجع المحتسب (٢/ ٧).

على الصدع والكسر والخرم يكون في الشيء، قال الراغب: "الشق: الخرم الواقع في الشيء. يقال: شققته بنصفين"[(١)]. وقراءة الكسر على أنها اسم مشتق من المصدر.

والفراء فرق بين الفتح والكسر، فجعل الفتح مصدرا بمعنى المشقة، والكسر بمعنى النصف، فكأن الجهد والتعب يذهبان بنصف قوة الإنسان، فقال رحمه اللَّه: "وقوله: (بشِّق الأنفس) أكثر القراء على كسر الشين ومعناها: إلا بجهد الأنفس. وكأنه اسم، وكأن الشَّق فعل، كما توهم أن الكُره الاسم، وأن الكَره الفعل. وقد قرأ به بعضهم: (إلا بشَّق الأنفس)، وقد يجوز فى قوله: (بشق الأنفس) أن تذهب إلى أن الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه حتى يجعله قد ذهب بالنصف من قوته، فتكون الكسرة على أنه كالنصف"[(٢)].

وقال السمين: "وقيل: بالكسر نصف الشيء. وفي التفسير: إلا بنصف أنفسكم، كما تقول: (لم تنله إلا بقطعة من كبدك) على المجاز"[(٣)].

فيكون المعنى على قراءة الفتح: هذه الأنعام تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بمشقة بالغة، وقراءة الكسر تبين الأثر الناتج عن هذه المشقة وهو ذهاب نصف القوة، أي: تحمل أثقالكم إلى بلد لن تبلغوه إلا بعد ذهاب نصف قوتكم تعبا ونصبا، وذهابُ جزء كبير من قوة الرجل نوع من المشقة أيضا إلا إنها مشقة كبيرة.

الموضع الثامن والعشرون: قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[الإسراء: ١٣]. (ونخرج) قرأ أبو جعفر بالياء التحتية المضمومة وفتح الراء: (ويُخْرَجُ)، ويعقوب بالياء التحتية المفتوحة وضم الراء: (ويَخْرُج)، والباقون بالنون المضمومة وكسر الراء: (ونُخْرِج)[(٤)].

---

(١) يراجع المفردات ص (٤٥٩).

(٢) يراجع معاني القرآن للفراء (٢/ ٩٧).

(٣) يراجع الدر المصون (٧/ ١٩٥).

(٤) يراجع النشر (٢/ ٣٠٦)، والبدور ص (١٨٤).

معنى القراءة:

قرأ أبو جعفر: (ويُخْرَج له) على بناء الفعل لما لم يسم فاعله، ونائب الفاعل ضمير يعود على (طائره)، و (كتابا) حال. أي: يُخرج له طائرُه كتابا.

وقرأ يعقوب: (ويَخْرُج) مضارع (خرج)، وفاعله ضمير مستتر تقديره: (هو) يعود على الطائر، أي: يَخرُج طائره وعمله يوم القيامة، و (كتابا) حال، أي: حال كون هذا العمل كتابا.

وقرأ الجمهور: (ونُخْرِج) مضارع (أخرج)، وفاعله ضمير مستتر تقديره: (نحن)، و (كتابا) فيه وجهان:

١ـ أنه منصوب على المفعولية.

٢ـ منصوب على الحالية. وعلى هذا الوجه تتفق القراءة وقراءة يعقوب. قال الزمخشري: "وقرئ (نخرج) بالنون، والضمير للَّه ﷻ. (ويُخْرَج) على البناء للمفعول. (ويَخْرُج) من خرج، والضمير للطائر. أى: يخرج الطائر كتابا، وانتصاب (كتابا) على الحال"(١).

فائدة القراءة:

بينت قراءة أبي جعفر الحال الذي يكون عليه عمل العبد يوم القيامة، وهو أنه يكون على هيئة وصورة كتاب يبسط وتنشر فيه الأعمال، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[الكهف: ٤٩]. وبينت قراءة يعقوب (ويَخْرُج) خروج العمل وتحوله إلى كتاب، أي: يخرج طائره فيصير كتابا، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الجاثية: ٢٩]. وقراءة الجمهور وضحت الفاعل وهو اللَّه رب العالمين يُخرِج للعبد عمله على هيئة الكتاب أو يُخرج عمله مكتوبا، في مشهد مهيب اجتمعت فيه كل الخلائق، وهذه

(١) يراجع الكشاف (٢/ ٦٥٢).

القراءة مناسبة لما قبلها في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ ﴾[الإسراء: ١٢]، (فمحونا)، و (وجعلنا آية)، و (فصلناه)، و (ألزمناه)، فجاءت كلها بنون العظمة، وكذلك قراءة الجمهور هنا: (ونخرج) لبيان الهيبة والعظمة في هذا الموقف، وإظهار قدرة اللَّه ﷻ.

الموضع التاسع والعشرون: قوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾[الإسراء: ٦٩]. اختلف القراء في إفراد لفظ "الريح" وجمعه في خمسة عشر موضعا. انفرد الإمام أبو جعفر بجمع لفظ (الريح) في أربعة مواضع، الأول: هنا في الإسراء.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾[الأنبياء: ٨١].

٣ـ قوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[سبأ: ١٢].

٤ـ قوله: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾[ص: ٣٦][(١)].

معنى القراءة:

الريح: نسيم الهواء، وجمع الريح أرواح؛ لأن أصلها الواو، وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها، وأراويح جمع الجمع[(٢)]. والدليل على أن أصل الياء في (ريح) الواو جمع هذه الكلمة على (أرواح)؛ لأن الجمع يرد الأشياء إلى أصلها.

١ـ اتفق القراء على توحيد ما ليس فيه ألف ولام من (الريح)، كقوله: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾[الروم: ٥١]، وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[فصلت: ١٦].

٢ـ اختلف العلماء في توجيه كلمة "الريح" المعرفة بـ(أل) إفرادا وجمعا.

أـ ذهب جماعة من العلماء إلى أن الرياح تأتي مكان الريح، والريح تأتي مكان

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٢٣)، والبدور ص (١٨٧، ٢١٢، ٢٥٩، ٢٧٢).

(٢) يراجع المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٥٠٧)، والصحاح (١/ ٣٦٧)، وتاج العروس (٦/ ٤١٢)، مادة (روح).

الرياح، ولذلك أنثت؛ لأن معناها الجماعة[١].

ب ـ وذهب آخرون إلى أن الرياح تأتي في القرآن بمعنى الرحمة، والريح بمعنى العذاب إلا في سورة يونس في قوله: ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[يونس: ٢٢]، وأيدوا ذلك بحديث: "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا"[٢]. وعللوا كون الرياح مجموعة بمعنى الرحمة، ومفردة بمعنى العذاب بما قاله ابن عطية: "لأن ريح العذاب شديدة ملتئمةُ الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة، فلذلك هي رياح، وأفردت مع الفلك[٣]؛ لأن ريح أجزاء السفن إنما هي واحدة متصلة. ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين ريح العذاب"[٤].

هذا الحديث الذي استُدل به على أن الرياح رحمةٌ والريح عذاب ـ ضعيف كما سبق في تخريجه، ومما يضعف هذا القول اختلافُ القراء في كلمة (الريح) إفرادا وجمعا في

(١) يراجع معاني القراءات للأزهري (١/ ١٨٥،١٨٦)، وشرح الهداية للمهدوي ص (١٨٦،١٨٧).

(٢) هذا الحديث أخرجه الطبراني في الكبير، وفيه حسين بن قيس الرحبي، وهو متروك، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار وضعفه، ونصه عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا ثارت ريح استقبلها وجثا على ركبتيه وقال: "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا" ورد الطحاوي على أبي عبيد إطلاقه أن الريح بالإفراد عذاب وبالجمع رحمة فقال: "فكان ما حكاه أبو عبيد من هذا عن رسول اللَّه ﷺ مما لا أصل له، وقد كان الأولى به؛ لجلالة قدره ولصدقه في روايته غير هذا الحديث أن لا يضيف إلى رسول اللَّه ﷺ ما لا يعرفه أهل العلم بالحديث عنه". يراجع المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢١٣)، ومسند أبي يعلى (٤/ ٣٤١)، وشرح مشكل الآثار للطحاوي (٢/ ٣٧٩)، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (٥/ ٢٠٥).

(٣) أفردت الريح في موضع سورة يونس لوجهين: لفظي، وهو المقابلة في قوله: ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾، ورب شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالا نحو: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٥٤]. ومعنوي، وهو أن تمام الرحمة في الفلك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وجه واحد، فإن اختلفت عليها الرياح كان سبب الهلاك، والمطلوب هنا ريح واحدة، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيب. يراجع الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٥٧). النوع الثاني والأربعون: في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها.

(٤) يراجع المحرر الوجيز (١/ ٢٣٣).

الموضع الواحد، إلا أن يقال: هذا الإطلاق إطلاق أغلبي، فما جاء من الريح مجموعا فهو بمعنى الرحمة، وما جاء منها مفردا فهو للعذاب.

ج ـ ومن العلماء من ذهب إلى أن الإفراد يدل على الجنس فهو أعم. قال ابن زنجلة: "كما تقول: (كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس) إنما تريد هذا الجنس. قال الكسائي: والعرب تقول: جاءت الريح من كل مكان، فلو كانت ريحا واحدة جاءت من مكان واحد، فقولهم: (من كل مكان) وقد وحدوها تدل على أن التوحيد في معنى الجمع، وأن المراد بقراءة الجمع: الرياح المختلفة المجاري في تصريفها وتغاير مهابها في المشرق والمغرب، وتغاير جنسها في الحر والبرد فاختاروا الجمع فيهن؛ لأنهن جماعة مختلفات المعنى"[1].

فائدة القراءة:

رأينا في ما سبق اختلاف العلماء في توجيه قراءة الإفراد والجمع في هذه الكلمة، والقول الثالث أقواها؛ لسلامته من المعارضة. فقراءة الإفراد يراد بها جنس الريح، الشامل لقليله وكثيره، نافعه وضاره؛ لأن اسم الجنس يشمل القليل والكثير. وقراءة الجمع تشير إلى اختلاف الرياح في هبوبها وإتيانها من كل جانب؛ لأنها مختلفة في تصريفها، وتغاير مهابها في المشرق والمغرب، والشمال والجنوب، واختلاف نوعها في الحر والبرد، وجمعت في قراءة أبي جعفر كذلك في سورة الأنبياء وسبأ و (ص) وهي في سياق الحديث عن سليمان عليه السلام والملك العظيم الذي آتاه اللَّه إياه، قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾. وقال: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾[سبأ: ١٢]. وقال: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾[ص: ٣٦]، فجمعها يدل على سعة هذا الملك وعظمه.

الموضع الثلاثون: قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ

(١) يراجع حجة القراءات لابن زنجلة ص (١١٨ـ١١٩).

عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾[الإسراء: ٦٨ - ٦٩]. (أن يخسف، أو يرسل، أن يعيدكم، فيرسل، فيغرقكم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون في الأفعال الخمسة.

٢ـ قرأ أبو جعفر ورويس بالياء في الأفعال الأربعة وبتاء التأنيث في الخامس.

٣ـ روي لابن وردان تخفيف الراء كالجماعة: (فتُغْرقكم)، وروي له تشديدها وهي القراءة التي انفرد بها: (فتُغَرِّقكم)، ويلزم من التشديد فتح الغين، والوجهان صحيحان لابن وردان.

٤ـ قرأ الباقون بالياء التحتية في الأفعال الخمسة[(١)].

معنى القراءة:

من قرأ بالياء في الأفعال الخمسة فعلى الغيبة، والفاعل ضمير مستتر تقديره: (هو) يعود على اللَّه تعالى. ومن قرأ بالنون فعلى الالتفات من الغيبة إلى التكلم، والفاعل ضمير مستتر تقديره: (نحن).

وقراءة: (فتُغْرقكم) بالتاء جاءت على نسبة الإغراق إلى الريح، فالفاعل ضمير مستتر تقديره: (هي) يعود على الريح، وأنثت؛ لأن معناها الجماعة، أو يعود على (الرياح) بالجمع على قراءة أبي جعفر. وارجع ـ إن شئت ـ للموضع السابق في توجيه قراءة (الريح) بالجمع والإفراد.

وقراءة: (فتُغْرقكم) و (فيُغْرقكم) و (فنُغْرقكم) من الماضي الرباعي (أغرق)، يقال: أغرق يُغْرق، ورواية ابن وردان التي انفرد بها: (فتُغَرِّقكم) على أنها من الفعل المضعف: (غرَّق)، يقال: غرَّق يغرِّق.

قال ابن زنجلة: "قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون يخبر اللَّه جل وعز عن نفسه، وحجتهما قوله: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴾ كأنه لما أتى الكلام عقيبه بلفظ الجمع جُعل ما قبله على لفظه ليأتلف نظام الكلام على لفظ واحد. وقرأ الباقون بالياء

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٠٨)، والبدور ص (١٨٧).

إخبارا عن اللَّه، وحجتهم أن الكلام ابتدئ به بالخبر عن اللَّه بلفظ التوحيد فقال: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ﴾ وقال: ﴿ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ فجعلوا ما أتى عقيبه من الكلام جاريا على معناه؛ لأن القصة واحدة والكلام يتبع بعضه بعضا[1].

فائدة القراءة:

جاءت قراءة الجمهور بالغيبة على الأصل؛ لأن قبلها قوله: ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٦ – ٦٧]، فقوله: (يزجي، فضله، إياه، نجاكم) كلها جاءت على الغيبة، فجاءت قراءة الياء موافقة لها، وما جاء على الأصل لا يُسأل عن علته.

وأما قراءة النون فعلى الالتفات من الغيبة إلى التكلم؛ لإفادة التعظيم وهي في هذا المقام تثير الخشية والرهبة في النفوس، وتهديد لهؤلاء الذين يعبدون مع اللَّه غيره، ويتوجهون بالدعاء لسواه، وفي ذكر الجانب تنبيه على أنهم كفروا لما وصلوا إلى البر، فبين اللَّه لهم أن الجهات بالنسبة لقدرته سواء، فكيف أمنوا العقوبة في البر وخافوا من وقوعها في البحر. قال البقاعي: "(جانب البر) أي: فنغيبكم فيه في أيّ جانب كان منه؛ لأن قدرتنا على التغييب في التراب في جميع الجوانب كقدرتنا على التغييب في الماء سواء، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من اللَّه في جميع الجوانب"[2].

وقراءة ابن وردان عن أبي جعفر: (فتُغَرِّقكم) من الفعل (غرَّق) المضعف، وهو يفيد التشديد والمبالغة في الفعل، فيدل على يعظيم هذا الغرق، فهذه الريح ريح شديدة الهبوب، ريح تعصف وتهلك من أمامها فتكسر سفنهم وتغرقهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينصرون، ومما يدل على ذلك التعبير عن الريح بالقصف في قوله: ﴿ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾، مع المبالغة والتشديد في (فتُغَرِّقكم).

(١) يراجع حجة القراءات ص (٤٠٦، ٤٠٧).

(٢) يراجع نظم الدرر (١١/ ٤٧٣).

الفصل الثاني: ما انفرد به الإمام أبو جعفر من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن.

الموضع الحادي والثلاثون والثاني والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[سورة الكهف: ٥١].

انفرد أبو جعفر بقراءة: (ما أشهدتهم) بنون وألف بعدها: "ما أشهدناهم". وقرأ الباقون بالتاء المضمومة من غير ألف. وانفرد كذلك بقراءة: (وما كنت) بفتح التاء والباقون بضمها[(١)].

معنى القراءة:

أولا: مأخودة من مادة (ش ه د)، والشُّهُودُ والشَّهَادَةُ: الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر، أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفردا، لكن الشّهادة مع المشاهدة أولى، وجمع مَشْهَدٍ: مَشَاهِدُ، ومنه: مَشَاهِدُ الحجّ، وهي مواطنه الشريفة التي يحضرها الملائكة والأبرار من الناس. وقيل: مَشَاهِدُ الحجّ: مواضع المناسك. [ولا مانع من الجمع بين المعنيين، وقوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾[الحج: ٢٨] يشمل الأمرين].

والشَّهَادَةُ: قول صادر عن علم حصل بمشاهدةِ بصيرة أو بصر. وقوله: ﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ﴾[الزخرف: ١٩]، يعني مُشَاهَدَةِ البصر، ثم قال: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[الزخرف: ١٩]، تنبيها أنّ الشّهادة تكون عن شُهُودٍ، وقوله: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[الكهف: ٥١]، أي: ما جعلتهم ممن اطّلعوا ببصيرتهم على خلقها.

وقد يعبّر بالشهادة عن الحكم نحو: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[يوسف: ٢٦]. وعن الإقرار نحو: ﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾[التوبة: ١٧]، أي: مقرّين[(٢)].

ثانيا: قراءة الجمهور: "ما أشهدتهم" على أن التاء للمتكلم، فالتاء ضمير متصل

(١) يراجع النشر في القراءات العشر (٢/ ٣١١)، والبدور الزاهرة ص (١٩٣).

(٢) يراجع المفردات ص (٤٦٦)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ٣٥٠).

عائد على اللَّه تعالى، وهذا الضمير مبني على الضم في محل رفع، وهذه القراءة جاءت على الأصل وهو أن الفاعل ضمير مفرد، وما جاء على الأصل لا يسأل عن علته.

وقراءة أبي جعفر: "ما أشهدناهم" للمتكلم المعظم نفسه، فـ(نا) ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع، وجاءت نون العظمة جريا على سنن الكبرياء، والقراءتان في المعنى واحد؛ لأن المراد من التاء والنون هو اللَّه رب العالمين.

ثالثا: قراءة الجمهور: (وما كنتُ) التاء فيها للمتكلم وهو اللَّه ﷻ، وقراءة أبي جعفر: (وما كنتَ) التاء فيها للخطاب للنبي ﷺ. قال أبو البقاء: "يقرأ بفتح التاء على أن الخطاب للنبي ﷺ، ويجوز أن يكون الخطاب من النبي ﷺ للَّه تعالى"[1].

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور بالتاء جاءت موافقة لآخر الآية في قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، وقراءة أبي جعفر جاءت موافقة للآيات السابقة على هذه الآية، حيث جاءت بنون العظمة كما في قوله: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٧]، وقوله: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾[الكهف: ٤٨]، وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، فجاءت هذه الآية بنون العظمة كذلك؛ لبيان استغنائه سبحانه عن الأعوان والشركاء في خلقه السماوات والأرض وخلقه للناس، أي: ما أشهدناهم خلق السماوات والأرض فأستعينُ بهم على خلقها، أو أشاورهم في أمرها.

ثانيا: قراءة الجمهور (وما كنتُ) أفادت تنزيه اللَّه ﷻ نفسه عن اتخاذ المضلين أعوانا، وقراءة أبي جعفر: (وما كنتَ) أفادت حفظ اللَّه ﷻ لنبيه ﷺ مذ نشأته، حيث إنه لم يركن لضال ولم يَمِل لمضل، ولم يعتضد بهم من دون اللَّه رب العالمين.

قال أبو حيان: "وقرأ أبو جعفر والجحدري والحسن وشيبة (وما كنت) بفتح التاء خطابا للرسول ﷺ. قال الزمخشري: والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي

(١) يراجع إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٢٣).

لك أن تعتز بهم انتهى. والذي أقوله أن المعنى إخبار من اللَّه عن نبيه وخطاب منه تعالى له في انتفاء كينونته متخذ عضد من المضلين، بل هو مذ كان ووجد عليه السلام في غاية التبري منهم والبعد عنهم لتعلم أمته أنه لم يزل محفوظا من أول نشأته لم يعتضد بمضل ولا مال إليه ﷺ"[(١)].

واختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: إبليس وذريته. والثاني: الملائكة. والثالث: جميع الكفار. والرابع: جميع الخلق[(٢)]. قال أبو حيان: "والظاهر عود ضمير المفعول في "أشهدتهم" على إبليس وذريته"[(٣)].

ورجح كثير من المفسرين عود الضمير على الشركاء كإبليس وذريته. قال الزمخشري: "والمعنى: أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة، وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لأعتضد بهم في خلقها ﴿ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض. ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ أي: أعوانا، فوضع "المضلين" موضع الضمير ذمّا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟"[(٤)]. قلت: ووضع الظاهر هنا موضع المضمر يفيد كذلك على قراءة أبي جعفر أن المضل ليس أهلا للاقتداء والاتباع، فلا يستعان به؛ لأنك لن تنتفع به بل سينالك منه الضرر.

والراجح ـ واللَّه أعلم ـ عود الضمير على الكفار الذين اتخذوا إبليس وذريته أولياء من دون اللَّه، ويؤيد ذلك أمران، الأول: عود الضمير على أقرب مذكور، وهو قوله:

(١) يراجع البحر المحيط (٧/ ١٩١).
(٢) ينظر زاد المسير (٣/ ٩٠).
(٣) ينظر البحر المحيط (٧/ ١٩٠).
(٤) يراجع الكشاف (٢/ ٧٢٧، ٧٢٨)، ومفاتيح الغيب (٢١/ ٤٧٣).

﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[الكهف: ٥٠].

الثاني: قراءة أبي جعفر: (وما كنتَ) والمعنى: ما أشهدت هؤلاء المشركين خلق السماوات والأرض، ولا ميزتهم عن غيرهم بعلوم ومعارف، فلا تلتفت لهم لتعنتهم، ولا تعبأ باقتراحاتهم الفاسدة، فما ينبغي ولا يصح لك أن تتخذ المضلين أعوانا، فيكون الخبر في قوله: (وما كنتَ) في معنى النهي.

قال أبو السعود: "وقيل: الضمير للمشركين، والمعنى: ما أشهدتم خلق ذلك، وما أطلعتهم على أسرار التكوين، وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بإيمانهم كما يزعمون، فلا يلتفت إلى قولهم طمعا في نصرتهم الدين، فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين، ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول اللَّه ﷺ، والمعنى: ما صح لك الاعتضاد بهم"[(١)].

الموضع الثالث والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[طه: ٣٨ – ٣٩]. قرأ أبو جعفر: (ولْتُصْنَعْ) بسكون اللام وجزم العين، وقرأ الباقون: (ولِتُصْنَعَ) بكسر اللام ونصب العين[(٢)].

معنى القراءة:

قراءة أبي جعفر (ولْتُصْنَعْ) بلفظ الأمر، فاللام هنا لام الأمر، والمضارع بعدها مبني لما لم يسم فاعله مجزوم بها.

وأما قراءة الجمهور (ولِتُصْنَعَ) فاللام فيها لام (كي) للتعليل، والمضارع مبني لما لم يسم فاعله منصوب بـ (أن) المضمرة بعد لام (كي)، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: (أنت)، والمعني: لتربى بمرأى منا وتغذى ويُحْسَن إليك برعايتنا.

قال أبو البقاء: "يقرأ بسكون اللام والعين على أنه أمر، ويجوز أن تكون لام (كي)

(١) يراجع إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٢٨).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٢٠)، والبدور الزاهرة ص (٢٠٢).

سكَّنها، وأدغم العين في العين"[١]. قلت: وهذا التوجيه الثاني يجعل قراءة أبي جعفر كقراءة الجمهور، غير أن فيه تكلفا بإسكان اللام وهي مكسورة، وإسكان العين وهي مفتوحة، فإن قيل كما قال أبو البقاء: (أدغم العين في العين) يعني كأنه أدغمها وهي متحركة فنقول: هذا فيه مخالفة حيث إن أبا جعفر قرأ بها ساكنة، ثم إنه ليس من مذهبه إدغام المثلين الكبير.

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ يقال للمراعي للشيء: عين، وفلان بعيني، أي: أحفظه وأراعيه، كقولك: هو بمرأى مني ومسمع، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[الطور: ٤٨]، وقال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[القمر: ١٤]، أي: تجري بمرأى منا وحفظ. ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[طه: ٣٩]، أي: لتربى وأنا حافظ لك، وذلك أن من له بالشيء عناية يجعله نصب عينه ناظرا إليه، فاستعير ذلك في شدة الحفظ لما فيه من الدلالة على صدق العناية[٢].

فائدة القراءة:

بينت قراءة الجمهور أن العلة من إلقاء المحبة من اللَّه على موسى عليه السلام، أي: فعلنا ذلك من إلقاء محبة منا عليك ليُتلطف بك ولِتُصْنع.

قال السمين عن العطف في قوله: "ولتصنع": "وفيه وجهان، أحدهما: أن هذه العلة معطوفة على علة مقدرة قبلها. والتقدير: ليتلطف بك ولتصنع، أو ليعطف عليك ولتصنع. وتلك العلة المقدرة متعلقة بقوله: (وألقيت) أي: ألقيت عليكم المحبة ليعطف عليك ولتصنع. ففي الحقيقة هو متعلق بما قبله من إلقاء المحبة. والثاني: أن هذه اللام تتعلق بمضمر بعدها تقديره: ولتصنع على عيني فعلت ذلك، أو كان كيت وكيت"[٣].

(١) يراجع إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٧٠).

(٢) يراجع الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص (٣٥٨)، والمفردات للراغب ص (٥٩٨، ٥٩٩).

(٣) يراجع الدر المصون (٨/ ٣٦).

وجاءت قراءة أبي جعفر لتبين شدة عناية اللَّه بموسى عليه السلام وفرط حفظه ورعايته له، وأمره الكوني أن يُصنع موسى عليه السلام ويُربَّى بمرأى من اللَّه وتحت حفظه وعنايته، ومجيئه على صورة الأمر؛ لأن الأمر أوجب الأفعال، وهذا الأمر أمر كوني، والأمر الكوني واجب الوقوع، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فالبحر لابد أن يلقيه بالساحل، وإلقاء المحبة عليه والتلطف به ورعايته وحفظه واقع لا محالة؛ لأن اللَّه أمر بذلك كونا وقدرا.

قال السهيلي: "ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن المعنى الذي لأجله قال: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ﴾ بحرف (على) وقال: ﴿تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ﴾ ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾، وما الفرق؟. والفرق أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفيا وإبداء ما كان مكنونا، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يُغَذّون ويُصْنَعون شرا، فلما أراد أن يُصْنَع موسى ويغذى ويربى على جلي أمن وظهور أمر لا تحت خوف واستسرار دخلت (على) في اللفظ تنبيها على المعنى؛ لأنها تعطي معنى الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وإبداء، فكأنه سبحانه يقول: ولتصنع على أمن لا تحت خوف، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلأ، وأما قوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ فإنه إنما يريد في رعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم، فلم يحتج الكلام إلا معنى (على). وقال الزركشي عن حكمة الإفراد في قصة موسى والجمع في الباقي: هو سر لطيف، وهو إظهار الاختصاص الذي خص به موسى في قوله: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾[طه: ٤١]، فاقتضى الاختصاص الاختصاص الآخر في قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ﴾ بخلاف قوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ فليس فيه من الاختصاص ما في صنع موسى على عينه سبحانه[1].

الموضع الرابع والثلاثون: قوله تعالى: ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى﴾[طه: ٥٨]. انفرد أبو جعفر بإسكان الفاء من

(١) يراجع البرهان (٢/ ٨٧، ٨٨).

(نخلفْه)، ويلزم منه حذف الصلة، والباقون برفعها مع الصلة: (نخلفُه)[١]. وحذف الصلة على قراءة أبي جعفر؛ لأن شرط الصلة ـ عند القراء غير ابن كثير ـ أن يكون ما قبل الهاء وما بعدها متحركا.

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (لا نخلفُه)، (لا) نافية، والمضارع بعدها مرفوع، والجملة في محل نصب صفة لـ(موعدا).

وقراءة أبي جعفر: (لا نخلفْه) فيها وجهان:

١ـ أنها مجزومة في جواب الأمر: (فاجعل).

٢ـ أن أصل الفاء الضم وسكنت للتخفيف.

قال الزمخشري: "قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد. وبالجزم على جواب الأمر"[٢]. وقال أبو البقاء: "ويجوز أن يكون خفف المضموم كما في (يأمركم)"[٣].

ووجدت لقراءة أبي جعفر توجيها ثالثا عند الطاهر ابن عاشور لم أره عند غيره حيث جعل (لا) ناهية، والفعل بعدها مجزوم بها، فقال: "وقرأه أبو جعفر بجزم الفاء من (نخلفه) على أن (لا) ناهية. والنهي تحذير من إخلافه"[٤]. فكأن هذا النهي صادر من فرعون لنفسه ولموسى عليه السلام بألا يخلف أحد منهما ذلك الموعد.

---

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٢٠)، والبدور الزاهرة ص (٢٠٤).

(٢) يراجع الكشاف (٣/ ٧١).

(٣) يراجع إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٧٣). قلت: قرأ أبو عمرو من طريق الشاطبية بخلف عن الدوري في كلمة (بارئكم، يأمركم، ينصركم، يشعركم) بإسكان الهمزة في الأول، والراء في الباقي، والوجه الثاني للدوري هو اختلاس حركتها، وهو الإتيان بمعظمها وقدر بثلثيها. يراجع البدور الزاهرة ص (٣٢، ٣٤). قال الإمام المهدوي نقلا عن أبي عمرو: "العرب تستغني بإحدى الحركتين عن الأخرى" يريد بذلك أن الضمات والكسرات تستثقل إذا توالت، وقد جاء ذلك عن العرب كثيرا. يراجع شرح الهداية للمهدوي ص (١٦٥).

(٤) يراجع التحرير والتنوير (١٦/ ٢٤٥).

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور برفع الفعل على أنه صفة للموعد تبين أن فرعون طلب من موسى عليه السلام أن يحدد موعدا على هذه الصفة، موعدا لا يكون فيه إخلاف من الجانبين. وجاءت قراءة أبي جعفر بجزم الفعل في جواب الطلب على وجه التأكيد، كأنه يقول له: إن جعلت موعدا فلا ولن يكون مني ولا منك إخلاف له. بل ذكر ابن عاشور أن (لا) ناهية للتشديد على الحضور في الموعد والمكان وعدم الإخلاف لإشعار من حوله أنه مستعد لهذا اللقاء، وأنه ضامن للانتصار على موسى وإنزال الهزيمة به، لذلك بدأ كلامه بالقسم ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ ﴾، ثم ترك أمر تحديد الموعد لموسى عليه السلام، وذكر له أن الموعد لن يكون فيه إخلاف وبدأ بنفسه ليظهر استعداده وقوته. قال الإمام أبو السعود: "وإنما فوض اللعين أمر الوعد إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال، وإظهار الجلادة وإراءة أنه متمكن من تهيئة أسباب المعارضة، وترتيب آلات المغالبة طال الأمد أم قصر، كما أن تقديم ضميره على ضمير موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وتوسيط كلمة النفي بينهما للإيذان بمسارعته إلى عدم الإخلاف، وأن عدم إخلافه لا يوجب إخلافه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولذلك أكد النفي بتكرير حرفه"[1].

الموضع الخامس والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾[طه: ٩٧]. ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ﴾ فيها ثلاث قراءات:

١ـ قرأ ابن وردان بفتح النون وإسكان الحاء وضم الراء مخففة: "لَنَحْرُقنه".

٢ـ وقرأ ابن جماز بضم النون وإسكان الحاء وكسر الراء مخففة: "لَنُحْرِقنه". وهذه والتي قبلها من انفرادات أبي جعفر

(١) يراجع إرشاد العقل السليم (٦/ ٢٤).

٣ـ وقرأ الباقون بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة: "لنُحَرِّقنه"[١].

معنى القراءة:

أولا: الحرق: حك الشيء بالشيء مع حرارة والتهاب، يقال: حرق الحديدَ يحرِقه حرقا: إذا بَرَده وحك بعضه ببعض، والحريق: النار، وحَرْق الشيء: إيقاع حرارة فيه من غير لهيب، وحَرَقَ الشيء: إذا بَرَدَه بالمبرد. والإحراق: إيقاع نار ذات لهب فى الشئ، ومنه استعير أحرقنى بلومه: إذا بالغ فى أذيته بلوم[٢]. فالفرق بين الحرق والإحراق أن الحرق من غير لهيب، والإحراق بنار ذات لهب.

ثانيا: قراءة الجمهور: "لنُحَرِّقنه" بالتشديد على أنها من مصدر الثلاثي المضعف العين (حرَّق)، يقال: حَرَّق يُحَرِّق تحريقا.

وقراءة: "لنُحْرِقنه" من مصدر (أحرق)، يقال: أحْرَق يُحْرِق إحراقا.

وقراءة: "لَنَحْرُقنه" من مصدر الثلاثي المجرد (حرق)، يقال: حرَقَ يَحْرُق ويَحْرِق حرقا، يقال: حرقْتُ الحديدَ: إذا بَرَدْتُه، فَتَحَاتَّ وتساقط، فكأن "لنَحرُقنه" على هذا: لنَبرُدنه ولنَحُتَّنَّه حتا، ثم لننسفنه في اليم نسفا[٣].

قال أبو حيان: " قرأ الجمهور: (لنُحَرِّقَنَّه) مشددا مضارع "حَرَّق" مشددا. وقرأ أبو جعفر مخففا من "أحرق" رباعيا. وقرأ أبو جعفر في رواية بفتح النون وسكون الحاء وضم الراء، والظاهر أن "حَرَّق وأحرق" هو بالنار. وأما القراءة الثالثة فمعناها: لنَبْرُدَنَّه بالمِبْرَد[٤] يقال: حَرَقَ يَحْرُق ويَحْرِق بضم راء المضارع وكسرها. وذكر أبو علي أن التشديد قد يكون مبالغة في "حَرَّق" إذا بُرِدَ بالمبرد. وهذا جماد مصوغ من الحلي

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٢٢)، والبدور الزاهرة ص (٢٠٧).

(٢) يراجع جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٥١٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٣)، والمفردات ص (٢٢٩)، وبصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٥٣)، وتاج العروس (٢٥/ ١٤٩)، مادة (حرق).

(٣) يراجع المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (٢/ ٥٨).

(٤) المبرد: آلة يبرد بها الحديد، والجمع: مبارد. يراجع المصباح المنير (١/ ٤٢)، مادة (برد).

فيترتب برده لا إحراقه إلا إن عُنِي به إذابته[1].

فائدة القراءة:

عاقب نبي اللَّه موسى عليه السلام السامريَّ على ما فعل فأبعده ونحَّاه عن الناس، ومنع الناس من مخالطته ومعاملته: ﴿ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ ﴾، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فإن لك موعدا يوم القيامة لا خلف فيه، ستعاقب فيه على جرمك الذي ارتكبت، وأما هذا العجل الذي اتخذته إلها من دون اللَّه فسنُحرقُه ثم نَنْسِفُه في اليم حتى تتفرق أجزاؤه.

فإن قيل: الظاهر أن "أحرق وحرَّق" شائع فيما يكون بالنار، وهذا عجل من ذهب وفضة وحلي، إذا أحرق بالنار فإنه لا يصير رمادا، فكيف يذرى في اليم وينسف؟

قلت: ذكر المفسرون أن العجل صار لحما ودما ثم ذبح وأحرق حتى يسوغوا تلك القراءة[2]، وتكلفوا أمورا ليس عليها دليل صحيح، والصواب أن يقال: إن قراءة ابن وردان أزالت هذا الإشكال، وبينت أن المراد بالإحراق ليس إحراقه بالنار، وإنما المراد إحراقه وبرده وتفريقه بالمبرد، واللَّه أعلم.

فقراءة الجمهور أفادت المبالغة في الإحراق كما قال أبو علي الفارسي، وهذه المبالغة مأخوذة من التشديد في الكلمة، فصيغة (فعَّل) تحمل معنى التكرير والتكثير والمبالغة مع اللام الموطئة للقسم ونون التوكيد، كل ذلك أفاد المبالغة في تحريق هذا العجل المعبود من دون اللَّه، أي: لنحرقنه مرة بعد مرة مبالغين في ذلك التحريق حتى لا يبقى منه إلا الرماد، وقراءة ابن جماز: "لنُحْرِقنه" بالتخفيف أفادت سرعة إحراقه، وعدم التمهل في ذلك الأمر، ثم إنه لما كانت القراءتان السابقتان تحتملان معنيين:

١ـ أن يكون معنى الإحراق والتحريق برده بالمبرد.

---

(١) يراجع البحر المحيط (٧/ ٣٨٠).

(٢) يراجع جامع البيان (١٨/ ٣٦٦)، والبسيط للواحدي (١٤/ ٥١٤)، ومعالم التنزيل (٥/ ٢٩٣)، والمحرر الوجيز (٤/ ٦٢)، وزاد المسير (٣/ ١٧٤)، والبحر المحيط (٧/ ٣٨٠).

٢ـ أن يكون المعنى إحراقه وتحريقه بالنار جاءت قراءة ابن وردان رافعة للإشكال المتوهم أن ذلك الإحراق بالنار، فبينت أن إحراقه عن طريق إبراده بالمبرد حتى يصير رمادا ثم ينسف بعدها في اليم نسفا، أو يجمع بين المعنيين فيقال: أحرقه بالنار ثم برده بالمبرد وبعدها نسفه في اليم، واللَّه أعلم.

الموضع السادس والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠٣]. (يحزنك، ويحزنهم، ويحزن الذين، ويحزنني) حيث وقع في القرآن قرأه نافع بضم الياء وكسر الزاي من كله إلا حرف الأنبياء: (لا يحزنهم الفزع) فقرأ أبو جعفر فيه وحده بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاي في الجميع[(١)]. فالإمام نافع قرأ بضم الياء وكسر الزاي في القرآن كله إلا موضع الأنبياء، والإمام أبو جعفر قرأ بفتح الياء وضم الزاي في القرآن كله إلا موضع الأنبياء ليدل الأمر على أن الأمر توقيف، وأن القراءة سنة متبعة لا مدخل للاجتهاد فيها.

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (لا يَحْزُنهم) بفتح الياء وضم الزاي على أنه مضارع (حَزَن)، يقال: حزن يَحْزُن. وقراءة أبي جعفر: (لا يُحْزِنهم) بضم الياء وكسر الزاي على أنها مضارع (أحزن) الرباعي، يقال: أحزن يُحْزِن.

قال أبو منصور الأزهري: "اللغة الجيدة (لا يَحْزُنك) بفتح الياء، وبها قرأ أكثر القراء. وأما قراءة نافع [يعني في سورة آل عمران (الآية: ١٧٦)] أحزن يحزن فهي لغة صحيحة، غير أن حزن يحزن أفشى وأكثر"[(٢)].

فائدة القراءة:

من العلماء من سوَّى بين القراءتين وقال: هما لغتان في الكلمة بمعنى واحد، فقرأ

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٤٤)، والبدور الزاهرة ص (٢١٣).

(٢) يراجع معاني القراءات (١/ ٢٨٢).

نافع بكلتا اللغتين وكذا شيخه أبو جعفر، وقرأ الجمهور باللغة الأفشى والأشهر. ولكن من العلماء من ذكر فرقا بين (حزَن وأحزن).

قال الإمام الواحدي: "واختلف أهل اللغة في هذا: فقال قوم: (حزن، وأحزن) بمعنى واحد. قال الزجاج: (حزنني الأمر، وأحزنني). و (أمر حازن ومحزن). وقال ابن المظفر: تقول: (حزنني) و (هو يَحْزُنني حزنا فأنا محزون وهو حازن) و (أحزنني، فأنا محزون وهو محزن). وحكى سيبويه عن بعض العرب: أنهم يقولون: (أحزنت الرجل): إذا جعلته حزينا[1].

وقال ابن زنجلة: "بين أحزنته وحزنته فرق، وهو أن أحزنته أدخلته في الحزن، وحزنته أوصلت إليه الحزن[2]". فقراءة أبي جعفر: أخبرت أن الذين سبقت لهم الحسنى من ربهم لم يدخلوا في حزن ولم يصبهم أذى من شدائد وأهوال يوم القيامة، ولم يجعلهم اللَّه في حزن بحيث يكون صفة ملازمة لهم، وهذا نفي للأشد، وجاءت قراءة الجمهور بنفي وصول أدنى حزن وغم بهؤلاء الأبرار، فهم لم يصل إليهم أدنى حزن فضلا عن أن يصيبهم، فمجموع القراءتين يصور حال المتقين السابقين وهو أنهم مع أهوال الآخرة ومع حال الفزع العظيم فهؤلاء قد نجوا من هذه الكربات فلم يصابوا بمكروه ولم يصل إليهم أذى.

الموضع السابع والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. ﴿ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ ﴾ قرأ أبو جعفر بالتاء الفوقية المضمومة وفتح الواو: (تُطْوَى)، ورفع همزة (السماءُ). وغيره بالنون المفتوحة في مكان التاء وكسر الواو: (نَطْوِي)، ونصب همزة (السماءَ)[3].

(١) يراجع البسيط (٦/ ١٨٩، ١٩٠).

(٢) يراجع حجة القراءات لابن زنجلة ص (٢٤٦).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٣٢٤، ٣٢٥).

معنى القراءة:

أولا: ﴿ نَطْوِى ﴾ طويت الشيء طيا فانطوى. والطي المصدر وهو نقيض النشر، ويقال: طوى اللَّه تعالى عمره طيا: أي: أفناه. وطوى اللَّه البعد لنا: قربه[1].

ثانيا: قراءة الجمهور "نطوي" جاءت بنون العظمة، و "نطوي" فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره: (نحن)، و "السماءَ" مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة.

وقراءة أبي جعفر جاء الفعل "تُطوى" مضارع مغير الصيغة مبني لما لم يسم فاعله، و "السماءُ" نائب عن الفاعل مرفوع بالضمة الظاهرة.

فائدة القراءة:

قراءة أبي جعفر: "يوم تُطْوَى السماءُ" جاءت على البناء للمفعول للعلم بالفاعل وهو اللَّه ﷻ، وأسند فعل الطي في قراءة الجمهور إلى اللَّه ﷻ مع نون العظمة لبيان قدر هذا الطي للسماء، وأنه أمر عظيم لا يقدر عليه إلا ملك الملوك، لذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر: ٦٧]، ومع عظم هذا الطي فإنه أمر يسير على مالك القوى والقُدَر، فشبه اللَّه رب العالمين طي السماء بما يعرف الناس في حياتهم، شبهه بطي الكاتب للسجل على ما فيه من الكتابة، فكذلك يطوي اللَّه السماء، وجاءت قراءة الجمهور مناسبة لسياق الآيات، فقد جاءت الآيات بنون العظمة على التفخيم والتعظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[الأنبياء: ١٠٤ - ١٠٥].

الموضع الثامن والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢]. انفرد الإمام أبو جعفر بضم باء (ربُّ)، والباقون

(١) يراجع الصحاح (٦/ ٢٤١٥)، وتاج العروس (٣٨/ ٥١١)، وشمس العلوم (٧/ ٤١٨٨).

بكسرها (ربِّ)[1].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (ربِّ) منادى مضاف إلى ياء المتكلم، منصوب وعلامة نصبة فتحة مقدرة على ما قبل الياء، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وهي أي الياء المحذوفة: ضمير مبني على السكون في محل جر مضاف إليه، وبقيت كسرة الباء دليلا على الياء المحذوفة.

وقراءة الإمام أبي جعفر بضم الباء من اللغات الجائزة في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم مثل (يا غلامي). قال ابن مالك:

واجعل منادى صح إن يُضَف ليا كعبدِ عبدي عبدَ عبدَا عبْدِيَا
وفتحٌ او كسرٌ وحذفُ اليا استمر في يا ابنَ أم يا ابن عم لا مفر[2]

قال ابن الجزري عقب ذكره لقراءة أبي جعفر: "ووجهه أنه لغة معروفة جائزة في نحو (يا غلامي) تنبيها على الضم، وأنت تنوي الإضافة، وليس ضمه على أنه منادى

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٢٥)، والبدور ص (٢١٣).

(٢) ذكر الإمام ابن مالك في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم خمس لغات، وهناك لغة سادسة وهي: الاكتفاء عن الإضافة بنيتها، وجعل الاسم مضموما كالمنادى المفرد. قال ابن هشام: إذا كان المنادى مضافا إلى ياء المتكلم كـ (غلامي) جاز فيه ست لغات، إحداها: يا غلامي بإثبات الياء الساكنة كقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ﴾[الزخرف: ٦٨]، والثانية: يا غلام بحذف الياء الساكنة وإبقاء الكسرة دليلا عليها، قال اللَّه تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾[الزمر: ١٦]. [قلت: هذا على قراءة نافع وابن عامر وأبي عمرو وابن عامر، ورويس بإثبات الياء ساكنة في الحالين] يراجع البدور الزاهرة ص (٢٩١).
الثالثة: ضم الحرف الذي كان مكسورا لأجل الياء، وهي لغة ضعيفة حكوا من كلامهم: يا أمُّ لا تفعلي بالضم، وقرئ: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ بالضم. الرابعة يا غلامي بفتح الياء، قال اللَّه تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾[الزمر: ٥٣]. الخامسة: يا غلاما بقلب الكسرة التي قبل الياء المفتوحة فتحة فتنقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، قال اللَّه تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر: ٥٦]، ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]. السادسة: يا غلامَ بحذف الألف وابقاء الفتحة دليلا عليها. يراجع ألفية ابن مالك ص (٥١)، وشرح قطر الندى ص (٢٠٤، ٢٠٥).

مفرد؛ لأن هذا ليس من نداء النكرة المقبل عليها".

إشكال على قراءة أبي جعفر:

استشكل بعض العلماء قراءة أبي جعفر وضعفها على أن كلمة (رب) نكرة مقصودة مثل: (يا رجلُ)، أو منادى مفرد، وضُعِّف لأن حرف النداء لا يحذف مع جاز أن يكون وصفا لـ (أي)، فحذف حرف النداء وحذف (أي)، و (ها) و (ال) فيه إجحاف بالكلمة لذلك لم يجمعوا بين ذلك إلا في ضرورة الشعر.

قال أبو الفتح ابن جني: "هذا عند أصحابنا ضعيف، أعني حذف حرف النداء مع الاسم الذي يجوز أن يكون وصفا لـ(أي). ألا تراك لا تقول: رجلُ أقبل؛ لأنه يمكنك أن تجعل الرجل وصفا لـ(أي). فتقول: يأيها الرجل؟. و "رب" مما يجوز أن يكون وصفا لـ (أي)، ألا تراك تجيز (يأيها الرب)؟ قال أصحابنا: فلم يكونوا ليجمعوا عليه حذف موصوفه وهو (أي)، وحذف حرف النداء جميعا"[(١)].

والجواب عن ذلك:

١ـ أن قراءة أبي جعفر ليس من قبيل المنادى المفرد أو النكرة المقصودة، وإنما هو منادى مضاف إلى ياء المتكلم، حذف المضاف إليه وبني على الضم، وهي لغة جائزة فيه كما سبق.

٢ـ إن سلمنا بأنها نكرة مقصودة نحو (رجلُ أقبل) فهذا جائز عند طائفة من النحويين. قال أبو البقاء عنه: "وقد أجازه الكوفيون"[(٢)].

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور (ربِّ) جاءت على الأشهر في لسان العرب، وجاءت قراءة أبي جعفر (ربُّ) بضم الباء لأنه منادى مضاف إلى ياء المتكلم، وضم الباء لغة من لغاته عند من يكتفي من الإضافة بنيتها، ويضم الاسم كما تضم المفردات، وكأنه من باب

(١) يراجع المحتسب (٢/ ٧٠).

(٢) يراجع إعراب القراءات الشواذ (٢/ ١٢٢).

الترخيم في الاسم بحذف عجزه تخفيفا.

فإن قيل: اللَّه لا يحكم إلا بالحق، فلم قال: ﴿ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾؟

والجواب: أن ذلك على معنى: رب احكم بحكمك، ثم سمى الحكم حقا[1]. أو أن المراد بالحق ما وعده اللَّه تعالى إياه من نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، فهو دعاء بتعجيل العذاب، وإلا فكل قضائه تعالى عدل وحق، ونظيره قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾[الأعراف: ٨٩][2]. أو أن قوله: "بالحق" تأكيد لما في التصريح بالصفة من المبالغة وإن كانت لازمة للفعل، ونظيره في عكسه من صفة الذم قوله تعالى: ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ ﴾[آل عمران: ٢١][3]. وقد يقال: الجواب عن هذا السؤال مجموع ما سبق، فالمعنى رب احكم بحكمك فسمى الحكم حقا، وهذا الحكم والحق هو أن يحقق له ما وعده إياه من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين، والتصريح به من باب التأكيد، وإن كان الحق لازما للحكم في حقه تعالى.

الموضع التاسع والثلاثون: قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾[الحج: ٥]. وردت كلمة (وربت) في موضعين في القرآن، هنا وفي سورة فصلت في قوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]، وانفرد الإمام أبو جعفر بقراءته بهمزة مفتوحة بعد الباء الموحدة: "وربأت" في الموضعين. وقرأ الباقون بحذف الهمزة: "وربت"[4].

معنى القراءة:

أولا: يقال: ربا الشيء يربو رُبُوًّا ورَبْوا ورِبَاء: زاد ونما. وربت الأرض رُبُوًّا: عظمت

(١) يراجع إعراب القراءات السبع لابن خالويه (٢/ ٦).

(٢) يراجع أنموذج جليل ص (٣٤٣)، وروح المعاني (٩/ ١٠٢).

(٣) يراجع أنموذج جليل ص (٣٤٣)، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص (٣٨٠).

(٤) يراجع النشر (٢/ ٣٢٥)، والبدور الزاهرة ص (٢١٣).

وانتفخت. وأربيته: نميته[١].

ثانيا: قراءة الجمهور: "وربت" من ربا يربو: إذا ذهب في جهاته على وجه النماء والزيادة، وهذا حال الأرض إذا ربت فإنها تزداد. وقراءة أبي جعفر: "وربأت" بمعنى ارتفعت، فالماء لما نزل عليها علت بالزرع وارتفعت وأنبتت من كل زوج بهيج. قال ابن جني: "المسموع في هذا المعنى ربت؛ لأنه من ربا يربو: إذا ذهب في جهاته زائدا، وهذه حال الأرض إذا ربت. وأما الهمز فمن: ربأت القوم: إذا أشرفت مكانا عاليا لتنظر لهم وتحفظهم. وهذا إنما فيه الشخوص والانتصاب، وليس له دلالة على الوفور والانبساط، إلا أنه يجوز أن يكون ذهابه إلى علو الأرض، لما فيه من إفراط الربو، فإذا وصف علوها دل على أن الزيادة قد شاعت في جميع جهاتها"[٢]. وقال ابن عطية: "ووجهها أن يكون مِن ربأت القوم إذا علوت شَرَفًا[٣] من الأرض طليعة[٤]، فكأن الأرض بالماء تتطاول وتعلو"[٥].

فائدة القراءة:

في الآية دليل واضح على قدرة اللَّه ﷻ على إحياء الموتى، كإحيائه لتلك الأرض التي لا نبت فيها فهي ساكنة سكونا أشبه بسكون الموتى، فأنزل اللَّه عليها الماء فانتفخت وزادت وأنبتت بإذن اللَّه رب العالمين وقدرته من كل صنف بهيج حسن المنظر؛ لذا قال في فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٌ﴾، وقال

(١) يراجع لسان العرب (١٤/ ٣٠٤)، وتاج العروس (٣٨/ ١١٧-١٢١).

(٢) يراجع المحتسب (٢/ ٧٤).

(٣) الشرف: المكان المرتفع من الأرض. يقال: علوت شرفا أي: صعودا. يراجع طلبة الطلبة لنجم الدين النسفي ص (٢٩)، مادة (شرف).

(٤) الطليعة: قوم يبعثون ليطلعوا على أخبار العدو. ويقال للواحد: طليعة. والطلائع: الجماعات السرية، يوجهون ليطالعوا العدو ويأتون بالخبر. يراجع العين للخليل (٢/ ١٢)، والمخصص لابن سيده (٤/ ٩٣)، مادة (طلع).

(٥) المحرر الوجيز (٤/ ١٠٩).

في سورة الحج بعد هذه الآية: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[الحج: ٦-٧].

فقراءة الجمهور: "وربت" دلت على زيادة هذه الأرض ووفورها بنزول المطر عليها، ولم تخصص هذه القراءة جهة من الجهات في الزيادة، ودلت قراءة أبي جعفر: "وربأت" على علو الأرض وارتفاعها، فإن النبات يعلو ويشرف على ما حوله، فكل قراءة منهما مكملة لمعنى القراءة الأخرى، وما دلت عليه قراءة الجمهور صراحة جاء في قراءة أبي جعفر ضمنا، فإن ذكر الارتفاع يدل على زيادتها وانبساطها؛ إذ لولا زيادتها لما ارتفعت، وكذلك ما جاء في قراءة أبي جعفر صراحة جاء في قراءة الجمهور ضمنا، فإن معنى ربو الماء: زيادته وذهابه في كل الجهات حتى في جهة العلو، أو يقال: بينهما عموم وخصوص مطلق فقراءة الجمهور دلت على الزيادة دون التنصيص على جهة معينة، وقراءة أبي جعفر خصت الزيادة بجهة العلو لا على سبيل التخصيص وإنما على سبيل التنصيص وبيان أهمية هذا المظهر من مظاهر قدرة اللَّه، والتأكيد على حصول الزيادة، واللَّه أعلم.

الموضع الأربعون: قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[المؤمنون: ٣٦].

(هيهات) انفرد أبو جعفر بكسر التاء فيهما: (هيهاتِ هيهاتِ)، والباقون بفتحها: (هيهاتَ هيهاتَ)[(١)].

معنى القراءة:

كلمة (هيهات) بها لغات كثيرة. قال السمين الحلبي: "وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين"[(٢)]، فقراءة الجمهور (هيهاتَ) اسم فعل ماضٍ مبني على الفتح. وقراءة أبي جعفر (هيهاتِ) اسم فعل ماضٍ كذلك بني على الكسر. قال أبو حيان عن

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٢٨)، والبدور الزاهرة ص (٢١٨).

(٢) يراجع الدر المصون (٨/ ٣٣٨).

قراءة الجمهور بأنها لغة أهل الحجاز، وقراءة أبي جعفر لغة تميم وأسد[١].

وسبب بناء (هيهات) مشابهته للحرف في النيابة عن الفعل. قال ابن مالك:

وكنيابة عن الفعل بلا تأثر وكافتقار أصلا[٢]

وذهب بعض العلماء تبعا لسيبويه إلى أن (هيهاتَ) بالفتح مفرد، و (هيهاتِ) بالكسر على أنها جمع (هيْهة)، فيقال: هيْهة وهيهات، كـ بيضة وبيضات.

قال أبو جعفر النحاس: "من قال (هيهاتَ هيهاتَ) وقف بالهاء عند سيبويه والكسائي لا غير؛ لأنها واحدة، وبنيت على الفتح وموضعها رفع لأن المعنى (البعد) لأنها لم يشتقّ منها فعل، فهي بمنزلة الحروف، فاختير لها الفتح؛ لأنّ فيها هاء التأنيث، فهي بمنزلة اسم ضُمّ إلى اسم كخمسة عشر، ومن كسر وقف بالتاء نوّن أو لم ينوّن؛ لأنها جمع كبيضات، واحدها هيهة كبيضة"[٣].

وقال أبو الفتح ابن جني: "ومن نون ذهب إلى التنكير، أي: بعدا بعدا. ومن لم ينون ذهب إلى التعريف، أراد: البعد البعد"[٤].

فائدة القراءة:

بعد بيان معنى القراءتين يظهر أن الفتح والكسر في كلمة (هيهات) من قبيل تعدد اللغات، فهي كما ذكر الإمام أبو حيان فيها من اللغات ما يربو على الأربعين. وعلى قول سيبويه أن الفتح لكونها مفردة والكسر للجمع. فهؤلاء القوم استبعدوا البعث بعد الموت وقالوا: (هيهات هيهات) أي: البعد البعد لما يعدكم به هذا الرجل وجاءت كلمة (هيهاتِ) بالكسر على قراءة أبي جعفر ليفيد تكثير هذا البعد وأكدوا هذا الاستبعاد والتكثير بتكرار الفعل، فأصبح البعث في اعتقادهم بعيدا بعدا شديدا حتى صار أشبه

(١) يراجع البحر المحيط (٧/ ٥٦٠، ٥٦١).

(٢) يراجع ألفية ابن مالك ص (١٠).

(٣) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٨٠).

(٤) يراجع المحتسب (٢/ ٩١).

بالمستحيل.

الموضع الحادي والأربعون: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور: ٢٢]. قرأ أبو جعفر: "يتَأَلَّ" بتاء مفتوحة بعد الياء، وبعدها همزة مفتوحة وبعدها لام مشددة مفتوحة. وغيره بهمزة ساكنة بعد الياء وبعدها تاء مفتوحة وبعدها لام مكسورة مخففة: "يأْتَلِ"[(١)].

معنى القراءة:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ قيل: من ألوت. يقال: ألوت في الأمر: قصرت فيه. وما ألوته جهدا، أي: ما أوليته تقصيرا بحسب الجهد، وما ألوته نصحا.

وقيل: هو من: آليت: حلفت[(٢)].

ثانيا: قراءة أبي جعفر: "يتألَّ" على أنها مضارع (تألَّى) بمعنى (حلف)، فـ "يتأل" يتفعل. قال ابن جني: "يقال: تأليت على كذا إذا حلفت، والأَلْوَةُ والإِلْوَةُ والأُلْوَةُ والأَلِيَّةُ: اليمين"[(٣)]. أي: ولا يحلف أولو الفضل منكم والسعة ألا يؤتوا أولي القربى.

وقراءة: "ولا يأتل" على زنة يفتعل، وهو إما من مصدر "ائتلى" يقال: ائتلى يأتلي بمعنى يحلف، فيكون معناه كالأول، وإما من مصدر (ألوت) بمعنى: قصرت، فيكون المعنى: ولا يقصر. قال أبو الفتح: "ومن قرأ: (ولا يأتل) فمعناه: ولا يقصر، وهو يفتعل من قولهم: ما ألوت في كذا أي: ما قصرت"[(٤)].

فائدة القراءة:

يخبر تعالى في هذه الآية مرشدا عباده المؤمنين قائلا: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ أي: ولا

---

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٣١)، والبدور ص (٢٢٢).

(٢) يراجع المفردات ص (٨٣، ٨٤)، والتبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم ص (٢٤٤).

(٣) يراجع المحتسب (٢/ ١٠٦).

(٤) يراجع المحتسب (٢/ ١٠٦).

يحلف من كان منكم ذو فضل من مال وسعة ﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ ﴾ أي: على أن لا يؤتوا، أو كراهة أن يؤتوا، أو لا يقصروا في أن يؤتوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به أرحامهم، كمسطح[(١)]، وهو ابن خالة أبي بكر، "والمساكين" وكان مسطح منهم؛ لأنه كان فقيرا محتاجا، "والمهاجرين في سبيل اللَّه" وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء اللَّه، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول اللَّه ﷺ بدرا، "وليعفوا" عما كان منهم إليهم من جرم، وذلك كجرم مسطح إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك، "وليصفحوا" أي: وليتركوا عقوبتهم على ذلك، بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم، "ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم" ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم[(٢)].

فقراءة الجمهور: "ولا يأتل" جاءت مجملة تحتمل أن تكون من الأَلِيَّة وهي الحلف، أو من الألو وهو التقصير، وجاءت قراءة أبي جعفر مبينة لها ومؤيدة للمعنى الأول وأنها من الحلف، والمعنى الأول وهو الحلف أوفق أيضا بسبب النزول، فإن اللَّه ﷻ لما أنزل براءة أم المؤمنين عائشة حلف أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره فقال: واللَّه لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[النور: ٢٢]، قال عبد اللَّه بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب اللَّه، فقال أبو بكر: واللَّه إني لأحب أن يغفر اللَّه لي، فرَجَعَ إلى مسطح النفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبدا"[(٣)].

(١) مسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، اسمه عوف، ومسطح لقبه، شهد مسطح بدرا، توفي سنة ٣٤هـ، وهو ابن ٥٦ سنة. يراجع أسد الغابة (٥/ ١٥٠)، والإصابة (٦/ ٧٤).

(٢) يراجع جامع البيان (١٩/ ١٣٦)، وروح المعاني (٩/ ٣٢١).

(٣) صحيح البخاري، ك: تفسير القرآن، ب: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾[النور: ١٢]، ح رقم (٤٧٥٠)، (٦/ ١٠١)، وصحيح مسلم، ك: التوبة، ب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، =

الموضع الثاني والأربعون: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[النور: ٤٣]. انفرد أبو جعفر بقراءة: (يُذْهِب) بضم الياء وكسر الهاء، والباقون بفتح الياء والهاء: (يَذْهَبُ)[(١)].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (يَذْهَب) مضارع (ذَهَب)، والباء في (بالأبصار) للتعدية. وقراءة أبي جعفر (يُذْهِب) مضارع (أَذْهب)، ولا يتعدى بحرف الجر، فالأصل: يكاد سنا برقه يُذْهِب الأبصار بدون باء، فالباء هنا صلة للتأكيد.

قال أبو البقاء: ﴿ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ يقرأ بضم الياء من (أذهب)، والباء على هذا زائدة، أي: يذهب الأبصار"[(٢)]. وخطأ الأخفش قراءة أبي جعفر وزعم أنها لحن. قال أبو جعفر النحاس نقلا عنه: "يقول: دخل بالمدخل ولا يجيز هاهنا (أدخل)، ويزعم أن الباء تعاقب الألف"[(٣)]. أي: إذا جاءت الباء ذهبت الهمزة، فلا يجتمعان.

قلت: ومجيء الباء مزيدة للتأكيد كثير في القرآن وكلام العرب. قال السيوطي: "التوكيد وهي الزائدة فتزاد في الفاعل وجوبا في نحو: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ [مريم: ٣٨]، وجوازا غالبا في نحو: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ٧٩]، فإن الاسم الكريم فاعل، والباء زائدة، ودخلت لتأكيد الاتصال؛ لأن الاسم في قوله: (كفى باللَّه) متصل بالفعل اتصال الفاعل. قال ابن الشجري: وفعل ذلك إيذانا بأن الكفاية من اللَّه ليست كالكفاية من غيره في عظم المنزلة فضوعف لفظها لتضاعف معناها. وقال الزجاج: دخلت لتضمن (كفى) معنى (اكتفي). قال ابن هشام: وهو من الحسن بمكان. وقيل: الفاعل

= ح رقم (٢٧٧٠)، (٤/ ٢١٢٩)، واللفظ له.

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٣٢)، والبدور ص (٢٢٤).

(٢) يراجع إعراب القراءات الشواذ (٢/ ١٨٩).

(٣) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٩٩).

مقدر والتقدير: كفى الاكتفاء باللَّه فحذف المصدر وبقي معموله دالا عليه. وفي المفعول نحو: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[البقرة: ١٩٥]، ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ [مريم: ٢٥]، ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[الحج: ١٥]، ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾[الحج: ٢٥]. وفي الخبر المنفي، نحو: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]"[(١)].

وذهب بعض العلماء إلى أن الباء على قراءة أبي جعفر بمعنى (من)، والمفعول محذوف، والتقدير: يكاد سنا برقه يُذْهِب النور من الأبصار. قال ابن الجزري: "والظاهر أنها تكون بمعنى (من)، ويكون المفعول محذوفا، أي: يذهب النور من الأبصار"[(٢)].

قلت: هذا الوجه الذي جوزه إمامنا ابن الجزري وقال عنه بأنه الظاهر وجه بعيد، ففيه ادعاء مخالفة الباء لمعناها الذي وضعت له، وادعاء محذوف، والوجه الذي لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إليه، فالوجه الأول أقوى وأوجه عندي سيما وقد وردت زيادة الباء في القرآن في أكثر من موضع.

فائدة القراءة:

هذه الآية الكريمة تخبرنا عن مظهر من مظاهر قدرة اللَّه تعالى، وهي حالة يراها الإنسان بعينه ناطقة وشاهدة لذي عينين بوحدانية اللَّه، فهذا السحاب الذي يسوقه اللَّه ويجمع بعضه مع بعض فيصير متراكما، فترى أيها المتأمل المطر ينزل منه، وينزل اللَّه أيضا من السماء قطعا من السحاب كأنها الجبال في عظمها، في تلك القطع الكثير من البرَد، فيصيب اللَّه بالذي ينزله من المطر والبرد من يشاء إصابته من عباده، ويصرفه عن من يشاء بتأخير نزوله أو حجبه عنهم رحمة أو نقمة، فيكاد ضوء برق السحاب يخطف الأبصار من شدته، وقوة لمعانه. فقراءة الجمهور أفادت أصل المعنى من ذهاب البرق

(١) يراجع الإتقان (٢/ ٢١٧، ٢١٨).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٣٢).

بالأبصار لزيادة لمعان هذا الضوء، وقراءة أبي جعفر أفادت الصورة تأكيدا وتثبيتا في النفوس لشدة إضاءة البرق فهو يكاد يسلب الإبصار من العيون ويأخذ النور منها.

الموضع الثالث والأربعون: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾[الفرقان: ١٧ – ١٨]. قرأ أبو جعفر بضم النون وفتح الحاء، وغيره بفتح النون وكسر الخاء[(١)].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (نَتخذ) جاءت على البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: (نحن) يعود على المعبودين، و (من دونك) معمول لـ (نتخذ) أو مفعول ثانٍ له، و (من أولياء): (من) حرف جر صلة، و (أولياء) مجرور بـ (من) وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف، وهو في محل نصب مفعول أول، وقيل بالعكس أي أن (من دونك) مفعول أول، و (من أولياء) مفعول ثان. والصحيح أن (من أولياء) هي المفعول الأول؛ لأن (من) فيه يجوز أن تكون زائدة، وهي تزاد في المفعول الأول لا الثاني.

قال السمين الحلبي: "وقرأ العامة (نتخذ) مبنيا للفاعل. و (من أولياء) مفعوله، وزيدت فيه (من). ويجوز أن يكون مفعولا أول على أن (اتخذ) متعدية لاثنين، ويجوز أن لا تكون المتعدية لاثنين بل لواحد، فعلى هذا (من دونك) متعلق بالاتخاذ، أو بمحذوف على أنه حال من (أولياء)"[(٢)].

وقراءة أبي جعفر: (نُتخذ) على البناء للمفعول، وفعل الاتخاذ هنا يتعدى لاثنين الأول: الضمير في (نتخذ)، والثاني (من أولياء). قال الزمخشري: "وقرأ أبو جعفر المدني: (نتخذ) على البناء للمفعول. وهذا الفعل أعني (اتخذ) يتعدى إلى مفعول واحد، كقولك: اتخذ وليا، وإلى مفعولين كقولك: اتخذ فلانا وليا. قال اللَّه تعالى:

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٣٣)، والبدورص (٢٢٦).

(٢) يراجع الدر المصون (٨/ ٤٦٥).

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأنبياء: ٢١]، وقال: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، فالقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد، وهو (من أولياء)، والأصل: أن نتخذ أولياء، فزيدت (من) لتأكيد معنى النفي، والثانية من المتعدي إلى مفعولين. فالأول ما بنى له الفعل. والثاني: (من أولياء). و (من) للتبعيض، أى: لا نتخذ بعض أولياء. وتنكير (أولياء) من حيث إنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام"[(١)].

قلت: ضعف البعض قراءة أبي جعفر بحجة أن (من) تزاد في المفعول الأول لا الثاني. قال أبو جعفر النحاس: "وقد تكلم في هذه القراءة النحويون، وأجمعوا على أن فتح النون أولى، قال أبو عمرو: لو كانت (نتخذ) لحذفت (من) الثانية، فقلت: أن نتخذ من دونك أولياء، ومثل أبي عمرو على جلالته ومحله يستحسن منه هذا القول؛ لأنه جاء بعلة بينة. فإنه يقال: ما اتخذت رجلا وليا، فيجوز أن يقع هذا لواحد بعينه، ثم يقال: ما اتخذت من رجل وليا، فيكون نفيا عاما"[(٢)].

ولكنك ترى أن هذه القراءة ثابتة عن إمام جليل قرأ على سادات التابعين، وللقراءة توجيه صحيح سالم من هذا الاعتراض وهو أن تكون (من) في قراءة أبي جعفر للتبعيض وليست زائدة.

فائدة القراءة:

هذه الآية الكريمة تبين جواب المعبودين من دون اللَّه لما سئلوا عن ضلال العابدين لهم، أأنتم أضللتموهم وأرشدتموهم إلى عبادتكم أم هم الذين ضلوا؟ فكان جوابهم: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ نزهوا اللَّه عن أن يُعبد غيره، فنحن لا يجوز ولا يصح لنا أن نتخذ أولياء من دونك، فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟! فقراءة الجمهور: (نَتخذ) بينت أن المعبودين لم يكن منهم اتخاذ لأولياء غير اللَّه؛ لأنهم إما أنبياء معصومون أو ملائكة مكرمون أو حتى أصنام لا تقدر على شئ،

(١) يراجع الكشاف (٣/ ٢٧٠).

(٢) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٣/ ١٠٧، ١٠٨)

وإذا كان ذلك كذلك فإنهم ما وقع منهم إضلال للعابدين،بل هم الذين ضلوا السبيل.

وقد يقول قائل: السؤال لم يكن عن اتخاذ المعبودين أولياء من دون اللَّه، وإنما كان عن ضلال العابدين واتخاذهم أولياء من دون اللَّه.

والجواب أن قراءة أبي جعفر كشفت الستار وبينت المعنى بجلاء، ووضحت أن العابدين قالوا: (ما كان ينبغي لنا أن نُتخذ) أي: لا يصح أن نُتخذ أولياء، ولا يجوز لأحد أن يتخذنا أولياء من دونك لأننا لا نصلح لذلك، فلم يقع منا إضلال لهم بل هم الذين ضلوا السبيل.

وجمعا بين القراءتين يظهر أن قراءة الجمهور أخبرت بنفي المعبودين أن يتخذوا أولياء غير اللَّه، وأكد نفيهم بدخول (من) المزيدة للتأكيد عموم النفي، وهذا كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ٧٩]، وقراءة أبي جعفر واضحة المعنى، فقد بينت نفي المعبودين أن يتخذهم أحد أولياء من دون اللَّه لعدم صلاحيتهم لذلك، فتبرؤوا من عبادة الناس لهم.

الموضع الرابع والأربعون: قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾[فاطر: ٨]. (تُذْهِبْ نفسَك) انفرد أبو جعفر بضم التاء وكسر الهاء من (تذهب) ونصب السين من (نفسك)، وغيره بفتح التاء والهاء ورفع السين: (تَذْهَبْ نفسُك)[1].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (تَذْهب) مضارع (ذَهَبَ)، و (نفسُك) فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة. وقراءة أبي جعفر (تُذْهِب) مضارع (أذهب)، والفاعل ضمير مستتر تقديره: (أنت) يعود على النبي ﷺ المشار إليه في قوله: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: ٤]، و (نفسَك) مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة.

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٥١)، والبدور الزاهرة ص (٢٨٦).

فائدة القراءة:

هذه الآية الكريمة تبين أنه لا يستوي عند كل عاقل من زين له الشيطان عمله السئ فرآه حسنا مع من لم يُزَيَّن له بل وفق للهدى وعرف الحق، ففي الآية محذوف دل عليه المذكور كقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[هود: ١٧].

قال أبو جعفر النحاس: "﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ (من) في موضع رفع بالابتداء، وخبره محذوف لما دل عليه. قال الكسائي: والذي دل عليه. ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ والمعنى: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ذهبَتْ نفسك عليهم حسرات، قال: وهذا كلام عربي حسن ظريف لا يعرفه إلا قليل. والذي قاله الكسائي أحسن ما قيل في الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف، والمعنى أن اللَّه جل وعز نهى النبي ﷺ عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال جل وعز: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ [الشعراء: ٣]"[(١)]. وقال الزركشي: "﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ يحتمل ثلاثة أمور، أحدها: كمن لم يزين له سوء عمله، والمعنى: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا من الفريقين اللذين تقدم ذكرهما كمن لم يزين له، ثم كأن النبي ﷺ لما قيل له ذلك قال: (لا) فقيل: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾. ثانيها: تقدير: ذهبت نفسك عليهم حسرات، فحذف الخبر لدلالة: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾. ثالثها: تقدير: كمن هداه اللَّه فحذف لدلالة: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾.

ففي الآية نهي للنبي ﷺ عن الحزن والضيق كقوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[النمل: ٧٠]، قراءة الجمهور نهي لنفس النبي ﷺ، وقراءة أبي جعفر نهي للنبي ﷺ، والنبي ونفسه متحدان، وفي نهيه لنفسه إشارة إلى أن الذهاب والإذهاب فيه معنى الإعدام والإتلاف لها، فإذا ذهبت النفس ذهب الإنسان.

(١) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٢٤٦).

الموضع الخامس والأربعون: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[يس: ١٩]. **في هذه الآية تفردان لأبي جعفر، الأول:** (أئن) قرأها بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها وبين الأولى على أصله، فقرأ: "أَأَنْ"، والباقون بكسر الهمزة.

الثاني: قرأ "ذُكِرْتُمْ" بتخفيف الكاف. والباقون بتشديدها: "ذُكِّرْتُمْ"[(١)].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور بهمزتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، فالأولى للاستفهام والثانية للشرط، واختُلِف فيما إذا اجتمع استفهام وشرط أيهما يجاب؟.

قال السمين: "واختلف سيبويه ويونس إذ اجتمع استفهام وشرط أيهما يجاب؟ فذهب سيبويه إلى إجابة الاستفهام، ويونس إلى إجابة الشرط، فالتقدير عند سيبويه: (أإن ذكرتم تتطيرون)، وعند يونس: (تطيروا) مجزوما، فالجواب للشرط على القولين محذوف"[(٢)].

فسيبويه استغنى بجواب الاستفهام عن تقدير جواب الشرط، والمعنى عليه: أئن ذكرتم ووعظتم بما فيه سعادتكم تتطيرون، أو يقدر ماضيا كـ "تطيرتم". ويونس ذهب إلى إجابة الشرط، ويستغني به عن إجابة الاستفهام، والتقدير: أئن ذكرتم تتطيروا. و "ذُكِّرْتُمْ" من التذكير والوعظ، والمعنى: أئن ذكرتم ووعظتم تتطيرون أو تتطيروا.

وقرأ أبو جعفر بفتح الهمزة: "أَأَنْ" على حذف لام العلة. قال السمين: "أي: ألئن ذكرتم تطيرتم، فـ (تطيرتم) هو المعلول، و (أن ذكرتم) علته". معنى: ألأن ذكرتم تطيرتم وتشاءمتم، فـ "أَنْ" مفعول من أجله، لأجل تذكيرنا لكم تشاءمتم منا. و "ذُكِرْتم" بالتخفيف من الذِّكْر وهو نقيض النسيان، فيكون المعنى: ألأجل أن ذكرناكم بألسنتنا تشاءمتم منا، وما ذكرناكم إلا لأنا أردنا هدايتكم، بل شؤمكم معكم بسبب

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٥٣)، والبدور الزاهرة ص (٢٦٥).

(٢) يراجع الدر المصون (٩/ ٢٥٣).

كفركم وعنادكم، وإعراضكم عن الحق، ووباله يعود عليكم.

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور أفادت تقريع القوم وتوبيخَهم والإنكارَ عليهم لتشاؤمهم بتذكير رسلهم لهم ووعظهم إياهم، فتشاءموا بما فيه خير لهم، وتطيروا مما فيه نفعهم وسعادتهم، وكان حقهم أن يتبركوا به لا أن يتشاءموا منه، وأفادت قراءة أبي جعفر: "أأَن ذُكِرْتم" سبب هذا التطير والتشاؤم وهو ذكر رسلهم لهم وتحدثهم عنهم راجين صلاحهم وهدايتهم.

قال الزمخشري: "وقرئ: (أَيْنَ) [قلت: وهي قراءة شاذة] (ذكرتم): على التخفيف أي: شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم، وإذا شُئِم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم"[(١)].

وقال الطاهر ابن عاشور: "وقرأ أبو جعفر: "أأن ذكرتم" بفتح كلتا الهمزتين، وبتخفيف الكاف من (ذكرتم). والاستفهام تقرير، أي: ألأجل أن ذكرنا أسماءكم حين دعوناكم حل الشؤم بينكم، كناية عن كونهم أهلا لأن تكون أسماؤهم شؤما"[(٢)].

الموضع السادس والأربعون: قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [يس: ٢٩]، وقوله: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[يس: ٥٣]. (صيحة) انفرد أبو جعفر برفع التاء في الموضعين، والباقون بنصبهما[(٣)].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (صيحةً) خبر (كان)، واسمها ضمير مستتر أي: كانت عقوبتهم وجزاؤهم وأخذهم صيحةً.

---

(١) ينظر الكشاف (٤/ ٩).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٦٥).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٣٥٣)، والبدور الزاهرة ص (٢٦٦).

وقراءة أبي جعفر: (صيحةٌ) فاعل (كان) على أن (كان) هنا تامة. قال ابن مالك:

وذو تمام ما برفع يكتفي[1]

إشكال على قراءة أبي جعفر وجوابه:

قال أبو جعفر النحاس: "قال أبو حاتم: ينبغي ألا يجوز لأنه إنما يقال: ما جاءني إلا جاريتك، ولا يقال: ما جاءتني إلا جاريتك؛ لأن المعنى: ما جاءني أحد إلا جاريتك"[2].

إذا فصل الفعل وفاعله المؤنث بـ(إلا) لم يجز إثبات التاء عند الجمهور، فتقول: ما حضر إلا هند، وما طلع إلا الشمس، ولا يجوز: ما قامت إلا هند، ولا ما طلعت إلا الشمس، إذ يكون التقدير: ما حضر أحد إلا هند، وما طلع أحد إلا الشمس، ويجوز التأنيث نظرا إلى اللفظ.

قال ابن مالك:

والحذف مع فصل بإلا فضلا كما زكا إلا فتاة ابن العلا

وقال المرادي: "وبعضهم لا يجيز ثبوتها مع الفصل بـ (إلا) إلا في الضرورة، والصحيح جوازه في النثر على قلة"[3]. فها أنت ترى أنه لا يمتنع مجئ تاء التأنيث في الفعل مع الفصل بـ(إلا)، وإنما هو جائز في الشعر وجائز أيضا في النثر ويكون التقدير: ما وقعت إلا صيحةٌ واحدة.

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور: "إلا صيحة" على كون (كان) هي الناقصة بينت عقوبة هؤلاء المكذبين وأنها كانت صيحة واحدة ماتوا جميعا بسببها، وقراءة أبي جعفر على كون (كان) تامة أي: ما حدثت وما وقعت إلا صيحة واحدة. قال الزمخشري: "﴿ إِن

(١) يراجع ألفية ابن مالك ص (١٩).

(٢) يراجع إعراب القرآن (٣/ ٣٩٠، ٣٩١).

(٣) يراجع توضيح المقاصد (٢/ ٥٨٩)، وألفية ابن مالك ص (٢٥).

﴿ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة واحدة. وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على (كان) التامة، أى: ما وقعت إلا صيحة، والقياس والاستعمال على تذكير الفعل؛ لأن المعنى: ما وقع شيء إلا صيحة، ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل"[(١)]. وبينت الآية الأخرى في سورة (يس) سرعة امتثالهم وحضورهم للحساب بعد نفخة البعث، فقراءة الجمهور: (إلا صيحةً) أي: ما كانت النفخة إلا صيحةً واحدة، وقراءة أبي جعفر: (إلا صيحةٌ) على أن (كان) تامة أي: ما وقعت إلا صيحةٌ، فأفادت التهويل والمبالغة من هذه الصيحة. قال الفخر الرازي: "﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ أي: ما كانت النفخة إلا صيحة واحدة، يدل على النفخة قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾[يس: ٥١]، ويحتمل أن يقال: إن كانت الواقعة، وقرئت (الصيحة) مرفوعة على أن (كان) هي التامة، بمعنى: ما وقعت إلا صيحة، وقال الزمخشري: لو كان كذلك لكان الأحسن أن يقال: إن كان؛ لأن المعنى حينئذ: ما وقع شيء إلا صيحة، لكن التأنيث جائز إحالة على الظاهر، ويمكن أن يقول الذي قرأ بالرفع أن قوله: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾[الواقعة: ١] تأنيث تهويل ومبالغة، يدل عليه قوله: ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[الواقعة: ٢] فإنها للمبالغة فكذلك هاهنا قال:

(إن كانت إلا صيحة) مؤنثة تأنيث تهويل، ولهذا جاءت أسماء يوم الحشر كلها مؤنثة كالقيامة والقارعة والحاقة والطامة والصاخة إلى غيرها"[(٢)].

الموضع السابع والأربعون: قوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾[يس: ٤٩]. (يخصمون) فيها خمس قراءات: ١ـ قرأ أبو جعفر بإسكان الخاء وتشديد الصاد: "يخْصِّمون".

٢ـ قرأ أبو عمرو باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد.

(١) يراجع الكشاف (٤/ ١٢).

(٢) يراجع مفاتيح الغيب (٢٦/ ٢٩٣).

٣ـ قرأ ورش وابن كثير وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد: "يَخَصِّمون".

٤ـ قرأ ابن ذكوان وعاصم، والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره بكسر الخاء وتشديد الصاد: "يَخِصِّمون".

٥ـ وقرأ حمزة بإسكان الخاء وتخفيف الصاد: "يَخْصِمون". ولقالون وجهان: الأول كأبي جعفر. والثاني كأبي عمرو[(١)].

معنى القراءة:

أولا: الخصومة: الجدل، يقال: خاصمه خصاما ومخاصمة وخصومة، وخَصَمَه يخصِمه خَصْما: غلبه بالحجة من حد ضرب، ولا يقال بالضم [يعني: يخصُمه]: غلبه، وهو شاذ مخالف للقياس والاستعمال. ولكن حكى أبو حيان أنه يقال على القياس أيضا بالضم. ومنه قرأ حمزة: "يخْصمون" بسكون الخاء وكسر الصاد؛ لأن ما كان من قولك:(فاعلته ففعلته) فإنه يفعِل منه يُرَدُّ إلى الضم، كعالمته فعَلَمْتُه أَعْلُمُه[(٢)].

ثانيا: قراءة: "يخَصِّمون" أصلها (يَخْتَصِمون) نقلت حركة التاء وهي الفتحة إلى الخاء الساكنة، ثم أدغمت التاء في الصاد لما بينهما من تقارب في المخرج، فصارت: "يخَصِّمون". قال أبو حيان: "قرأ الحرميان، وأبو عمرو: بإدغام التاء في الصاد ونقل حركتها إلى الخاء"[(٣)].

وقراءة: "يخْصمون" بإسكان الخاء وتخفيف الصاد من مصدر الفعل "خَصِمَ"، يقال: خصم يخصم. قال السمين: "قرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم. والمعنى: يخصم بعضهم بعضا، فالمفعول محذوف"[(٤)]. وقال الإمام الطبري عن هذه القراءة: "(يخْصِمون) بمعنى (يفعلون) من الخصومة، وكأن معنى قارئ ذلك

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٥٤)، والبدور الزاهرة ص (٢٦٦).

(٢) يراجع الصحاح (٥/ ١٩١٣)، ولسان العرب (١٢/ ١٨٠)، وتاج العروس (٣٢/ ١٠٠)، مادة (خ ص م).

(٣) يراجع البحر المحيط (٩/ ٧٣).

(٤) يراجع الدر المصون (٩/ ٢٧٣).

كذلك: كأنهم يتكلمون، أو يكون معناه عنده: وهم عند أنفسهم يخصمون مَنْ وعدهم مجيء الساعة، وقيام القيامة، ويغلبونه بالجدل في ذلك"[١].

وقراءة: (يَخِصِّمون) على أن أصلها كما سبق: (يخْتَصِمون) أدغمت التاء في الصاد فصارت: "يخْصِّمون" فالصاد مشددة والحرف المشدد يتكون من حرفين، الأول ساكن والثاني متحرك، فالتقى ساكنان الخاء والصاد الأولى، فكُسِر الساكن الأول وهو الخاء تخلصا من التقاء الساكنين فصارت: (يخِصِّمون). قال الإمام الأزهري في توجيهه لقراءة: (يخِصِّمون): "ومن كسر الخاء فلسكونها وسكون الصاد"[٢].

ومن قرأ بإسكان الخاء وتشديد الصاد: "يخْصِّمون" فعلى إبقاء الساكنين كما هما بعد الإدغام. ومن العلماء من يحكم على مثل هذه القراءة باللحن والشذوذ لما فيها من اجتماع الساكنين[٣]. وقد أجاب أبو علي الفارسي عن ذلك فقال: "ومن زعم أن ذلك ليس في طاقة اللسان ادعى ما يعلم فساده بغير استدلال"[٤]. ومن قرأ باختلاس كسرة الخاء فللتخلص من التقاء الساكنين بحركة مختلسة؛ ليدل بذلك على أن أصلها الكسر لا السكون.

فائدة القراءة:

القراءات الأربع الأول تشير إلى معنى اختصامهم فيما بينهم، ومخاصمة بعضهم بعضا، ﴿ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ أي: يخصم بعضهم بعضا، فالآية الكريمة تشير إلى قرب الساعة وأنها تأتي بغتة، وهؤلاء الكافرون عنها في غفلة، فلا تخطر لهم ببال، بل إنهم يستعجلون وقوعها فتأتيهم الساعة وهم في أسواقهم يتخاصمون، وفي تجاراتهم يتحاورون، وفي سائر معاملاتهم يتراجعون، وهذا ما صرح به النبي ﷺ حيث قال: "لا

(١) يراجع جامع البيان (٢٠/ ٥٢٩ـ٥٣٠).

(٢) يراجع معاني القراءات للأزهري (٢/ ٣٠٩).

(٣) يراجع قول الجوهري في الصحاح (٥/ ١٩١٣)، والأزهري في معاني القراءات (٢/ ٣٠٩)، والفيروزآبادي في القاموس المحيط ص (١١٠٣).

(٤) يراجع الحجة للقراء السبعة (٦/ ٤٢).

تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين: ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقحته[١] فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يَليط[٢] حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها"[٣].

فهذه القراءات الأربع بمعنى واحد وهي خصومة بعضهم لبعض، وأصلها: "يختصمون" ولعل سر التعبير بهذه القراءات بالتشديد: المبالغةُ في الخصومة فيما بينهم، فقد اشتد خصامهم حتى بلغ بهم الأمر منتهاه، وقراءة الاختلاس فيها إشارة إلى ما يقع في كثير من الأسواق والمعاملات من غش وسرقة وتدليس واختلاس وأكل لأموال الناس بالباطل، وأما قراءة: "يخَصِّمون"، و "يخِصِّمون" بالفتح والكسر ففيها إشارة إلى أن هذه المخاصمة فيها مَن انتصب فغَلَبَ في حجته، ومَن كُسِر في حجته فغُلِب، وكلاهما عند قيام الساعة والنفخ في الصور قد أصابه السكون، فلم يرفع يدا ولم يخفضها كما قال النبي ﷺ: "وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه، ولا يطويانه"، وهي ما أشارت إليه قراءة السكون.

قال الإمام البقاعي: "ولم يقرأ أحد "يختصمون" بالإظهار إشارة إلى أنه لا يقع في ذلك الوقت خصومةٌ كاملة حتى تكون ظاهرة، بل تهلكهم الصيحة قبل استيفاء الحجج وإظهار الدلائل"[٤].

(١) اللقحة: الناقة الحلوب ذات الدَّر. يراجع فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٨٩)، وعمدة القاري (٢٣/ ٩٢).

(٢) يقال: لاط الحوض وألاطه يليطه إذا أصلحه، ومنه قيل: اللائط لمن يفعل الفاحشة، وجاء في مضارعه "يلوط" تفرقة بينه وبين الحوض. يراجع فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٨٨)، وعمدة القاري للبدر العيني (٢٣/ ٩٢).

(٣) صحيح البخاري، ك: الرقاق، ب: طلوع الشمس من مغربها، ح رقم (٦٥٠٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) ينظر نظم الدرر (١٦/ ١٤٠).

وأما القراءة الخامسة قراءة حمزة: "يخْصِمون" ففيها أوجه:

١ـ أن تكون بمعنى قراءة الجمهور من مخاصمة بعضهم بعضا في شئونهم.

٢ـ أن تكون "وهم يخْصمون" بمعنى: يغلبون في الخصام أهل الحق في زعمهم وظنهم، كأنه قال تأخذهم الصيحة وهم يظنون أنفسهم أنهم قد خصموا وغلبوا؛ لأنك تقول: خاصمت فلانا فخصمته إذا غلبته.

٣ـ ويجوز أن يكون المعنى: تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتأخذهم الصيحة وهم متشاغلون في متصرفاتهم(١).

قال الإمام الرازي: "وهذا مما يعظم به الأمر؛ لأن الصيحة المعتادة إذا وردت على غافل يَرجُف، فإن المقبل على مهم إذا صاح به صائح يرجف فؤاده بخلاف المنتظر للصيحة، فإذا كان حال الصيحة ما ذكر من الشدة والقوة وترد على الغافل الذي هو مع خصمه مشغول يكون الارتجاف أتم، ويحتمل أن يقال: يخصمون في البعث ويقولون لا يكون ذلك أصلا، فيكونون غافلين عنه بخلاف من يعتقد أنه يكون، فيتهيأ له وينتظر وقوعه فإنه لا يرتجف، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الزمر: ٦٨] ممن اعتقد وقوعها فاستعد لها"(٢).

الموضع الثامن والأربعون: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ [يس: ٥٥]. ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ وردت هذه الكلمة في أربع سور من القرآن الكريم: ١ـ هنا في سورة يس.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الدخان: ٢٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[الطور: ١٧ـ١٨].

٤ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَٰكِهِينَ ﴾[المطففين: ٣١]. قرأ أبو

(١) يراجع المحرر الوجيز (٤/ ٤٥٧)، وحجة القراءات ص (٦٠١).

(٢) ينظر مفاتيح الغيب (٢٦/ ٢٩٠).

جعفر بحذف الألف بعد الفاء في المواضع الأربعة، ووافقه حفص في موضع المطففين، وقرأ الباقون بإثبات الألف[1].

معنى القراءة:

﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ الفاكهة: الثمر كله، وقيل: لا يسمى ما كان من التمر والرمان فاكهة، واحتج بقوله: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[2] فقيل: لو كان النخل والرمان نوعين من الفاكهة لما خصصت من سائر أنواعها، وليس هذا بحجة؛ لأن العرب تفعل مثل ذلك تأكيدا أو تشريفا للنوع، فهو تفضيل النخل والرمان على سائر الفواكه دونهما.

ورجل فكه: يأكل الفاكهة، وفاكه: عنده فاكهة، وكلاهما على النسب، قال سيبويه: ولا يقال لبائع الفاكهة: فكاه، كما قالوا لَبان ونبال؛ لأن هذا الضرب إنما هو سماعي لا اطرادي. وفَكَّهَهُم بِمُلَح الكلام: أطرفهم، والاسم: الفكيهة والفُكاهة. والفاكه: المَزَّاح. والتفاكه: التمازح. والفَكِه: الطيب النفس الضحوك. والفكه أيضا: الذي يحدث أصحابه ويضحكهم. وفكِه من كذا، وتفكه: عجب[3].

كلمة (فاكهون) ذهب بعض العلماء إلى أن (فاكهون) و (فكهون) بمعنى واحد أي: متعجبون ناعمون بما هم فيه، كما يقال حاذر وحذر[4].

وذهب آخرون إلى أن بين (فاكهون) و (فكهون) فرقا، والقائلون بهذا اختلفوا فقيل: "فاكهون" فرحون. وقيل: معجبون. وقيل: ناعمون. وقيل: ذوو فاكهة.

وأما (فكهون) ففيه قولان: أحدهما: أن الفكه: الذي يتفكه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكه بكذا، ومنه يقال

(١) يراجع السبعة ص (٥٤١ـ٥٤٢)، والنشر (٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، والبدور الزاهرة ص (٢٦٦ـ٢٩٢ـ٣٠٥).

(٢) سورة الرحمن: (٦٨).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ١٤٦)، ولسان العرب (١٣/ ٥٢٣)، مادة (فكه).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٠)، وغريب القرآن للسجستاني ص (٣٦٤)، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص (٢٧٣)، ولسان العرب (١٣/ ٥٢٤).

للمزاح: فكاهة. والثاني: أن فكهين بمعنى فرحين[١].

فائدة القراءة:

قراءة: (فاكهون) تدل على تنعمهم لأنهم أصحاب فاكهة، والفاكهة مما يتنعم ويتلذذ بها، فأصحاب الجنة لهم فاكهة كثيرة مختلفة الأنواع من كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. وقراءة: (فكهون) صفة مشبهة بمعنى الفرح والطرب والسرور، فهي تدل على الثبوت والدوام لهذا التفكه وأنه نعيم لا يحول ولا يزول، وتدل على تفكههم بهذه الفاكهة، فالمرء قد يكون صاحب جنة مليئة بالفاكهة ومع ذلك لا يصيب منها ولا يتفكه بها لعلة من مرض أو غيره، فجاءت قراءة: (فكهون) لتدل على تفكههم بهذه الفاكهة، ولتثبت أيضا فرحهم وسرورهم عن طريق الفكاهة والمزاح، فقد جمعوا في هذا التفكه بين نعيم البدن عن طريق الفاكهة، وبين نعيم القلب عن طريق الفكاهة.

واختلف في الشغل الذي يتفكهون به ويتنعمون فقيل: ضرب الأوتار، وقيل: افتضاض الأبكار، وقيل: في شغلهم بعشرة أشياء: مُلْك لا عَزْل معه، وشباب لا هرم معه، وصحة لا سقم معها، وعز لا ذل معه، وراحة لا شدة معها، ونعمة لا محنة معها، وبقاء لا فناء معه، وحياة لا موت معها، ورضا لا سخط معه، وأنس لا وحشة معه. وقيل: شغلهم: نعيمهم عما فيه أهل النار من العذاب، وقيل: غير ذلك[٢].

قلت: وليس مراد مَن فسر شغل أهل الجنة بعمل مخصوص ـ حصرَ ما يشغل أهل الجنة، بل عبر كل واحد منهم عن عمل وعن فرد من أفراد ما يشغلهم، فالخلاف خلاف تنوع لا تضاد، فالصحيح أن هذا الشغل هو نعيم يتنعمون به دون تخصيصه بعمل دون عمل، إذ لا دليل على التخصيص.

وأما موضع سورة الدخان فقد بين اللَّه سبحانه وتعالى فيه هلاك فرعون وقومه

(١) يراجع مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢/ ١٦٣)، وغريب القرآن لابن قتيبة ص (٣١٤)، والتبيان في تفسير غريب القرآن ص (٢٧٣)، وزاد المسير (٣/ ٥٢٧ـ٥٢٨).

(٢) يراجع جامع البيان (٢٠/ ٥٣٤)، والكشف والبيان (٨/ ١٣١)، وزاد المسير (٣/ ٥٢٧).

بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وأنهم تركوا جنات كثيرة، ورغد في العيش، وبسطة في الرزق، فقد كانوا في هذا النعيم يتنعمون ويتفكهون، فقراءة: (فاكهين) بينت النعيم الذي كانوا فيه، وأفادت قراءة: (فكهين) سبب زوال النعيم عنهم وسبب هلاكهم، فإن اللَّه أنعم عليهم بنعم كثيرة لكنهم لما تكبروا وبطروا واستخفوا بنعم اللَّه عليهم عاقبهم ربهم.

وفي سورة التطفيف ذكر ﷻ حال المجرمين، وكيف أنهم كانوا يستهزئون في الدنيا بالمؤمنين ويحتقرونهم، فأخبر أن هؤلاء المجرمين إذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين على قراءة الجمهور، أي: أصحاب فاكهة فقد وسع اللَّه عليهم في أرزاقهم، ولكن كم أهلك هذا الترف والنعيم من أمم وأقوام، فبدلا من أن يشكروا المنعم على نعمه صاروا يتكبرون بها على خلق اللَّه، وقراءة: (فكهين) أفادت اشتغال هؤلاء المجرمين بالتفكه في مجالسهم لا بالطعام وأنواع الفاكهة، وإنما يتفكهون بالخوض في أعراض المؤمنين، والجزاء من جنس العمل فبدل اللَّه أحوالهم وجعل المؤمنين يضحكون منهم في الآخرة، جزاء وفاقا.

الموضع التاسع والأربعون: قوله تعالى: ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ [الصافات: ١٥٣]. انفرد أبو جعفر بوصل الهمزة فيسقطها في الدرج ويكسرها في الابتداء: "اِصْطَفى"، وغيره بهمزة قطع مفتوحة وصلا وابتداء: "أَصْطَفى". ولورش عن نافع من طريق طيبة النشر وجهان: وجه كأبي جعفر، ووجه كالجمهور[1].

معنى القراءة:

الاصطفاء لغة: تناول صفو الشيء؛ كما أن الاختيار: تناول خيره، والاجتباء: تناول جبايته أي: جملته. واصطفاء اللَّه بعض عباده قد يكون بإيجاده صافيا عن الشوب الموجود فى غيره. وقد يكون باعتباره وحكمه. واصطفيت كذا على كذا أي:

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٦٠)، والبدور الزاهرة ص (٢٧١).

اخترته[١].

قراءة الجمهور: (أصطفى) بهمزة القطع على الاستفهام الإنكاري الاستبعادي، وأصلها: "أَاصْطفى"، والقاعدة أنه إذا اجتمعت همزة الاستفهام وهمزة الوصل، حذفت همزة الوصل وبقيت همزة الاستفهام[٢].

قلت: ويجوز أن يكون الاستفهام أيضا على سبيل التوبيخ لهم في اعتقادهم الملائكة إناثا، وأنهم ولد اللَّه، فأنكر اللَّه عليهم ووبخهم على اعتقادهم فقال: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾. ويؤيد القراءة بالاستفهام هنا آيات أخرى جاءت بالاستفهام إنكارا لاعتقاد المشركين وتوبيخهم على ذلك، كقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾[الزخرف: ١٦]، وقوله: ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الطور: ٣٩].

وأما قراءة: "اصطفى" بهمزة وصل فقد ضعفها بعض العلماء[٣]، وسبب تضعيفهم لها أنهم قالوا: إنها دخيلة بين هذه الآيات حيث سبقها إنكار وهو قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾، ولحقها إنكار وهو قوله: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾.

قال أبو حيان: "قرأ الجمهور: (أصطفى) بهمزة الاستفهام، على طريقة الإنكار والاستبعاد. وقرأ نافع في رواية، وابن جماز: بوصل الألف، وهو من كلام الكفار. حكى اللَّه تعالى شنيع قولهم، وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا ولد اللَّه، حتى جعلوا ذلك الولد بنات اللَّه، واللَّه تعالى اختارهم على البنين. وقال الزمخشري: بدلا عن قولهم: ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾[٤]، وقد قرأ بها حمزة ، وهذه القراءة، وإن كان هذا محملها فهي ضعيفة، والذي أضعفها أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها، وذلك قوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ

(١) يراجع بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٧٨).

(٢) يراجع التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٠٩٤).

(٣) كالأزهري وأبي البقاء العكبري. يراجع معاني القراءات (٢/ ٣٢٣)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٩٤).

(٤) جزء آية من سورة الصافات: (١٥٢).

لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾، ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1]. فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين[2]، وليست دخيلة بين نسيبين، بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم: (ولد اللَّه). وأما قوله: (وإنهم لكاذبون)، فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفر، جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم"[3].

وأجاب الإمام أبو حيان عن ذلك بأنها ليست دخيلة، بل لها مناسبة ظاهرة مع ما قبلها.

ووُجِّهت هذه القراءة على: ١ـ أنها بلفظ الخبر، والمراد منها الاستفهام، فتكون بمعنى قراءة الجمهور كما قيل لأحدهم: تحبها؟ قال: عدد الرمل والحصى والتراب، أي: أتحبها. ٢ـ أن يكون قوله: (اصطفى البنات) بدلا من قوله: ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾؛ لأن ولادة البنات واتخاذَهن اصطفاء لهن، فيصير (اصطفى) بدلا من المثال الماضي، كما أن قوله: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[الفرقان: ٦٩] بدل من قوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[الفرقان: ٦٨].

٣ـ من كلام الكفار والقول محذوف، أي: وإنهم لكاذبون في قولهم اصطفى البنات، وقوله بعد: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ توبيخ لهم على قولهم الكذب.

٤ـ أن يكون قوله: (اصطفى) متعلقا بالقول (يعني في قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾[الصافات: ١٥١])، على أنه أريد حرف العطف فلم يذكر، واستغنى بما في الجملة الثانية من الاتصال بالأولى عن حرف العطف، كقوله: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]، ونحو ذلك مما حذف حرف العطف فيه لالتباس الثانية بالأولى.

---

(١) سورة الصافات: (١٥٤).

(٢) إلى هنا كلام الزمخشري، ثم بدأ أبو حيان في الرد على تضعيف الزمخشري لذلك. يراجع الكشاف (٤/ ٦٤).

(٣) يراجع البحر المحيط (٩/ ١٢٧).

٥ـ أن يكون (اصطفى) تفسيرا لكذبهم الذي نسب إليهم في قولهم، ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[المائدة: ٩] تفسير للوعد أي: في قوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾[(١)].

فائدة القراءة:

قراءة: (اصطفى) على الإخبار جاءت حكاية لقولٍ من أقوال المشركين، وهو أنهم قالوا عن اللَّه ـ ﷻ تعالى عما يقولون علوا كبيرا ـ إنه اصطفى البنات واختارهم على البنين، فهم جعلوا الملائكة إناثا، وأنهم ولد اللَّه، وأن اللَّه اصطفاهم وهم إناث على البنين، وكانت العرب تفضل البنين على البنات، ثم جاءت قراءة الاستفهام: "أصطفى" لتوبيخهم في مقالهم، وللإنكار عليهم في اعتقادهم، فعلى فرض أنه اتخذ ولدا فلماذا اصطفى البنات على البنين، والبنون أفضل عندكم، فما تكرهونه لأنفسكم كيف تنسبونه لخالقكم قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾[النحل: ٦٢].

الموضع الخمسون: قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص: ٢٩]. (ليدبروا) قرأ أبو جعفر بالخطاب مع تخفيف الدال: "لِتَدَبَّروا"، وقرأ الباقون بالغيب والتشديد: "لِيَدَّبَّروا"[(٢)].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: "ليدبروا: بياء الغيبة، وأصل الفعل: ليتدبروا"، فأدغمت التاء في الدال لما بينهما من التجانس، فصارت: "ليدَّبَّروا". وأما قراءة أبي جعفر: "لتدبروا" فجاءت بالتاء على الخطاب، وأصلها: "لتتدبروا"، ثم حذفت إحدى التاءين تخفيفا فصارت: "لتدبروا". قال أبو حيان: "قرأ الجمهور: (ليدبروا آياته) بياء الغيبة وشد الدال، وأصله: ليتدبروا. وقرأ أبو جعفر: بتاء الخطاب وتخفيف الدال، والأصل:

(١) يراجع الحجة للقراء السبعة (٦/ ٦٤ـ٦٥)، والتبيان (٢/ ١٠٩٤).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٦١)، والبدور الزاهرة ص (٢٧٢).

لتتدبروا بتاءين، فحذفت إحداهما"[1].

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور: (ليدبروا) بياء الغيبة جاءت مناسبة للآيات السابقة، فالآيات قبلها جاءت على الغيبة أيضا، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[ص: ٢٧ – ٢٨]، والمعنى: أننا أنزلنا عليك ـ أيها الرسول الكريم ـ هذا القرآن ليدبر الناس جميعا آياته، مؤمنُهم وكافرهم، بَرُّهم وفاجرهم، فإن من تدبر القرآن حق التدبر انتفع به وعمل بمقتضاه؛ فمن العجيب أن يُعرض الناس عن القرآن فلا يتدبروه ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]. وجاءت قراءة أبي جعفر: (لتدبروا) خطابا للنبي ﷺ والمؤمنين معه حثا لهم على تدبره والانتفاع بمواعظه، وتشريفا لهم بضمهم إلى النبي ﷺ.

قال الإمام الطبري: "قرأ عامة القراء: "ليدبروا" بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد. وقرأ أبو جعفر "لتدبروا آياته" بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك"[2].

الموضع الحادي والخمسون: قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١]. (بنصب) قرأ أبو جعفر بضم النون والصاد: (بنُصُب)، ويعقوب بفتحهما: (بنَصَب)، والباقون بضم النون وإسكان الصاد: (بنُصْب)[3].

معنى القراءة:

للعلماء في توجيه قراءة الجمهور قولان: ١ـ أنها جمع (نَصَب) بفتحتين مثل: وَثَن

(١) يراجع البحر المحيط (٩/ ١٥٣).

(٢) يراجع جامع البيان (٢١/ ١٩٠).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٣٩١)، والبدور الزاهرة ص (٢٧٢).

ووُثْن، وأَسَد وأُسْد.

٢ـ أنها لغة في كلمة (النَّصَب)، مثل: الرَّشَد والرُّشْد، والعدَم والعُدْم.

قال الفراء: "والنصَب والنصْب بمنزلة الحزَن والحُزْن، والعدم والعدم، والرشد والرشد، والصَّلَب والصُّلْب: إذا خفف ضم أوله ولم يثقل لأنهم جعلوهما على سمتين: إذا فتحوا أوله ثقلوا، وإذا ضموا أوله خففوا"[(١)]. أي: جعلوا هذه الكلمة على مذهبين وطريقين، إذا فتحوا أوله ثقلوا يعني حركوا ما بعده ولم يسكنوه؛ لأن الحركة أثقل من السكون، وإذا ضموا أوله خففوا بتسكين ما بعده؛ لأن الضم أثقل الحركات.

وعلى ذلك فقراءة يعقوب: (بنَصَب) على أنها لغة في الكلمة جاءت على أصل المصدر، أو على أنها مفرد (نُصْب).

وأما قراءة أبي جعفر: (بنُصُب) فهي كقراءة الجمهور إلا أنها جاءت بضم الصاد على التثقيل. قال الزمخشري: "وقرئ (بنصب) بضم النون وفتحها مع سكون الصاد، وبفتحهما، وضمهما، فالنُّصْب والنَّصْب: كالرُّشْد والرَّشْد، والنَّصَب: على أصل المصدر، والنُّصُب: تثقيل (نَصَب)، والمعنى واحد، وهو التعب والمشقة"[(٢)].

فائدة القراءة:

القراءات في هذه الكلمة لغات فيها والمعنى واحد. قال ابن عطية بعد ذكره لهذه القراءات: " وذلك كله بمعنى واحد، معناه المشقة، وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الإعياء، وفرق بعض الناس بين هذه الألفاظ، والصواب أنها لغات بمعنى"[(٣)]. والإمام ابن عطية أشار إلى أن بعض العلماء من فرق بين هذه الكلمات فجعل (النصَب) بمعنى التعب والإعياء والمرض الذي يحصل للبدن، وبقية الكلمات بمعنى الشر والبلاء الذي يلحق بالإنسان وإلى هذا ذهب أبو عبيدة حيث يقول: "(بنصب) أي بلاء وشر،

(١) يراجع معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٦).

(٢) يراجع الكشاف (٤/ ٩٧).

(٣) يراجع المحرر الوجيز (٤/ ٥٠٧).

تقول العرب: أنصبنى أي عذبنى، والنصب إذا فتحت وحركت حروفها كانت من الأعياء"[(١)]. وهذه القراءات وإن كانت بمعنى واحد إلا أن هذه الحركات المختلفة في الكلمة تشير إلى أحوال المرض المتنوعة كما قال البقاعي رحمه اللَّه: "(بنصب) أي ضر ومشقة وهم وداء ووجع وبلاء يثقل صاحبه فيتبعه ويجهده ويصل به إلى الغاية من كل ذلك، وقرئ: بضم الصاد، وقرئ بالتحريك كالرشد والرشد، وكان ذلك إشارة إلى أحوال الضر في الشدة والخفة فالمسكن أدناه، والمحرك أوسطه، والمثقل بالضم أعلاه"[(٢)].

الموضع الثاني والخمسون: قوله تعالى: ﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[ص: ٧٠]. قرأ أبو جعفر بكسر همزة: (أنما)، والباقون بفتحها[(٣)].

معنى القراءة:

أولا: همزة (إنَّ) تفتح في مواضع وتكسر في أخرى، والقاعدة العامة في فتحها أنها تفتح إذا كانت مع معموليها في تأويل مصدر. قال ابن مالك:

وهمز إن افتح لسد مصدر مسدها وفي سوى ذاك اكسر[(٤)]

ثانيا: قراءة الجمهور: (أنما) مؤولة بمصدر، فـ (أن) وما بعدها في موضع رفع؛ لأنها نائب فاعل للفعل (يوحى)، أي: ما يوحى إليّ إلا الإنذار. أو في موضع جر أي: ما يوحى إلي إلا للإنذار، أو في موضع نصب بإسقاط حرف الجر.

---

(١) يراجع مجاز القرآن (٢/ ١٨٤).

(٢) يراجع نظم الدرر (١٦/ ٣٨٩).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٣٦٢)، والبدور الزاهرة ص (٢٧٤).

(٤) يراجع ألفية ابن مالك ص (٢١). وذلك بأن وقعت في محل فاعل نحو: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا ﴾ [العنكبوت: ٥١]، أو نائب عن الفاعل، نحو: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾[الجن: ١]، أو مبتدأ نحو: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾[فصلت: ٣٩]، أو مجرور بالحرف نحو: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦]، أو معطوف على شيء من ذلك، نحو: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٧]، وغير ذلك. يراجع شرح الأشموني (١/ ٢٩٩).

وقرأ أبو جعفر: (إنما) بكسر همزة (إن) على الحكاية، والتقدير: ما يوحى إليّ وما يقال لي إلا أنت نذير مبين، أو ما يوحى إلي إلا أن أقول لكم: إنما أنا نذير مبين. قال الزمخشري: "﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أى لأنما أنا نذير. ومعناه: ما يوحى إلى إلا للإنذار، فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه. ويجوز أن يرتفع على معنى: ما يوحى إلى إلا هذا، وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك، أى ما أو مر إلا بهذا الأمر وحده، وليس إلى غير ذلك. وقرئ (إنما) بالكسر على الحكاية، أى: إلا هذا القول، وهو أن أقول لكم: إنما أنا نذير مبين ولا أدعى شيئا آخر"(١).

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور: (أنما) أفادت أن النبي ﷺ لم يوح إليه ما يتعلق بالملأ الأعلى إلا لكونه نذيرا مبينا، أو لم يوح إليه شئ من أمثال هذه الأمور الغيبية كحال الملأ الأعلى وخلق آدم عليه السلام، وما كان بينه وبين إبليس إلا من أجل الإنذار، أو أن يقال: لم يوح إليه شئ على الإطلاق إلا من أجل الإنذار، وحُصِر أمر الوحي الذي ينتزل عليه في الإنذار لبيان أهميته؛ ولأن خطابه ابتداء موجه لمن لم يؤمن، وهو يحتاج إلى زجر وتخويف، أو أن الوحي لا يتنزل عليه إلا من أجل هذا الأمر وحده وهو التحذير والإنذار، ولكن الأول أولى لمراعاة سياق الكلام وسباقه ولحاقه، اقرأ قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[ص: ٦٩]. واقرأ بعدها: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾[ص: ٧١]، ودخول الكلام في حد ما قبله وما بعده أولى وأوفق بالنظم، واللَّه أعلم.

وأفادت قراءة أبي جعفر: (إنما) أنه قيل له: أنت نذير مبين، أو أمر أن يقول لهم: أنا نذير مبين كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن جني: "فإن قيل: فإذا كان حكاية فقد كان يجب أن يرد اللفظ عينه، وهو لم

(١) يراجع الكشاف (٤/ ١٠٤).

يقل له: أنا نذير مبين، فهلا أعاده البتة، فقال: إن يوحي إلا أنت نذير مبين؟

قيل: هذا أراد، إلا أنه إذا قال: إلا إنما أنا نذير مبين، فكأنه قد قال: أنت نذير مبين، ألا تراك تقول لصاحبك: أنت قلت: إنك شجاع، فزدت الحرف، وهو لم يقل: إنك شجاع، وإنما قال: أنا شجاع، فلما أردت قوله حاكيا له أوقت موقع (أنا): (إنك). وعله تحريف هذا الحرف الواحد من الجملة المحكية أنك مخاطب له، فغلب لفظ الخطاب الحاضر لقوة الحاضر على الغائب. هذا أيضا مع ارتفاع الشبهة والإشكال في أن الغرض بهما جميعا شيء واحد"[1].

الموضع الثالث والخمسون: قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[فصلت: ١٠]. قرأ أبو جعفر برفع الهمزة مع التنوين: (سواءٌ)، ويعقوب بخفضها كذلك: (سواءِ)، والباقون بنصبها منونة: (سواءً)[2].

معنى القراءة:

(سواء) من الكلمات المثلثة في القرآن التي وردت بالحركات الثلاث. قرأ الجمهور بالنصب على أنها مفعول مطلق لفعل مقدر أي: استوت سواء.

٢ـ المصدر في موضع الحال من الضمير في (أقواتها)، أي: قدر فيها أقواتها حال كون ذلك سواء.

قال الأزهري: "ومن نصب (سواء) فعلى المصدر، على معنى: استوت سواء أي: استواء. فـ (سواء) أقيم مقام المصدر الحقيقي"[3]. وقال السمين: "والثاني: أنه حال من (ها) في (أقواتها) أو من (ها) في (فيها) العائدة على الأرض أو من الأرض، قاله أبو البقاء. وفيه نظر؛ لأن المعنى: إنما هو وصف الأيام بأنها سواء، لا وصف الأرض

(١) يراجع المحتسب (٢/ ٢٣٥).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٦٦)، والبدور الزاهرة ص (٢٨٢).

(٣) يراجع معاني القراءات (٢/ ٣٥١).

بذلك"[١].

وقرأ أبو جعفر بالرفع: (سواءٌ) على أنها خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي سواءٌ، فكأن سائلا سأل عن ذلك الأمر، في كم كان خلق الأرض وما فيها من الأقوات؟ فكان الجواب: في أربعة أيام، هي سواء لا تزيد ولا تنقص.

وقراءة يعقوب: (سواءٍ) بالخفض على أنها نعت لـ (أيام)، أي: في أربعة أيامٍ سواءٍ أي: تمام بمعنى تامة، كرجل عدل أي: عادل. ويحتمل أن تكون نعتا لـ (أربعة).

قال الفراء: "(سواء للسائلين) نصبها عاصم وحمزة، وخفضها الحسن، فجعلها من نعت الأيام، وإن شئت من نعت الأربعة، ومن نصبها جعلها متصلة بالأقوات، وقد ترفع كأنه ابتداء، كأنه قال: ذلك سواء للسائلين، يقول لمن أراد علمه"[٢].

وذهب الأشموني إلى أن قراءة أبي جعفر: (سواءٌ) يحتمل أن تكون مبتدأ، والخبر (للسائلين)[٣]. قلت: وفيما ذهب إليه ـ رحمه اللَّه ـ نظر؛ لأن (سواء) نكرة، ولا مسوغ هنا للابتداء بالنكرة.

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور جاءت على المصدر للتأكيد وأن اللَّه ﷻ خلق ذلك وقدره فاستواء استواء تاما. قال الإمام البيضاوي: "في أربعة أيام في تتمة أربعة أيام كقولك: سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوما. ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما باليومين الأولين"[٤]. وقراءة الخفض: (سواء) نعت بالمصدر، والنعت بالمصادر يفيد المبالغة كما يقال: رجل عدل، وفلان صدق، فـ (سواءٍ) أي: في أربعة أيام مستويات؛ لأن الأيام قد تكون متساوية وقد تكون مختلفة

(١) يراجع الدر المصون (٩/ ٥٠٩).

(٢) يراجع معاني القرآن للفراء (٣/ ١٢، ١٣).

(٣) يراجع منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني (٢/ ٢٦).

(٤) يراجع أنوار التنزيل (٥/ ٦٧).

ومتفاوتة بحسب الأمكنة طولا وقصرا، أو بحسب الأزمنة، فبين اللَّه ـ تعالى ـ أن تلك الأيام الأربعة كانت متساوية لا مختلفة.

وجاءت قراءة أبي جعفر: (سواءٌ) جوابا لسؤال من سأل عن هذا الخلق واستفهم عن حقيقته، فكان جوابه: خلق ذلك في أربعة أيام هي سواء لمن لكل من سأل.

الموضع الرابع والخمسون: قوله تعالى: ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[الزخرف: ٢٤]. قرأ أبو جعفر: "جئناكم" بنون وألف على الجمع. وقرأ الباقون بالتاء مضمومة على التوحيد: "جئْتُكم"[(١)]. وقرأ ابن عامر وحفص: (قال) بلفظ الخبر، والباقون: (قل) بلفظ الأمر[(٢)].

معنى القراءات:

على قراءة الأمر يكون المعنى أن اللَّه ما أرسل من نذير إلا احتج عليه قومه بهذه المقالة: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾[الزخرف: ٢٣]، فجاءت الآية التي بعدها ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ ﴾ استئنافا بيانيا جوابا عن سؤال مقدر، وكأن النذير سأل ربه: يارب قد قالوا لي ما قالوا، فكيف أجيبهم، وبأي شيء أرد عليهم؟ فأوحى اللَّه إليه: قل كذا. وجاءت قراءة الخبر لإخبار اللَّه عن احتجاج المعاندين للنذير بهذه المقالة، فكأن السامع للآية سأل: فبم أجابهم النذير؟ فأخبر اللَّه أن النذير قد أجابهم بقوله: ﴿ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾.

واختلاف القراء في: "قال" مع قوله: "جئتكم" ينتج قراءات ثلاثا:

١ـ قراءة ابن عامر وحفص: "قال أولو جئتكم".

٢ـ قراءة أبي جعفر: "قل أولو جئناكم".

٣ـ قراءة الباقين: "قل أولو جئتكم".

فأما القراءة الأولى فهي إخبار عن النذير أنه أجابهم عن مقالتهم: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٦٩).

(٢) يراجع السبعة ص (٥٨٥)، والنشر (٢/ ٣٦٩).

عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾، وقال لهم: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾.

وأما قراءة أبي جعفر فجاءت بلفظ الأمر: "قل" وهذا أمر للنذير أو للنبي ﷺ أن يقول لهم: "أولو جئناكم"، و "جئناكم" جاءت على لفظ الجمع للتعظيم؛ إذ إنه معظَّم من أجل ما أنزله اللَّه عليه وبعثه به.

٢ـ يحتمل أن النذير أو النبي ﷺ أُمر بالتبليغ عن نفسه وعمن تقدمه من الأنبياء أن ما جاءوا به أهدى مما وجد أقوامهم عليه آباءهم(١). وذلك لأن أمر جميع الأنبياء واحد، فمن كذب نبيا واحدا كان كمن كذب جميع الأنبياء والمرسلين.

قلت: ويحتمل وجها ثالثا، وهو أن يكون الضمير في: "جئناكم" يعود إلى اللَّه تعالى للتفخيم والتعظيم، ونسب الفعل إليه؛ لأنه هو الآمر بالشرع، والنذير ليس له إلا البلاغ، لذلك لما طلب المشركون من النبي ﷺ تبديل القرآن أجابهم بأنه لا يفعل من تلقاء نفسه، وإنما يمتثل أمر ربه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[يونس: ١٥]، ويمكن دخول النذير في قوله: "جئناكم"؛ لأنه المبلغ عن اللَّه تعالى، فأمر اللَّه النذير أن يقول لهم: أولو جاءكم اللَّه بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم، وجئناكم بذلك فبلغناكم. وأما قراءة الباقين: "قل أولو جئتكم" على أنه أمر للنبي ﷺ أن يقول لهم ذلك.

فائدة القراءات:

قد يعترض علينا بأن قراءة: (قال) خبر، فتقتضي أن النبي ﷺ قد أجابهم بهذا القول، وقراءة (قل) إنشاء، أمر من اللَّه بأن يقول لهم ذلك، وهذا يخالف ذاك، فهل قال النبي أو لم يقل؟

والجواب أن اللَّه ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يجيب هؤلاء المعاندين وأن يرد على افتراءاتهم

(١) يراجع الشفاء ص (٤٧٧).

كما أفادته قراءة الأمر، ثم جاءت قراءة الخبر لتفيد امتثال النبي ﷺ لأمر ربه، فقد أمره أن يقول فقال، فالجمع بين القراءتين أفاد أن النبي لا يقول إلا عن وحي وأمر من اللَّه، وأفاد أنه لا يقصر ولا يكتم شيئا مما أمره اللَّه به، بل يبلغ أمر اللَّه إلى عباد اللَّه.

فالقراءات في هذه الآية بينت أن اللَّه ﷻ لقَّن جميع الأنبياء، ويدخل فيهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ بما يقولونه عند مواجهة أقوامهم، وقد امتثل الأنبياء أمر اللَّه رب العالمين فقالوا لهم ذلك، فما كان من أقوامهم إلا العناد والتكذيب ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[الزخرف: ٢٤]، وجاءت قراءة أبي جعفر لبيان قدر الرسول ﷺ وأنه مرفوع القدر عند ربه، وأنه لا يمتثل إلا ما قال له سيده.

الموضع الخامس والخمسون: قوله تعالى: ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾[الزخرف: ٨٣]. وردت كلمة (يلاقوا) في ثلاثة مواضع، هنا، وفي سورة الطور: ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴾[الطور: ٤٥]، وفي سورة المعارج: ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾[المعارج: ٤٢]، قرأ أبو جعفر بفتح الياء، وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها في الثلاثة: "يَلْقَوْا"، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف فيهن: "يُلَاقُوا"[1].

معنى القراءات:

قراءة أبي جعفر: "يلقوا" مضارع "لقي" الثلاثي المجرد، يقال: لقِيَ يلْقى. وقراءة الجمهور: "يلاقوا" مضارع "لاقى" على زنة "فاعَلَ"، يقال: لاقى يلاقي.

فائدة القراءات:

قراءة: "يلقوا" تفيد أن هؤلاء الذين نسبوا للَّه ما هو منزه عنه سيلقون يوما يتحقق فيه ما توعدهم اللَّه به. وجاءت قراءة: "يلاقوا" من الملاقاة وهي مفاعلة؛ لأن كل من لاقيته فقد لاقاك، وهذه الملاقاة ليست على الحقيقة، وإنما نسبت الملاقاة إلى اليوم؛

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٧٠).

لوقوعها فيه. قال الطاهر ابن عاشور: "وصيغة المفاعلة مجاز في أنه لقاء محقق"[١]. كما أن قراءة: "يلقوا" تحمل معنى السرعة في وقوع العذاب بهم كما حدث يوم بدر، فهي تفيد التهديد والوعيد، وقراءة: "يلاقوا" تحمل معنى الإبطاء والإنظار والإمهال حتى يلاقوا العذاب الشديد في الآخرة.

الموضع السادس والخمسون: قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[الجاثية: ١٤]. ﴿ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا ﴾ فيها ثلاث قراءات: ١ـ قرأ ابن عامر وحمزة، والكسائي وخلف بالنون: "لنَجْزِيَ". ٢ـ قرأ أبو جعفر بضم الياء وفتح الزاي مجهلا: "لِيُجْزَى". ٣ـ قرأ الباقون بياء مفتوحة في مكان النون مع كسر الزاي وفتح الياء: "لِيَجْزِيَ"[٢].

معنى القراءات:

من قرأ: "ليَجْزي" بالغيبة فعلى أنه إخبار من النبي ﷺ عن ربه، أي: قل يا محمد للذين صدقوا اللَّه واتبعوك، يغفروا للذين لا يخافون بأس اللَّه ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه، ﴿ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ يقول: ليجزي اللَّه هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا فى الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان باللَّه، وليجزي الغافرين على إيمانهم وعلى ما أوذوا في سبيله، فإن الانتصار للنفس توفية للحق، وماذا عساهم يبلغون من شفاء أنفسهم بالتصدي للانتقام من المشركين على قلتهم وكثرة أولئك[٣]. والقراءة بالغيبة مناسبة لسياق الآية ﴿ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾، فناسب أن يأتي الفعل: "ليجزي" أي: اللَّه، على الغيبة. ومن قرأ: "لنجزي" فعلى أنه التفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة إخبار من اللَّه عن نفسه.

(١) يراجع التحرير والتنوير (٢٥/ ٢٦٧).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٧٢).

(٣) ينظر جامع البيان (٢٢/ ٦٦)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ٣٤١).

وأما قراءة أبي جعفر: "لِيُجْزَى" على بناء الفعل لما لم يسم فاعله، ونصب (قوما)، على أن يكون نائب الفاعل الجار والمجرور في (بما)، وهذا مخالف للقاعدة عند البصريين، فالقاعدة عندهم أنه إذا وجد بعد الفعل المبني لما لم يسم فاعله مفعول به ومصدر، وظرف وجار ومجرور تعين إقامة المفعول به مقام الفاعل، فتقول: ضُرِبَ زيدٌ ضربا شديدا يومَ الجمعة أمامَ الأمير في داره، ولا يجوز إقامة غيره مقامه مع وجوده، وما ورد من ذلك شاذ أو مؤول. قال أبو جعفر النحاس: "قال أبو إسحاق: هو لحن عند الخليل وسيبويه وجميع البصريين. وقال الفراء: هو لحن في الظاهر، وهو عند البصريين لحن في الظاهر والباطن، وإنما أجازه الكسائي على شذوذ بمعنى: ليجزي الجزاء قوما، فأضمر الجزاء، ولو أظهره ما جاز فكيف وقد أضمره؟ وقد أجمع النحويون على أنه لا يجوز: ضُرب الضرب زيدا"(١).

وأما الكوفيون فهم يجيزون إقامة غير المفعول به وهو موجود تقدم أو تأخر، فتقول: ضُرِبَ ضربُ شديد زيدا، وضُرِب زيدا ضربٌ شديد، وعليه تُخَرَّج قراءة أبي جعفر. قال ابن مالك:

وقابل من ظرف او من مصدر ... أو حرف جر بنيابة حري

ولا ينوب بعض هذي إن وجد ... في اللفظ مفعول به وقد يرد(٢)

٢-يجوز في قراءة أبي جعفر أن يكون نائب الفاعل هو المصدر المقدر، أي: ليجزى الجزاءُ قوما، فأضمر الجزاء. قال أبو حيان: "قرأ الجمهور: (ليجزي) اللَّه، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بالنون، وأبو جعفر: بخلاف عنه بالياء مبنيا للمفعول. وفيه حجة لمن أجاز بناء الفعل للمفعول، على أن يقام المجرور، وهو (بما)، وينصب المفعول به الصريح، وهو (قوما)، ونظيره: ضُرِبَ بسوط زيدا، ولا يجيز ذلك الجمهور. وخرجت هذه القراءة على أن يكون بني الفعل للمصدر، أي: ليجزى الجزاءُ قوما. وهذا أيضا لا

(١) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٥).

(٢) يراجع ألفية ابن مالك ص (٢٦)، وشرح ابن عقيل (٢/ ١٢١)، وشرح الأشموني (١/ ٤٢١).

يجوز عند الجمهور، لكن يُتَأَوَّل على أن ينصب بفعل محذوف تقديره: يجزي قوما، فيكون جملتان، إحداهما: ليجزى الجزاء قوما، والأخرى: يجزيه قوما، و (قوما) هنا يعني به الغافرين"[(١)].

وأجيب بأن هذا التوجيه منتقد أيضا بما انتقد به الأول بل أشد، فلا يجوز إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به عند البصريين، هذا إذا كان المصدر ظاهرا فكيف وقد أُضمر[(٢)].

٣ـ وقيل: نائب الفاعل ضمير المفعول الثاني عاد الضمير عليه لدلالة السياق تقديره: ليجزى هو أي: الخير قوما. والمفعول الثاني من باب "أعطى" يقوم مقام الفاعل بلا خلاف. فيجوز إقامة الأول منهما وكذلك الثاني بالاتفاق، فتقول: كُسِي زيد جبة، وأعطي عمرو درهما، وإن شئت أقمت الثاني فتقول: أعطي عمرا درهم، وكسي زيدا جبة. قال ابن مالك:

وباتفاق قد ينوب الثان من باب كسا فيما التباسه أمن[(٣)]

فهذه القراءة صحيحة ثابتة لا يجوز الطعن عليها فلها توجيهات خالية من الطعن كالتوجيه الأخير، وجائزة على مذهب الكوفيين على التوجيه الأول، وفوق كل ذلك فهي قراءة متواترة تلقاها العلماء بالقبول وشهد لها الأثبات، وإذا تواترت القراءة فهي حجة على اللغة يحتج بها لا لها.

فائدة القراءات:

بالجمع بين القراءات في هذه الآية الكريمة نجد أن قراءة الغيبة إخبار من النبي ﷺ عن ربه أن يخبر المؤمنين أن يصفحوا عن المشركين، فإن اللَّه جازِ كل قوم بما كانوا يكسبون، يجزي المؤمنين على إيمانهم وصبرهم، والمشركين على كفرهم وصدهم

(١) يراجع البحر المحيط (٩/ ٤١٧ـ٤١٨).

(٢) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٩٥).

(٣) يراجع الدر المصون (٩/ ٦٤٦)، وألفية ابن مالك ص (٢٦)، وشرح ابن عقيل (٢/ ١٢٤).

عن سبيل اللَّه، وإيذائهم للمؤمنين، فهي وعد للمؤمنين وعيد للمشركين. وجاءت قراءة: "لنجزي" إخبارا من اللَّه ﷻ عن نفسه بنون العظمة بما يفيد التفخيم والتعظيم لهذا الوعد للمؤمنين؛ لأن الذي سيوفيهم أجورهم هو الملك ﷻ، وزيادة ترهيب وتخويف للمشركين من أليم العقاب وشديد العذاب الذي ينتظرهم.

وجاءت قراءة أبي جعفر ببناء الفعل للمفعول؛ للعلم للفاعل وهو اللَّه، وفيه تعظيم للَّه ﷻ؛ لأنه معلوم للجميع، وتعظيم ما أقيم مقام الفاعل وهو الجزاء من خير أو شر ولذا قال بعدها: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الجاثية: ١٥].

الموضع السابع والخمسون: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[الحجرات: ٤]. قرأ أبو جعفر بفتح الجيم: (الحُجَرات)، وقرأ الباقون بضمها: (الحُجُرات)[(١)].

معنى القراءات:

كلمة (حجرات) فيها ثلاث لغات، الضم والفتح والسكون، يقال: (حجُرات، حجَرات، حجْرات). قال الأزهري: "(الحجرات) بضم الجيم وفتحها وسكونها، وكل قد قرئ به"[(٢)]. والصحيح أنه قرئ في العشر بالضم والفتح فحسب. فعلى ذلك ضم الجيم وفتحها لغتان في الكلمة بمعنى واحد، جمع (حجرة).

٢ـ ذهب بعض العلماء إلى أن (الحجُرات) بالضم جمع (حجْرة)، و (الحجَرات) بالفتح جمع الجمع على التكثير، فكلمة (حجرة) جمعت على (حجر)، وجمعت (حجر) على (حجَرات).

قال أبو جعفر النحاس: "قرأ يزيد بن القعقاع (الحجرات) بفتح الجيم. وقد رده أبو عبيد على أنه جمع الجمع على التكثير. جَمَع (حجرة) على (حجر) ثم جَمَع (حجرا)

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٧٦)، والبدور ص (٣٠١).

(٢) يراجع إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٥٠١، ٥٠٢).

على (حجَرات). قال أبو جعفر: وهذا خلاف قول الخليل وسيبويه، ومذهبهما أنه يقال: حجرة وحجُرات، وغرفة وغرُفات، فتزاد منها فتحة فيقال: حجَرات وركَبات، وتحذف فيقال: حجْرات وركْبات"[(١)].

فائدة القراءات:

هذه الآية الكريمة تبين ما يفعله بعض الناس من رفع الصوت عند ندائهم على رسول اللَّه ﷺ، ويزيد الأمر جفاء حين ينادون النبي من وراء حجرات نسائه، فكان في فعلهم قلة توقير للنبي ﷺ، وقراءة الضم والفتح في كلمة (الحجرات) لغتان في الكلمة، على ما ذهب إليه الخليل وسيبويه، ويشير الضم إلى الثقل في الكلمة وكيف أن هذا الضم شديد وثقيل، ومنافٍ لما تقتضيه العقول السليمة والآداب القويمة، وإسناد فعل النداء (ينادونك) للجماعة للإخبار بأن الذي تولى النداء جميعهم، أو تولى النداء بعضهم وسكت الباقون، فصار سكوتهم بمنزلة الإقرار منهم. فقد ثبت في بعض الروايات أن الذي تولى النداء واحد فقط، روى الإمام الترمذي بسنده عن البراء بن عازب، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ قال: قام رجل فقال: يا رسول اللَّه إن حمدي زين وإن ذمي شين، فقال النبي ﷺ: "ذاك اللَّه ﷻ". وفي رواية أحمد: أن الأقرع بن حابس هو الذي نادى على النبي ﷺ[(٢)].

قال الإمام الزمخشري: "والمراد: حجرات نساء رسول اللَّه ﷺ، وكانت لكل واحدة منهن حجرة. ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له، فناداه بعض من وراء هذه، وبعض من وراء تلك، وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها، ولكنها جمعت إجلالا لرسول اللَّه ﷺ ولمكان حرمته. والفعل وإن كان مسندا إلى جميعهم فإنه يجوز

(١) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٤/ ١٤٠).

(٢) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة الحجرات، ح رقم (٣٢٦٧). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. ومسند أحمد، ح رقم (١٥٩٩١)، من ح الأقرع بن حابس.

أن يتولاه بعضهم، وكان الباقون راضين، فكأنهم تولوه جميعا"[1]. وقال الفخر: قوله تعالى: ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فيه وجهان أحدهما: أن العرب تذكر الأكثر وتريد الكل، وإنما تأتي بالأكثر احترازا عن الكذب واحتياطا في الكلام؛ لأن الكذب مما يحبط به عمل الإنسان في بعض الأشياء، فيقول الأكثر وفي اعتقاده الكل، ثم إن اللَّه تعالى مع إحاطة علمه بالأمور أتى بما يناسب كلامهم، وفيه إشارة إلى لطيفة وهي أن اللَّه تعالى يقول: أنا مع إحاطة علمي بكل شيء جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها، واجعلوا اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضائي بذلك، وثانيهما: أن يكون المراد أنهم في أكثر أحوالهم لا يعقلون"[2].

الموضع الثامن والخمسون: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ٣]. قرأ أبو جعفر بخفض الراء من (مستقرٍّ)، وغيره برفعها: (مستقرٌّ)[3].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور: (مستقرٌّ) بالرفع على أنها خبر لـ(كل)، فـ(كل) مبتدأ، و(أمر) مضاف إليه، و(مستقر) خبر، أي: كل أمر

وقراءة أبي جعفر (مستقرٍّ) فيها أوجه: ١ـ أنها مرفوع في الأصل على أنه خبر (كل)، لكن جُرَّ للمجاورة. قال الباقولي: "وباب المطابقة باب حسن جداً على ما حكى سيبويه: (حجرُ ضبٍّ خربٍ). فتركوا الرفع في (خرب)، وجروه حرصا على المطابقة. ومنه قراءة الحسن: (الحمد للَّه) بضم اللام تبعا للدال، وعكسه كسر الدال، تبعا للام عن الحمصي. وعليه قراءة أبي جعفر: (للملائكة اسجدوا) بضم التاء تبعا للجيم.

(١) يراجع الكشاف (٤/ ٣٥٧).

(٢) يراجع مفاتيح الغيب (٢٨/ ٩٦).

(٣) يراجع النشر (٢/ ٣٨٠)، والبدور ص (٣٠٨).

وعليه ما قرأ به أبو جعفر: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[١].

وضعفه الإمام أبو حيان بشذوذ الإعراب على المجاورة فقال: "وخرجه صاحب اللوامح على أنه خبر لـ (كل)، فهو مرفوع في الأصل، لكنه جر للمجاورة، وهذا ليس بجيد؛ لأن الخفض على الجوار في غاية الشذوذ؛ ولأنه لم يعهد في خبر المبتدأ، إنما عهد في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده"[٢].

٢ـ أن تكون (مستقر) صفةً لـ (أمر)، والجملة معطوفة على (الساعة)، أي: اقتربت الساعة واقترب كلُّ أمرٍ مستقرٍ له غاية يستقر عندها. قال أبو البقاء: "قوله تعالى: (وكل أمر) هو مبتدأ، و (مستقر): خبره. ويقرأ بالجر صفة لـ (أمر)، وفي (كل) وجهان، أحدهما: هو مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي معمول به، أو أتى. والثاني: هو معطوف على (الساعة)[٣].

وضعفه أبو حيان لطول الفاصل فقال: "وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث، وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب، نحو: أكلتُ خبزا وضربتُ زيدا، وإن يجيء زيدٌ أكرمْه ورحلَ إلى بني فلان ولحما، فيكون (ولحما) عطفا على (خبزا)، بل لا يوجد مثله في كلام العرب"[٤].

وأجاب السمين عن استبعاد شيخه أبي حيان لهذا الوجه بقوله: "قلت: وإذا دل دليل على المعنى فلا نبالي بالفواصل. وأين فصاحة القرآن من هذا التركيب الذي ركبه هو حتى يقيسه عليه في المنع؟"[٥].

---

(١) يراجع إعراب القرآن للباقولي (١/ ٣٨٠، ٣٨١). وسبق الكلام عن قراءة أبي جعفر في قوله: (للملائكة اسجدوا) في الموضع الثاني من هذا البحث. وأما قراءة (الحمد للَّه) بضم اللام أو بكسر الدال فهما قراءتان شاذتان. يراجع المحتسب (١/ ٣٧)، والكشاف (١/ ١٠)، والدر المصون (١/ ٤٢).

(٢) يراجع البحر المحيط (١٠/ ٣٤).

(٣) يراجع التبيان (٢/ ١١٩٢).

(٤) يراجع البحر المحيط (١٠/ ٣٤).

(٥) يراجع الدر المصون (١٠/ ١٢١).

٣ـ أن يكون (كل) مبتدأ، و (أمر) مضاف إليه، و (مستقر) صفة، والخبر محذوف تقديره: كل أمر مستقر أتى وحصل، وهذا الوجه سالم من الاعتراض بخلاف الوجهين الأولين.

٤ ـ جوز آخرون أن يكون الخبر قوله تعالى: (حكمة بالغة). قال السمين: "أن خبر المبتدأ قوله: (حكمة بالغة) أخبر عن كل أمر مستقر بأنه حكمة بالغة، ويكون قوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ جملة اعتراض بين المبتدأ وخبره"[(١)].

فائدة القراءة:

يخبر اللَّه ﷻ عن هؤلاء المعرضين بأنهم كذبوا بكل آية رأوها وأنكروا كل معجزةأبصروها بعد ما شاهدوا حقيقتها وعاينوا انشقاق القمر فلقتين، واتبعوا ما تمليه عليهم أهواؤهم، وكل أمر فعلوه مستقرٌّ له قرار يستقر عنده وغاية ينتهي إليها، وأفادت قراءة أبي جعفر أن كل أمر فعلوه سيرونه يوم القيامة باديا ظاهرا، فتقدير الكلام: كل أمر مستقرٍ بالغوه بدلالة قوله تعالى بعد ذلك: (حكمة بالغة). وإخبار أيضا عن ذلك الأمر أنه اقترب ظهوره ومجيئه وتقدير الكلام: اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر وهو الحق أي: اقترب ثباته وظهوره. وفيه إشارة إلى أن أمر رسول اللَّه ﷺ مصيره إلى مستقر يستقر إليه كما استقر أمر من سبقه من الأنبياء والمرسلين بالنصر على أعدائهم، وأن مستقر أمر أعدائه إلى الخذلان.

الموضع التاسع والخمسون: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[المجادلة: ٧]. قرأ أبو جعفر بالتاء على التأنيث: "ما تكون"، وقرأ الباقون بالياء على التذكير: "ما يكون"[(٢)].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (ما يكون) بالتذكير على أن (نجوى) فاعل (يكون) مرفوع بضمة

(١) يراجع الدر المصون (١٠/ ١٢٢).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٨٥).

مقدرة منع من ظهورها انشغال المحل بحركة جر الجر (الصلة) الزائد (من)، وذُكِّر الفعل (يكون) مع أن الفاعل (نجوى) مؤنث لأمرين:

الأول: أن الفاعل: (نجوى) مجازي التأنيث.

الثاني: إرادة الجنس أي: ما يكون شيء من نجوى، فـ (نجوى) ليس هو الفاعل لوجود (من)، وهذا السبب ـ وهو إرادة الجنسية ـ هو الذي جعل صاحب اللوامح يقول بأن التذكير في هذا أكثر من التأنيث. فالمعنى: لا يوجد ولا يحصل شيء من نجوى ثلاثة.

وقراءة أبي جعفر: (ما تكون) بالتاء لتأنيث الفاعل: (نجوى)، وتأنيث الفعل هنا هو القياس والأكثر ـ خلافا لما ذهب إليه صاحب اللوامح ـ ودخلت (من) على الفاعل للتأكيد كما في قوله: ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾[المائدة: ١٩].

قال أبو حيان: "قرأ الجمهور: (ما يكون) بالياء، وأبو جعفر: بالتاء لتأنيث النجوى. قال صاحب اللوامح: وإن شغلت بالجار، فهي بمنزلة: ما جاءتني من امرأة، إلا أن الأكثر في هذا الباب التذكير على ما في العامة، يعني القراءة العامة، قال: لأنه مسند إلى (من نجوى) وهو يقتضي الجنس، وذلك مذكر. انتهى. وليس الأكثر في هذا الباب التذكير؛ لأن (من) زائدة. فالفعل مسند إلى مؤنث، فالأكثر التأنيث، وهو القياس، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾[(١)]، ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾[(٢)]، و (يكون) هنا تامة"[(٣)].

فائدة القراءة:

التذكير والتأنيث جائزان في: (يكون)، فالتأنيث لتأنيث الفاعل، والتذكير لكونه مجازي التأنيث، وللفصل بـ (من). قال الإمام البقاعي بعد كلامه عن علم اللَّه الشامل

(١) جزء من الآية: (٤) من سورة الأنعام، ومن الآية: (٤٦) من سورة يس.

(٢) جزء من الآية: (٥) من سورة الحجر، ومن الآية: (٤٣) من سورة المؤمنون.

(٣) يراجع البحر المحيط (١٠/ ١٢٥).

للكليات والجزئيات: "ولما كان ذلك وإن كان معلوماً يتعذر إحاطة الإنسان بكل جزئي منه، دل عليه بما هو أقرب منه فقال: (ما تكون) بالفوقانية في قراءة أبي جعفر لتأنيث النجوى إشارة إلى العلم بها ولو ضعفت إلى أعظم حد، وقرأ الباقون بالتحتانية للحائل؛ ولأن التأنيث غير حقيقي، وهي على كل حال من (كان) التامة، وعمم النفي بقوله: ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾"[1].

الموضع الستون: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ٨ - ١١]. قرأ أبو جعفر بضم الياء: (يُسْأَلُ)، وغيره بفتحها: (يَسْأَلُ)[2].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور: (يَسأل) بالبناء للفاعل، و (حميم) فاعل، و (حميما) مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف تقديره: لا يسأل حميم حميما شفاعة أو نصرة، أو يكون (حميما) منصوب على نزع الخافض، والتقدير: لا يسأل حميم عن شأن حميمه. وقرأ أبو جعفر: (يُسْأل) بالبناء للمفعول، و (حميم) نائب عن الفاعل، و (حميما) مفعول ثان.

قال الفخر: "في الآية وجوه أحدها: أن يكون التقدير: لا يسأل حميم عن حميمه، فحذف الجار وأوصل الفعل. الثاني: لا يسأل حميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه؛ لأن لكل أحد ما يشغله عن هذا الكلام. الثالث: لا يسأل حميم حميما شفاعة، ولا يسأل حميم حميما إحسانا إليه ولا رفقا به.

وقرأ ابن كثير: (ولا يُسْأل) بضم الياء، والمعنى: لا يسأل حميم عن حميمه ليتعرف شأنه من جهته، كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه، وهذا أيضا على حذف

(١) ينظر نظم الدرر (١٩/ ٣٦٢).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٩٠)، والبدور الزاهرة ص (٣٢٧).

الجار. قال الفراء: أي لا يقال لحميم أين حميمك؟"[1]. ولست أحب هذه القراءة لأنها مخالفة لما أجمع عليه القراء.

فائدة القراءة:

قراءة الجمهور: (ولا يَسأل) أفادت أن القريب لا يَسْأل عن حال قريبه؛ لأن كل واحد منهم مشغول بنفسه، ومع أنهم يبصرونهم ويرونهم أمام أعينهم ويعرف بعضهم بعضا إلا أنهم لا يسألون عن شأن بعض، فالسبب في عدم سؤالهم ليس لأنهم لا يبصر بعضهم بعضا ولكن لأن كل واحد له شأن يغنيه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[عبس: ٣٤ – ٣٧]. أو لا يسأل القريب قريبه نصرة أو شفاعة؛ لأنه أيس يوم القيامة من نصرة أحد أو شفاعته إلا بإذن الرحمن ﷻ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[طه: ١٠٩]. أو لا يسأله أن يحمل عن من أوزاره؛ ليقينه يومئذ أن أحدا لا يحمل وزر غيره وإن كان أقرب الناس إليه، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾[فاطر: ١٨].

وأفادت قراءة أبي جعفر (ولا يُسأل) أنه لا يُسأل القريب عن قريبه بأن يقال له: أين قريبك؟ أين حميمك؟ لأنهم يرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال، ولا يُسألون عنهم بأن يطلب منهم معرفة مكانهم أو سؤال عن أحوالهم كما هو حال ملوك الدنيا، فإنهم يسألون القريب عن مكان قريبه إذا لم يكن موجودا، ويسألون عن أحواله، لكن هؤلاء لا يُسألون يوم القيامة لأن علم اللَّه محيط بالأشياء كلها، وقدرته أحاطت بكل شئ. فقراءة الجمهور أفادت انشغال كل امرئ بنفسه، وقراءة أبي جعفر أفادت إحاطة على اللَّه بكل شئ على حد سواء.

قال الإمام الزمخشري: "﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ أى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه؛ لأن بكل أحد ما يشغله عن المساءلة. (يبصرونهم) أى يبصر الأحماء الأحماء،

(١) يراجع مفاتيح الغيب (٣٠/ ٦٤١).

فلا يخفون عليهم، فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضا، وإنما يمنعهم التشاغل. وقرئ: (ولا يُسأل) على البناء للمفعول، أى: لا يقال الحميم أين حميمك ولا يطلب منه؛ لأنهم يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب. فإن قلت: ما موقع (يبصرونهم)؟ قلت: هو كلام مستأنف، كأنه لما قال: (ولا يسئل حميم حميما) قيل: لعله لا يبصره، فقيل: يبصرونهم، ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم. فإن قلت: لم جمع الضميران في (يبصرونهم) وهما للحميمين؟ قلت: المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين. ويجوز أن يكون (يبصرونهم) صفة، أى: حميما مبصرين معرفين إياهم"[1].

الموضع الحادي والستون: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾[المرسلات: ١١]. في كلمة (أقتت) ثلاث قراءات: ١ـ قرأ أبو عمرو وصلا ووقفا بواو مضمومة في مكان الهمزة مع تشديد القاف: (وقّتت).

٢ـ قرأ أبو جعفر بواو كذلك مع تخفيف القاف: (وقِتت).

٣ـ قرأ الباقون بهمزة مضمومة مع تشديد القاف: "أقّتت"[2].

معنى القراءة:

الأصل في هذه الكلمة الواو؛ لأنها من الوقت. أي: إذا الرسل جعل لها وقت فحضر وجاء، والجواب محذوف لدلالة ما قبله، والتقدير: إذا كان كذا وقع ما توعدون بدليل قوله: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾[المرسلات: ٧].

فمن قرأ بالواو فعلى الأصل. ومن قرأ بالهمزة فعلى إبدال الواو همزة؛ لانضمام الواو، وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز أن تبدل منها همزة، فتقول: في وجوه أجوه، وفي وُعِد: أُعِد[3].

---

(١) يراجع الكشاف (٤/ ٦٠٩، ٦١٠).

(٢) يراجع التيسير ص (٢١٨)، والنشر (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧)، والبدور الزاهرة ص (٣٣٤).

(٣) يراجع حجة القراءات ص (٧٤٣)، والمحتسب (١/ ٣٤٨).

واختلف في المراد بالتأقيت على قولين: الأول: أنه تبيين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم، وضعّف هذا الوجه؛ لأن هذه الأشياء [وهي طمس النجوم، وفرج السماء، ونسف الجبال] جعلت علامات لقيام القيامة، كأنه قيل: إذا كان كذا وكذا كانت القيامة، ولا يليق بهذا الموضع أن يقال: وإذا بين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم قامت القيامة؛ لأن ذلك البيان كان حاصلا في الدنيا؛ ولأن الثلاثة المتقدمة هي الطمس والفرج والنسف مختصة بوقت قيام القيامة، فكذا هذا التوقيت يجب أن يكون مختصا بوقت قيام القيامة.

القول الثاني: أن المراد بهذا التأقيت تحصيل الوقت وتكوينه، وهذا أقرب أيضا إلى مطابقة اللفظ؛ لأن بناء التفعيلات على تحصيل تلك الماهيات، فالتسويد تحصيل السواد، والتحريك تحصيل الحركة، فكذا التأقيت تحصيل الوقت. وهو ما رجحه الزمخشري بقوله: "والوجه أن يكون معنى وقتت: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره: وهو يوم القيامة". ثم إنه ليس في اللفظ بيان أنه تحصيل لوقت أي شيء، وإنما لم يبين ذلك ولم يعين لأجل أن يذهب الوهم إلى كل جانب فيكون التهويل فيه أشد، فيحتمل أن يكون المراد تكوين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم، وأن يكون هو الوقت الذي يجتمعون فيه للفوز بالثواب، وأن يكون هو وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به وسؤال الأمم عما أجابوهم، كما قال: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الأعراف: ٦][(١)].

فائدة القراءة:

يمكن الجمع بين القولين بأن يقال: من قال: (أقتت) بمعنى: جعل لها وقت، فالمراد جعل هذا الوقت وحصوله، فيكون بمعنى تحصيل الوقت وتكوينه، وبلوغ ذلك الميقات، والمعنى: جعل لها وقت منتظر فجاء، فإذا حان وجاء ذلك الوقت، وجمع الرسل ليوم الفصل، وقع ما توعدون.

(١) يراجع البسيط (٢٣/ ٨٥)، والكشاف (٤/ ٦٧٨)، ومفاتيح الغيب (٣٠/ ٧٦٩).

وبالجمع بين القراءات نجد أن قراءة: (وقتت) جاءت على الأصل من الوقت، وقراءة: (أقتت) جاءت على إبدال الواو همزة، وكلها لغات فصيحة في الكلمة، والمعنى إذا جمعت الرسل وبلغت ميقاتها الذي وقِّت لها لتسأل عن أممها فتشهد عليهم، وقراءة التشديد في ذلك تفيد التكثير والمبالغة لتعظيم هذا الوقت وبيان شدته، وما فيه من الأهوال، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾[الدخان: ٤٠ – ٤١]، وقراءة التخفيف جاءت محتملة للقليل والكثير، غير أن المراد التكثير والتعظيم كما دلت عليه قراءة الجمهور، وكما هو مفهوم من سياق الآيات.

الموضع الثاني والستون: قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[النازعات: ٤٢ – ٤٥]. قرأ أبو جعفر (منذرٌ) بتنوين الراء، وغيره بحذف التنوين: (منذرُ)[(١)].

معنى القراءة:

قرأ الجمهور (منذرُ) بغير تنوين، و (منذر) مضاف، و (من) مضاف إليه. وقرأ الإمام أبو جعفر (منذرٌ) بالتنوين فتعمل عمل الفعل، و (من) مبني على السكون في محل نصب على المفعولية.

قال الفراء: "أضاف عاصم والأعمش، ونَوَّن طلحة بن مصرف وبعض أهل المدينة، فقالوا: (منذرٌ من يخشاها)، وكل صواب، وهو مثل قوله: (بالغٌ أمره)، و (بالغُ أمره)، و (موهنٌ كيدَ الكافرين) و(موهنُ كيد الكافرين)"[(٢)].

(١) يراجع النشر (٢/ ٣٩٨)، والبدور ص (٣٣٦).

(٢) يراجع معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٤). وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[الطلاق: ٣] فيه قراءتان: قرأ حفص بحذف تنوين (بالغ) وخفض راء (أمره)، وغيره بالتنوين ونصب راء (أمره). وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[الأنفال: ١٨] فيه ثلاث قراءات ١ـ قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو بفتح الواو وتشديد الهاء وتنوين النون ونصب دال كيد: (موَهِّنٌ كيدَ). ٢ـ وقرأ الشامي وشعبة والأخوان ويعقوب وخلف بسكون =

فائدة القراءة:

يخبر اللَّه تعالى أن المكذبين بالبعث يسألون رسول اللَّه ﷺ عن وقت قيام الساعة التي يبعثون فيها من قبورهم بعد موتهم، وهذا السؤال منهم على سبيل الاستهزاء أو الاستعجال، قال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾[الشورى: ١٨]. فقال اللَّه له: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾ أي: في أي شئ أنت من علمها، أي: لست تعلم وقتها، وذكر الزمخشري وجها آخر في بيان معنى الآية فقال: "وقيل: (فيم) إنكار لسؤالهم، أى: فيم هذا السؤال، ثم قيل: أنت من ذكراها، أى: إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها، فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها، ولا معنى لسؤالهم عنها"[(١)]. ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ إلى ربك منتهى علمها، فلا يعلم وقت قيامها غيره، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[الأعراف: ١٨٧]، ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾ يا رسول اللَّه أنت منذر من يخاف عذاب اللَّه إياه على ذنوبه، ولست مبعوثا ولا مكلفا بعلم وقتها، فلا تنشغل بذلك وانشغل بما كلفت به من أمر الإنذار. فقراءة الجمهور أثبتت وبينت وظيفة النبي ﷺ وهي الإنذار، وخصص بمن يخاف الساعة ويخشى لقاء اللَّه؛ لأنهم المنتفعون بهذا الإنذار، وإلا فقد كان النبي ﷺ يوجه الدعوة لجميع الناس، وأفادت قراءة أبي جعفر استمرار النبي ﷺ على تبليغ ما أمر به، وأنه أنذر الناس الساعة ومستمر على هذا الإنذار في الزمن الحاضر والمستقبل. قال الزمخشري: "وقرئ: (منذر) بالتنوين، وهو الأصل، والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال، فإذا

= الواو وتخفيف الهاء وتنوين النون ونصب دال كيد: (موهنٌ كيدَ). ٣ـ وقرأ حفص بسكون الواو وتخفيف الهاء وحذف التنوين وخفض دال كيد: موهِنُ كيدِ). يراجع النشر (٢/ ٢٧٦، ٣٨٨)، والبدور الزاهرة ص (١٢٩، ٣٢٢).

(١) يراجع الكشاف (٤/ ٦٩٩).

أريد الماضي فليس إلا الإضافة، كقولك: هو منذر زيد أمس"[1].

الموضع الثالث والستون: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩]. ﴿ قُتِلَتْ ﴾ قرأ أبو جعفر بتشديد التاء: (قتَّلَت)، وقرأ الباقون بتخفيفها: (قتِلت)[2].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (قتِلت) بالتخفيف فعلى أن الفعل على التخفيف صالح للقليل والكثير، ومن قرأ بالتشديد فعلى أن الفعل للتكثير والتكرار والمبالغة.

قال أبو حيان: "قرأ أبو جعفر: بشد التاء؛ لأن الموؤدة اسم جنس، فناسب التكثير باعتبار الأشخاص. وجواب (إذا) وما عطفت عليه: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾[3]، و (نفس) تعم في الإثبات من حيث المعنى، (ما أحضرت) من خير تدخل به الجنة، أو من شر تدخل به النار"[4].

فائدة القراءة:

قراءة: "قتلت" بالتخفيف فهو على الأصل من إثبات قتل الموءودة، وأما قراءة التشديد فتفيد الزجر للمبالغة في هذا القتل والإقدام على قتل نفس معصومة لا ذنب لها، وتكرار هذا الفعل إما من شخص واحد فعل ذلك أكثر من ذلك أو التكثير والتكرار بحسب تعدد الأشخاص، كما ذكر الإمام أبو حيان أن "الموؤدة" اسم جنس، فناسب التكثير باعتبار الأشخاص.

فإن قيل: كيف تسأل الموءودة مع أن سؤال ما ذكر إنما يحسن من القاتل لا من المقتول[5]؟

(١) يراجع الكشاف (٤/ ٦٩٩).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٣٩٨)، والبدور الزاهرة ص (٣٣٨).

(٣) سورة التكوير: (١٤).

(٤) يراجع البحر المحيط (١٠/ ٤١٥-٤١٧).

(٥) ورد حديث في مسند أحمد بسند رجاله ثقات برقم (١٥٩٢٣)، وهو عند أبي داود في أول ك: السنة، ب: =

والجواب أنها سئلت لإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها، وإسقاطه عن درجة الخطاب، والمبالغة في تبكيته، فإن المجني عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثا للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه، فيرى براءة ساحته وأنه هو المستحق للعتاب والعقاب، وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما في قوله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[المائدة: ١١٦][(١)].

= في ذراري المشركين، برقم (٤٧١٧)، وقال محققه: رجاله ثقات أن النبي ﷺ قال: "الوائدة والموءودة في النار، إلا أن تدرك الوائدة الإسلام، فيعفو اللَّه عنها". اختلف العلماء في أطفال المشركين، ففيهم ثلاثة مذاهب، قال الأكثرون: هم في النار تبعا لآبائهم. وتوقفت طائفة فيهم. والثالث: وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا يا رسول اللَّه: وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين. رواه البخاري في صحيحه، برقم (٧٠٤٧)، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء: ١٥]، ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول حتى يبلغ، وهذا متفق عليه.

وقد يستدل للفريق الأول بالحديث المذكور بأن الموءودة في النار، ولكن أهل العلم تأولوا الحديث الوائدة بالقابلة لرضاها به، والموءودة بالموءودة لها، وهي أم الطفل فحذفت الصلة، وأما الطفلة فإنها في الجنة، فسميت الأم موءودة؛ لأنها برضائها بدفن ابنتها صارت كأنها قتلت نفسها. يراجع شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٧ـ٢٠٨)، وعون المعبود (١٢/ ٣٢٢)، والتنوير شرح الجامع الصغير للأمير الصنعاني (١١/ ٥٣).

قلت: ويستدل على أن الموءودة في الجنة بما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول اللَّه ﷻ: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾، قال: هي المدفونة. تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٤). ويحتج بالآية المذكورة: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ فإذا كان اللَّه ﷻ لا يعذب العاقل بكونه لم تبلغه الدعوة، فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى. وبما أخرجه أحمد في مسنده أن النبي ﷺ سئل: يا رسول اللَّه، من في الجنة؟ قال: "النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموؤودة في الجنة". يراجع مسند أحمد رقم (٢٠٥٨٥)، وسنن أبي داود، ك: الجهاد، ب: في فضل الشهادة، ح رقم (٢٥٢١)، وقال محققه: حديث حسن. وحسن الحافظ في الفتح إسناده. فتح الباري (٣/ ٢٤٦).

(١) يراجع البسيط للواحدي (٢٣/ ٢٦٠)، وروح المعاني (١٥/ ٢٥٧).

الموضع الرابع والستون: قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[الانفطار: ٩]. قرأ أبو جعفر بياء الغيبة: (يكذبون)، وغيره بتاء الخطاب: (تكذبون)[(١)].

معنى القراءة:

قراءة الجمهور: (تكذبون) بتاء الخطاب، وهي مناسبة للآيات التي قبلها والتي بعدها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٦ – ٨]. فـ(أل) في (الإنسان) إفادة الجنس، والضمائر في (غرك، بربك، خلقك، فسواك، فعدلك، ركبك) كلها على الخطاب. والآيات بعدها كذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[الانفطار: ١٠ – ١٢]. (عليكم، تفعلون) للخطاب أيضا، فناسب أن تأتي (تكذبون) بالخطاب لتناسب ما قبلها وما بعدها من الآيات.

وقراءة الإمام أبي جعفر (يكذبون) بالغيبة جاءت على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.

فائدة القراءة:

في الآية الكريمة زجر لهؤلاء المغترين بكرم رب العالمين فلم يشكروه على نعمه، وإنما استبدلوا بالشكر الكفر، وبيان أن سبب اغترارهم هو تكذيبهم بالجزاء والحساب والثواب والعقاب، فجاءت قراءة الجمهور بالخطاب توبيخا لهم على تكذيبهم ومواجهتهم بجرمهم، وجاءت قراءة أبي جعفر بالغيبة لتحقيرهم وبيان أنهم لا وزن لهم عند ربهم لتكذيبهم وعنادهم وأنهم ليسوا أهلا لأن يواجهوا بالخطاب.

الموضع الخامس والستون: قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢١ – ٢٦]. قرأ أبو جعفر بتشديد الياء: "إيَّابهم"، وقرأ الباقون بتخفيفها: "إيَابهم"[(٢)].

(١) يراجع النشر (٢/ ٢٧٠)، والبدور ص (٣٣٩).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٤٠٠)، والبدور الزاهرة ص (٣٤١).

معنى القراءة:

أولا: الأوب: ضرب من الرجوع، وذلك أن الأوب لا يقال إلا في الحيوان الذي له إرادة، والرجوع يقال فيه وفي غيره، والإياب أيضا هو الرجوع إلى منتهى المقصد والرجوع يكون لذلك ولغيره، ألا ترى أنه يقال: رجع إلى بعض الطريق، ولا يقال: آب إلى بعض الطريق، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ كأن القيامة منتهى قصدهم؛ لأنهم لا منزلة بعدها. يقال: آب أوبا وإيابا ومآبا. قال تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[النبأ: ٣٩]، والأواب كالتواب، وهو الراجع إلى اللَّه تعالى بترك المعاصي وفعل الطاعات، قال تعالى: ﴿ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾[ق: ٣٢][١].

ثانيا: قراءة الجمهور: (إِيَابهم) بالتخفيف على أنها مصدر من الفعل (آب)، يقال: آب يئوب إيابا أي: رجع. وأصلها أَوَب يأوب إِوَابا، فـ "أَوَب" تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا[٢].

وأما قراءة أبي جعفر: "إيَّابهم بالتشديد فقد اختلف الصرفيون في أصلها فقيل: ١ـ (إِيَّاب) من الفعل (أيَّب) على وزن (فيْعل)، ومصدره (فِيعال)، يقال: أيَّب يُؤيِّب إيَّاب، والأصل: أيْوب يُؤَيوِب إيْواب، فاجتمعت ياء وواو، وسُبِقت إحداهما بالسكون فأبدلت الواو ياء فقيل: إِيْيَاب، ثم أدغمت الياء في الياء فقيل: إيَّاب. قال ابن مالك:

إن يسكن السابق من واو ويا　　واتصلا ومن عُروض عـــريا
فياءً الــــــواوَ اقلبن مدغما　　وشذ مُعْطًى غيرَ ما قد رسما[٣]

(١) يراجع المفردات ص (٩٧)، مادة (أوب)، والفروق اللغوية للعسكري ص (٣٠٣).

(٢) الواو متى تحركت وانفتح ما قبلها وجب أن تقلب ألفا، يقال: سما، وعلا، ودعا، وغزا، والأصل فيها: سَمَوَ وعَلَوَ ودَعَوَ وغَزَوَ؛ لقولهم: سموت وعلوت ودعوت وغزوت، إلا أنه لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا. يراجع الإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ١٤)، واللباب في علل البناء والإعراب (٢/ ٣٨٨).

(٣) إذا اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت إحداهما بالسكون، وكان سكونها أصليا أبدلت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، وذلك نحو: سيد وميت، والأصل سيود وميوت، فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، فصار سيد وميت. فإن كانت الياء والواو في =

٢ـ (إيَّاب) من الفعل (أوَّب) على وزن (فوعل) مثل: حوقل، ومصدره (فيعال)، يقال: أوَّب يؤوب إوْواب، سكنت الواو وانكسر ما قبلها فقلبت ياء[(١)]، فصارت: (إيواب)، فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون ففعل بها ما سبق.

٣ـ (إيَّاب) من الفعل (أوَّب) على وزن (فعْول) مثل: جَهْور، والمصدر (فِعوال) كـ (جهوار) فهي هنا (إوْواب) سكنت الواو وانكسر ما قبلها فقلبت ياء، واجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياء في الياء.

فإن قيل: الإدغام يمنع من قلب الواو ياء؟

فيجاب: بأن الإدغام مانع إذا كانت الياء والواو من أصل الفعل، أما هنا فإن الواو في (فوعل) و (فعول) والياء في (فيعل) ليستا عينين من الفعل، بل هما زائدتان.

٤ـ (إيَّاب) من الفعل (أوَّب) يقال: أوَّب إوَّابا مثل: كذَّب كِذَّابا، ثم قلبت الواو الأولى ياء لانكسار ما قبلها فقيل: (إيوابا) مثل: ديوان في دِوَّان، ثم فعل به ما فعل بـ "سيِّد"، من اجتماع الياء والواو.

قال أبو حيان: "قرأ الجمهور: (إيابهم) بتخفيف الياء مصدر (آب)، وأبو جعفر: بشدها مصدرا لفَيعل من (آب) على وزن (فِيْعَال)، أو مصدرا كفوعل مثل حوقل على وزن (فِيعال) أيضا كحيقال، أو مصدر الفَعْوَل كجَهْوَرَ على وزن (فِعْوال) كجِهْوار، فأصله: إِوْواب فقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، واجتمع في هذا البناء والبناءين قبله واو وياء، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغم ولم يمنع الإدغام من القلب؛ لأن الواو والياء ليستا عينين من الفعل، بل الياء في فيعل والواو

= كلمتين لم يؤثر ذلك نحو: يعطى واقد، وكذا إن عرضت الياء أو الواو للسكون كقولك: في قوْي، فإن أصله الكسر ثم سكن للتخفيف كما يقال في عَلِم: عَلْم. يراجع ألفية ابن مالك ص (٧٧)، والممتع الكبير في التصريف ص (٢٨٢)، وشرح ابن عقيل (٤/ ٢٢٧)، وشرح الأشموني (٤/ ١١٤).

(١) إذا سكنت الواو وكسر ما قبلها تقلب ياء، فمن ذلك: ميزان، وميقات، وميعاد وأصلهن: موزان من وزن، وموقات من الوقت، وموعاد من الوعد. شرح التصريف للثمانيني ص (٢٨٥)، ومعجم القواعد العربية (١/ ٢١١).

في فعول زائدتان. وقال صاحب اللوامح، وتبعه الزمخشري: يكون أصله: (إِوَّابا) مصدر أَوَّب، نحو كذب كذابا، ثم قيل: (إيوابا) فقلبت الواو الأولى ياء لانكسار ما قبلها. قال الزمخشري: كديوان في دِوَّان، ثم فعل به ما فعل بـ(سيِّد)، يعني أنه اجتمع ياء وواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الواو. فأما كونه مصدر (أوب) فإنه لا يجوز؛ لأنهم نصوا على أن الواو الأولى إذا كانت موضوعة على الإدغام وجاء ما قبلها مكسورا فلا تقلب الواو الأولى ياء لأجل الكسرة، ومثلوا بـ "اخْرِوَّاط" مصدر "اخْرَوَّط"[(١)]، ومثلوا أيضا بمصدر أوَّب نحو: أوَّب إِوَّابا، فهذه وضعت على الإدغام، فحصنها من الإبدال ولم تتأثر للكسر. وأما تشبيه الزمخشري بديوان فليس بجيد؛ لأنهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة، فلم يقولوا: دِوَّان، ولولا الجمع على دواوين لم يعلم أن أصل هذه الياء واو، وأيضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره. وقال ابن عطية: ويصح أن يكون من أَأْوب، فيجيء إيوابا، سهلت الهمزة، وكان اللازم في الإدغام يردها إوابا، لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس، انتهى. فقوله: وكان اللازم في الإدغام بردها إوابا ليس بصحيح، بل اللازم إذا اعتبر الإدغام أن يكون إيابا؛ لأنه قد اجتمعت ياء وهي المبدلة من الهمزة بالتسهيل، وواو وهي عين الكلمة وإحداهما ساكنة، فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير إيابا. ولما كان من مذهب الزمخشري أن تقديم المعمول يفيد الحصر، قال معناه: أن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه تعالى، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير[(٢)].

(١) يقال للطريق إذا طال وامتد: قد اخرَوَّطَ، والاخرواط في السير: السرعة. يقال: اخروط البعير، إذا أسرع في السير ومضى. واخروطت اللحية: طالت من غير عرض. يراجع العين (٤/ ٢١٦)، وتاج العروس (١٩/ ٢٤٣)، مادة (خرط).

(٢) يراجع البحر المحيط (١٠/ ٤٦٦). والنقير: النقرة التي في ظهر النواة. والقطمير: الفُوفة التي في النواة وهي القشرة الرقيقة. وقيل: الحبة في بطن النواة. وقيل: النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة. يراجع مقاييس اللغة (٥/ ١١٩)، ومختار الصحاح ص (٢٥٧/٣١٧)، مادة (نقر)، (قمطر).

فالإمام أبو حيان اعترض على ذلك الوجه الذي ذكره الإمام الزمخشري بأمور:

أ- أنهم نصوا على أن الواو الأولى إذا كانت موضوعة على الإدغام وجاء ما قبلها مكسورا فلا تقلب الواو الأولى ياء لأجل الكسرة، ومثلوا بـ "اخْرِوَّاط" مصدر اخْرَوَّط، ومثلها إِوَّابا، فالواو وضعت على الإدغام، فحصنها الإدغام من الإبدال ولم تتأثر بالكسر. وأجاب ابن جني عن ذلك بأنه فُعل ذلك استحسانا للاستخفاف، لا وجوبا، ألا تراهم قالوا: ما أحيله من الحيلة؟ وهو من الواو لقولهم: يتحاولان[1].

ب- ذكر الإمام أن تشبيه الإمام الزمخشري بـ "ديوان" ليس بجيد؛ لأنهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة، فلم يقولوا: دِوَّان، ولولا الجمع على دواوين لم يعلم أن أصل هذه الياء واو، بخلاف: "إيَّاب" فنطقوا بها مدغمة.

ج- شذوذ "ديوان"، والشاذ لا يقاس عليه غيره.

٥- "إياب" من الفعل "أَأْوب" كما قال الإمام ابن عطية، يقال: أَأْوب إِإْواب سكنت الهمزة وتحرك ما قبلها، فسهلت الهمزة وقلبت حرف مد من جنس ما قبلها، ولما كان ما قبلها مكسورا قلبت ياء فقيل: إيواب.

واعترض الإمام أبو حيان على الإمام ابن عطية في قوله: "وكان اللازم في الإدغام يردها (إوابا)، لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس". بأن ذلك غير صحيح، بل اللازم إذا اعتبر الإدغام أن يكون إيابا؛ لأنه قد اجتمعت ياء وهي المبدلة من الهمزة بالتسهيل، وواو وهي عين الكلمة وسبقت إحداهما بالسكون، فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير إيابا.

فائدة القراءة:

مما سبق يظهر أن (إيابهم) بالتخفيف والتشديد لغتان في المصدر، وإن كانت الأولى أكثر وأشهر، لذلك استبعد بعض العلماء قراءة ولغة التشديد، ومنهم من حكم

(١) يراجع المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات (٢/ ٣٥٨).

بشذوذها، ومنهم من قال: إنها لحن[١]. وهي قراءة ثابتة متواترة بالسند المتصل إلى النبي ﷺ يحتج بها ـ لا لها ـ على صحة هذه اللغة في هذا المصدر، وقد أحسن الإمام أبو حيان ـ رحمه اللَّه ـ وأجاد في تخريجه لهذه القراءة بذكر أقول التصريفيين فيها، وفي قراءة التشديد إشارة إلى تشديد الوعيد وأن إيَّابهم ليس إلا إلى اللَّه، وفيه بيان لشدة هذا الرجوع؛ لأنه رجوع إلى الحق المبين ﷻ؛ وفيه ما فيه من التهديد والوعيد لينزجر العصاة عن معاصيهم، وهذا التهديد أيضا مفاد من تقديم المعمول، فإن تقديمه عند جمهور البلاغيين يفيد الحصر، مع ما في الآية من الالتفات من الغيبة إلى التكلم بنون العظمة، فالآية السابقة جاءت بأسلوب الغيبة قال تعالى: ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾[الغاشية: ٢٤]، ثم انتقل الأسلوب من الغيبة إلى التكلم للتهديد، والمعنى: إن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه تعالى، وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير.

الموضع السادس والستون: قوله تعالى: ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴾[البلد: ٦]. قرأ أبو جعفر بتشديد الباء: (لُبَّدا)، وقرأ الباقون بتخفيفها: (لُبَدا)[٢].

معنى القراءة:

أولا: اللبد: كل ما لصق وتراكب بعضه على بعض. قال تعالى: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩] أي مجتمعة، الواحدة (لُبْدَة) كاللبد المتلبد أي المجتمع، وقيل: أي متلبدا ملتصقا بعضها ببعض للتزاحم عليه، وجمع (اللبد) ألباد ولبود. ولبد الشعر وألبد بالمكان لزمه لزوم لبده[٣].

ثانيا: قراءة الجمهور(لُبدا) جمع (لُبْدة) كـ (غُرْفة وغرف)، أو جمع (لِبْدة) بكسر

(١) يراجع إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٣٤)، ومشكل إعراب القرآن (٢/ ٨١٦)، والبسيط للواحدي (٢٣/ ٤٧٩).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٤٠١)، والبدور ص (٣٤٣).

(٣) يراجع المفردات ص (٤٤٦)، وجمهرة اللغة (١/ ٣٠١)، مادة (ل ب د).

اللام كـ (قِرْبة وقِرب)، وهما لغتان وردتا في القرآن في قوله: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾[1]، فمن ضم (لُبْدة) جمعها على (لُبد)، ومن كسر (لِبْدة) جمعها على (لِبد). وقراءة أبي جعفر (لُبَّدا) بالتشديد جمع (لابد) مثل (راكع وركع) و (ساجد وسجد).

قال أبو جعفر النحاس: "(لبد) جمع (لبدة)، وقد يكون واحدا مثل (حطم)، وروي عن أبي جعفر أنه قرأ (لبَّدا) جمع (لابد)". وقال الفخر: "قال أبو عبيدة: (لبد) فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض، قال الزجاج: (فُعَل) للكثرة، يقال: رجل حطم إذا كان كثير الحطم، قال الفراء: واحدته (لُبْدَة)، و (لبد) جمع، وجعله بعضهم واحدا، وهو في الوجهين جميعا الكثير. قال الليث: مال لبد: لا يخاف فناؤه من كثرته. والمعنى أن هذا الكافر يقول: أهلكت في عداوة محمد مالا كثيرا، والمراد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم، ويدعونه معالي ومفاخر"[2].

فائدة القراءة:

يخبر اللَّه ﷻ عن قول ذلك الإنسان المتبجح الذي لا يشكر ربه على نفسه، بل يفتخر بهذه النعم ويمدح نفسه بإتلاف المال في غير إصلاح، ويعد ذلك من المفاخر وأنه لا يكترث به، ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ مالا تلبد والتصق بعضه ببعض لكثرته، وجاءت قراءة أبي جعفر (لبَّدا) جمع لابد لتشير إلى كثرة هذا المال. قال البقاعي: "يقول مفتخرا بقدرته وشدته: ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ ولقصد المبالغة في كثرته جاءت قراءة أبي جعفر بالتشديد على أنه جمع (لابد) كركع وراكع، فأفهمت أنه بحيث لا يحصى، بل لو جمع لم تسعه الأرض إلا بأن يكون بعضه على بعض فلا يعد ولا يحد، أي وذلك قليل من الكثير الذي معي، قلدت به أعناق الرجال المنن، واستعبدت به الأحرار في كل زمن، فصرت بحيث إذا دعوت كثر الملبي، وإذا ناديت كثر المجيب، وإذا أمرت عظم الممتثل، وفاء لصنائعي الماضية ورغبة في نعمي الباقية، فمن

(١) قرأ هشام بخلف عنه بضم اللام، وغيره بكسرها وهو الوجه الثاني لهشام. يراجع البدور ص (٣٣٠).

(٢) يراجع مفاتيح الغيب (٣١/ ١٦٧).

يستعصي علي ومن يخالف أمري، فضلا عن أن يريد إخمال ذكري أو نقص قدري"[١].

الموضع السابع والستون: قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[قريش: ١ – ٢]. ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ فيها ثلاث قراءات: ١ـ قرأ الشامي بهمزة مكسورة بعد اللام مع حذف الياء الساكنة بعد الهمزة: "لِإِلَاف".

٢ـ وقرأ أبو جعفر بحذف الهمزة المكسورة مع إثبات الياء: "لِيلَاف".

٣ـ وقرأ الباقون بإثبات الهمزة والياء: "لِإِيلَاف".

﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ قرأ أبو جعفر بحذف الياء بعد الهمزة: "إِلَافِهم"، وغيره بإثباتها: "إِيلَافِهم"[٢].

معنى القراءة:

أولا: ألفت الشيء، وآلفته. بمعنى واحد، أي لزمته، فهو مُؤْلَف، ومألوف. وألفت الشيء، وألفت فلانا، إذا أنست به[٣].

ثانيا: قراءة ابن عامر: "لإلاف" مصدر (أَلِف) الثلاثي، يقال: أَلِف الرجلُ الأمر إلفا وإلافا، فمصدر الفعل (ألف): الإلف والإلاف.

٢ـ ذكر بعض العلماء أن قراءة ابن عامر مصدر (آلف) الرباعي نحو: قاتل قتالا. وكذلك هنا: آلف إلافا[٤].

وقراءة الجمهور: "لإيلاف" على أنها مصدر (آلف) الرباعي، وأصلها: (أَأْلف) اجتمعت همزتان وسكنت الثانية منهما، فأبدلت حرف مد من جنس ما قبلها فصارت: (آلف)، آلف يولف إيلافا.

٢ـ ذهب بعض العلماء إلى أن: "لإيلاف" مصدر (آلف) بمعنى (ألف). قال الإمام

(١) يراجع نظم الدرر (٢٢/ ٥٤).

(٢) يراجع النشر (٢/ ٤٠٣)، والبدور الزاهرة ص (٣٤٨).

(٣) يراجع تهذيب اللغة (١٥/ ٢٧٢)، مادة (ألف).

(٤) يراجع مفاتيح الغيب (٣٢/ ٢٩٦)، والدر المصون (١١/ ١١٣).

أبو حيان: "وقد يأتي (آلف) متعديا لواحد كـ (ألف)"[(١)]. قال الطاهر ابن عاشور: "والإيلاف: مصدر (أألف) بهمزتين بمعنى (ألف) وهما لغتان، والأصل هو (ألف)، وصيغة الإفعال فيه للمبالغة؛ لأن أصلها أن تدل على حصول الفعل من الجانبين، فصارت تستعمل في إفادة قوة الفعل مجازا، ثم شاع ذلك في بعض هذه الأفعال حتى ساوى الحقيقة مثل سافر، وعافاه اللَّه، وقاتلهم اللَّه[(٢)].

والقول الأول أولى فلا حاجة إلى القول بالمجاز في هذا الفعل مع إمكان حمله على الحقيقة، فيكون الإيلاف من اللَّه ﷻ لقريشا رحلة الشتاء والصيف.

وقراءة أبي جعفر: "ليلاف" أصلها: (لإيلاف) كقراءة الجمهور، وأصل قراءة الجمهور: (لإئْلاف) قال الإمام أبو حيان: "لما أبدل الثانية ياء [لسكونها وانكسار ما قبلها] حذف الأولى حذفا على غير قياس"[(٣)]. والأولى من ذلك أن يقال: أصلها (لإيلاف) حذفت منها الهمزة طلبا للخفة[(٤)]. وهذا أولى مما قاله الإمام أبو حيان لخلوه من التكلف، ومن نظر إلى مذهب الإمام أبي جعفر وجده يسهل الهمز بالتسهيل والإبدال والحذف فيحذف همز "مستهزءون، فمالئون خاطئون، متكئين" وغيره فيقرأ: "مستهزون، فمالون، خاطون، متكين".

للعلماء في اللام في قوله: "لإيلاف" أقوال: ١ـ ذهب فريق من العلماء إلى أنها متعلقة بقوله: (فجعلهم) في سورة الفيل أي: فجعلهم كعصف مأكول لإلف قريش وإلافها وإيلافها، أي: أهلكهم اللَّه لتبقى قريش وما ألفوه من رحلة الشتاء والصيف.

٢ـ ذهب آخرون إلى أنها متعلقة بفعل مضمر تقديره: فعلنا ذلك من جعل كيد أصحاب الفيل في تضليل وإرسال الطير الأبابيل عليهم حتى صاروا كالعصف

(١) يراجع البحر المحيط (١٠/ ٥٤٨).
(٢) يراجع التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٥٥).
(٣) يراجع البحر المحيط (١٠/ ٥٤٨).
(٤) يراجع الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٠١).

المأكول، فعلنا كل ذلك لإيلاف قريش.

ورد الحوفي هذين القولين بأنه لو كان الأمر كذلك لكانت سورة قريش بعضا من سورة الفيل، وهذا مردود بإجماع العلماء على الفصل بينهما وأنهما سورتان، وكل واحدة منهما مستقلة بنفسها.

قلت: وقد يجاب عن ذلك بأن تعلق السورة بما قبلها لا يجعلها جزءًا منها؛ لأن القرآن كله متصل بعضه ببعض فهو كالسورة الواحدة، فلا يضر الفصل بينهما بالبسملة. فاللَّه ﷻ ذكر ذلك من باب الامتنان على قريش حيث كانوا يذهبون في أسفارهم للتجارة، وكان الناس يهابونهم ويحترمونهم لمجاورتهم بيت اللَّه، فلو تم الأمر لأصحاب الفيل من هدم الكعبة لسقطت تلك الهيبة من نفوس الناس، فلما أهلك اللَّه عدوهم ازدادت الهيبة في قلوب الناس نحوهم وانتظم لهم الأمن في رحلتيهم. ولعل مما يؤيد ذلك ذكر البيت في سورة قريش في قوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[قريش: ٣]، فهذا البيت الذي أهلك اللَّه عدوكم بسببه فأنعم عليكم لتأتلف أحوالكم واجب عليكم عبادتُه.

٣ـ تتعلق اللام بفعل مضمر تقديره: "اعجبوا"، أي: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركِهم عبادة رب هذا البيت، أي: أنهم لم يقابلوا نعمة اللَّه بالشكر، بل قابلوا نعم اللَّه بالجحود والنكران فعبدوا غيره وشكروا سواه.

قال أبو حيان: "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، ولا سيما إن جعلت اللام متعلقة بنفس (فجعلهم)[1]، وهو قول الأخفش، أو بإضمار فعلنا ذلك لإيلاف قريش، حتى تطمئن في بلدها. فذكر ذلك للامتنان عليهم، إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد والأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة. قال الزمخشري: والمعنى أنه أهلك أهل الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك، فيتهيبوهم زيادة تهيب، ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم، انتهى. قال الحوفي: ورد هذا القول

(١) في قوله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[الفيل: ٥].

جماعة، وقالوا: لو كان كذا لكان (لإيلاف) بعض سورة (ألم تر)، وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال، يعني الأخفش. والكسائي والفراء على أنها تتعلق بـ"اعجبوا" مضمرة، أي: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركِهم عبادة رب هذا البيت، ثم أمرهم بالعبادة بعد وأعلمهم أن اللَّه هو الذي أطعمهم وآمنهم لا آسفهم، قرأ الجمهور: (لإيلاف قريش) مصدر آلف رباعيا، وابن عامر: (لإِلاف) على وزن (فعال)، مصدر (ألف) ثلاثيا. يقال: أَلِف الرجلُ الأمر إلفا وإلافا، وآلفه غيره إياه إيلافا، وقد يأتي (آلف) متعديا لواحد كـ (ألف)، ولم يختلف القراء السبعة في قراءة: (إيلافهم) مصدرا للرباعي. وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري: (لِإِلف قريش)، وقرأ فيما حكى ابن عطية (إلفهم). قال الشاعر:

زعمتم أن إخوتكم قريشا لهم إلف وليس لكم إلاف[1]

جمع بين مصدري ألف الثلاثي. وعن أبي جعفر وابن عامر: إلافهم على وزن فعال. وعن أبي جعفر وابن كثير: إلفهم على وزن (فعل). وعن أبي جعفر أيضا: ليلاف بياء ساكنة بعد اللام، لما أبدل الثانية ياء حذف الأولى حذفا على غير قياس[2].

فائدة القراءات:

قراءة الجمهور: (لإيلاف) جاء المصدر فيها (إيلاف) مضافا إلى المفعول؛ لأن (آلف) الرباعي يتعدى إلى مفعولين، أي: أن اللَّه آلف قريشا رحلة الشتاء والصيف بفضله وإنعامه عليهم حيث أهلك عدوهم ورد كيدهم في نحورهم، فاجتمعت كلمتهم وتسامع الناس بهم فهابوهم واحترموهم؛ لأنهم جيران بيت اللَّه فانتظم لهم الأمن في رحلتهم. وجاءت قراءة ابن عامر: (لإلاف) للإشارة إلى تحقق هذا الإلف فقد ألفوا في

(١) هذا البيت لمساور بن هند يهجو به بني أسد. يراجع تهذيب اللغة (١٥/ ٢٧٢)، ولسان العرب (٩/ ١٠)، وتاج العروس (٢٣/ ٣٨)، مادة (ألف)، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي (٢/ ١٨٦).

(٢) يراجع البحر المحيط (١٠/ ٥٤٧ـ٥٤٨). وفي توثيق الإمام أبي حيان للقراءات في هذه الكلمة نظر. فليرجع إلى ما ذكر في نسبة القراءات إلى أصحابها في بداية البحث في هذه المسألة.

أنفسهم بإيلاف اللَّه لهم، ولما كان الإيلاف عاما يشمل كل إيناس وموافقة جاء التخصيص لهذا العموم بقوله: (إيلافهم) للتفصيل بعد الإجمال ليتمكن في النفس أيما تمكن، ولما كان الإيلاف يحتاج إلى إيناس ومودة، وهي لا تحصل إلا بالقرب والملازمة كما في المعنى اللغوي: ألفت الشيء، وآلفته. بمعنى واحد، أي لزمته، فجاءت قراءة ابن عامر (لإلاف قريش) وقراءة أبي جعفر: (إلافهم) بحذف الياء إشارة إلى هذا القرب والملازمة التي يحصل بها الإيلاف، واللَّه أعلم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والقواعد والتوصيات.

الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد فمن خلال معايشتي لهذا البحث الماتع وجمع القراءات التي تفرد بها الإمام أبو جعفر، وبيان أثر هذه القراءات في التفسير من توسعة للمعاني وتكثير لها وتجلية المراد وغير ذلك، توصلت لبعض النتائج والتوصيات أجملها فيما يلي:

أولا: أهم النتائج لهذا البحث.

١ـ القيمة الكبيرة لعلم القراءات. فقد احتل هذا العلم مكانة كبيرة بين العلوم، فلا تكاد ترى علما من علوم الشريعة والعربية إلا وتجد علم القراءات رافدا من روافده.

٢ـ وجدت بعض القراءات التي طعن عليها بعض العلماء، وهذا ليس تقليلا من قدر هذا العلم وإنما يرجع السبب في ذلك لأحد أمرين: أ ـ إما لأن هذه القراءة لم تثبت عنده بطريق تقوم به الحجة.

ب ـ وإما لأنه قام عنده من الموانع ما جعله لم يقبل هذه القراءة كمخالفتها لقاعدة نحوية أو لأصل مشهور، أو للأقيس في العربية. وأئمة القراءة لا يعتمدون في إثبات القراءة إلا على ما ثبت عندهم نقلا؛ إذ القراءة سنة متبعة إذا ثبتت كانت هي الحكم والحاكم على أهل النحو وغيرهم، ووجب قبولها والرجوع إليها والاحتجاج بها، لا أن نرجع بها إلى قواعدهم وإلا كانت الآية معكوسة.

٣ـ بلغ عدد المواضع التي انفرد بها الإمام أبو جعفر من الكلمات الفرشية سبعة

وستون موضعا مفرقة وموزعة على سور القرآن.

٤ـ ظهر من خلال دراسة هذه المواضع بعض الكلمات التي أفادت تكثيرا للمعاني، فهذه القراءات قامت مقام تكرار الآيات، فكان من الواجب على المفسر أن يولي هذا العلم عناية خاصة. يراجع على سبيل المثال الموضع رقم: ١٥، ١٦، ٣٢، ٤٥، ٤٧.

٥ـ من خلال سبر القراءات التي تفرد بها الإمام أبو جعفر نجد تنوعا وتكاملا في الأداء البياني، فنجد النص القرآني يأتي بأساليب متنوعة فمرة يأتي بطريقة الغيبة وأخرى بالتكلم أو الخطاب، تارة يأتي بالبناء للمعلوم وفي قراءة أخرى يأتي بالبناء لما لم يسم فاعله، يأتي فيه التخفيف والتثقيل، وفي كلٍ حكمة. يراجع الموضع رقم: ١٨، ٢٨، ٣٠، ٣٧، ٤٣، ٤٤.

٦ـ الاختلاف في بعض القراءات والتنوع فيها من باب تعدد اللغات واختلاف اللهجات في الكلمة الواحدة، وهذا لا يخلو من نكتة أو لطيفة تؤثر في بيان المعنى أو تزيد الأمر وضوحا وبيانا. يراجع الموضع رقم: ٣، ٤، ٦، ١٩، ٢٦، ٤٠، ٥٧.

٧ـ وجدت لبعض الكلمات التي تفرد الإمام أبو جعفر بقراءتها طعنا من بعض العلماء، وتضعيفا لها أو تلحينا لمن قرأ بها، وكما بينا أن القراءة متيى ثبتت فإنها حجة في اللغة والعربية والشريعة يحتج بها لا لها، وتصير متبوعة لا تابعة، وتصبح أقوى من كل شاهد من الشواهد؛ إذ إنها مروية بالنقل الثابت الصحيح، ومنقولة عن أفصح من نطق بالعربية، وبان من خلال دراسة هذه المواضع أنها لغات ثابتة وصحيحة من لغات العرب الأقحاح. يراجع الموضع رقم: ٢، ٣٨، ٤٢، ٤٩، ٥٦.

٨ـ من خلال البحث ظهر اختلاف في بعض القراءات خبرا وإنشاء، وما أفاده ذلك في تأثير في المعنى، وكيفية الجمع بين ما يحتمل الصدق والكذب لذاته وما لا يحتمله. يراجع الموضع رقم: ٧، ١٠، ٣٣، ٤٩، ٥٤.

٩ـ تبين من خلال الدراسة وجود تنوع في القراءات من ناحية العموم والخصوص، فما عمم في قراءة خصص في قراءة أخرى. يراجع الموضع رقم: ١٢، ٣٩.

١٠ـ هناك قراءات بينت المعنى المراد من الآية وزادته جلاء ووضوحا. يراجع الموضع رقم: ٢٢، ٤٣.

١١ـ ظهر من خلال البحث وجود قراءات دفعت الاعتراض وأزالت الإشكال عن معنى الآية. يراجع الموضع رقم: ٣٥.

١٢ـ مما أضافته القراءات في هذا البحث ترجيح معنى من المعاني المحتملة في الآية. يراجع الموضع رقم: ٤١.

ثانيا: أهم القواعد الشرعية المأخوذة من القراءات المتواترة.

١ـ القراءات المتواترة وحي من اللَّه، بلغت الغاية في البلاغة، والنهاية في كمال الإعجاز وجمال الإيجاز، وهذا مظهر من مظاهر إعجاز القرآن؛ إذ كل قراءة بمنزلة آية من الآيات، ولو جعلت دلالة كل قراءة آية لأفضى ذلك إلى الإسهاب والتطويل.

٢ـ القراءات العشر كلها صحيحة ومتواترة، فلا يجوز لأحد أن يرجح قراءة على قراءة أخرى، أو يحسن قراءة على أختها، لتساويهما في ثبوت التواتر، ولا يجوز الطعن في قراءة منها فيردها أو ينكرها.

٣ـ القراءات العشر حجة في النحو واللغة يحتج بها ويعتمد عليها في تأصيل القواعد، فاللغة تابعة للقراءات ولا عكس، والصلة بين القراءات واللغة كالصلة بين الروح والجسد، فالقرآن بقراءاته كتاب العربية الأول.

٤ـ الخلاف بين القراءات ـ رغم كثرتها ـ خلاف تنوع وتعاضد، لم يتطرق إليها التضاد ولا التناقض، بل كلها يصدق بعضها بعضا، ويبين بعضها بعضا، ويفسر بعضها بعضا، وما تنوعها إلا مظهر من مظاهر الإعجاز والبيان، حيث تتعدد فيها وجوه الدلالة، وتتنوع الأساليب البلاغية.

٥ـ عظم علم القراءات على اختلاف أنواعه وموضوعاته من توثيق وتوجيه وتدليل عليها وغير ذلك من موضوعات هذا العلم، فهو علم شريف لا يخلو من وعورة وصعوبة، ولا ينال إلا بطول صبر ومكابدة، مع إخلاص القصد للَّه رب العالمين.

ثالثا: أهم المقترحات والتوصيات.

١ـ وفقني اللَّه ﷻ لجمع انفرادات الإمام أبي جعفر المدني، وهناك إمام آخر من أئمة القراءة وهو الإمام يعقوب الحضرمي وله حروف انفرد بها في القراءة وهي تحتاج إلى جمع وعناية.

٢ـ نصيحتي للباحثين أن يولوا علم القراءات عناية خاصة في بحوثهم، وأن يفيدوا منه ففيه الخير الكثير، وهو أداة هامة وعلم أصيل من العلوم التي يحتاج إليها الباحث في علم التفسير، يفتح لبحثه أبعادا وآفاقا علمية تعينه على الوصول إلى مبتغاه.

وأخيرا:

هذا جهد المقل وعلى اللَّه توكلي واعتمادي، فإن كنت قد أصبت فمن اللَّه وحده، وله الحمد أولا وآخرا، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، وأسأل اللَّه سبحانه العفو والمغفرة، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد للَّه رب العالمين.

***

فهرس المصادر والمراجع

كتب التفسير وعلوم القرآن

- الإبانة عن معاني القراءات لأبي محمد مكي بن أبي طالب (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر، عدد الأجزاء: (١).

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية–لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: (١).

- الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ، عدد الأجزاء: (٤).

ـ أحكام القرآن لأحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، الناشر : دار إحياء التراث العربى ـ بيروت، سنة الطبع : ١٤٠٥ هـ.

ـ أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبي الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ)، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت.

ـ إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبد اللّه الحسين بن أحمد بن خالويه، المتوفى سنة (٣٧٠) هـ، حققه د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر/ مكتبة

الخانجي بالقاهرة، عدد الأجزاء: (٣).

-إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العُكْبَري المتوفى سنة ٦١٦ هـ، تحقيق/ محمد السيد عزور، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: (٢).

-إعراب القرآن المنسوب للزجاج، لعلي بن الحسين بن علي، أبو الحسن الباقولي (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الإبياري، الناشر: دارالكتاب المصري - القاهرة ودارالكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة/ بيروت، الطبعة: الرابعة - ١٤٢٠ هـ.

-إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

-إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري (٥٣٨ - ٦١٦ هـ)، دار: الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لزين الدين أبي عبد اللَّه محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودى، الناشر: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية–الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١م، عدد الأجزاء: (١).

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبد اللَّه بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر–بيروت،

الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

– البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار السلام، عدد الأجزاء: (٢).

– البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد اللَّه الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ، الناشر: مكتبة الحلبي، عدد الأجزاء: (٤).

– البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ وجزء للفهارس).

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: (٦).

ـ البهجة المرضية شرح الدرة المضية للشيخ/ علي محمد الضباع، تحقيق/ إبراهيم عطوة عوض، الناشر: مكتبة الحلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.

– التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد اللَّه بن الحسين بن عبد اللَّه العُكْبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: (٢).

ـ التبيان في تفسير غريب القرآن، لأحمد بن محمد بن عماد الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي، الناشر: دار الغرب الإسلامي ـ

بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

- التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: (٣٠).

- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: (٨).

- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء: (٢٤).

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد اللَّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (١٠ مجلدات).

- جمال القراء وكمال الإقراء لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبي الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

- حاشية محيي الدين شيخ زاده، محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، ت: ٩٥١ هـ، ضبطه وحققه: محمد عبد القادر شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

- حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبي زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي

٤٠٣ هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، عدد الأجزاء: ١، الناشر: دار الرسالة.

– الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، أبي عبد اللَّه (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق–بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ، عدد الأجزاء: (١).

– الحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبي علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ، عدد الأجزاء: (٧).

– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: (١١).

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد اللَّه الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ ومجلد فهارس).

– زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

– السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد، ت: ٣٢٤هـ، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ، عدد الأجزاء: (١).

ـ شرح الهداية للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، المتوفى سنة (٤٤٠

هـ)، تحقيق ودراسة: د/ حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد-الرياض.

-شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد بن محمد، أبي القاسم، محب الدين النُّوَيْري (المتوفى: ٨٥٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

-الشفاء في علل القراءات لأبي الفضل أحمد بن محمد الحريري البخاري، رسالة دكتوراة للباحث/ حبيب اللَّه بن صالح السلمي، تحقيق ودراسة من أول سورة الرعد إلى آخر الكتاب، من جامعة أم القرى سنة ١٤٣٦ هـ.

- طيبة النشر في القراءات العشر لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ت: ٨٣٣هـ)، المحقق: محمد تميم الزغبي، الناشر: دار الهدى، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، دار النشر : دار الكتب العلمية ١٤١٦ هـ، الطبعة : الأولى، عدد الأجزاء: ٦، تحقيق : الشيخ زكريا عميران.

- غريب القرآن لابن قتيبة أبي محمد عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: سعيد اللحام.

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبي يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: (١).

-فضائل القرآن لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد اللَّه الهروي ت: ٢٢٤هـ، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث/ محمد بن عمر بن سالم بازمول، من جامعة أم القرى سنة ١٤١٣ هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار اللَّه (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: (٤).

ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي بن أبي طالب، المتوفى سنة (٤٣٧ هـ)، تحقيق: د/ محي الدين رمضان، الناشر: مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: ٢ في مجلد واحد، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبي إسحاق (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: (١٠).

ـ اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢٠.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سز رَحِمَهَا ٱللَّهُ ين، الناشر: مكتبة الخانجى–القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ.

ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد

الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢ هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

– مشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧ هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: (٢).

– معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد اللَّه النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ، عدد الأجزاء: (٨).

ـ معاني القراءات للأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٣.

– معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج ت: ٣١١هـ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب–بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ، عدد الأجزاء: (٥).

– معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد اللَّه بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧ هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي/ محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة–مصر، الطبعة: الأولى.

– مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد اللَّه محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

ـ المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت: ٥٠٢هـ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

- المقدمة الجزرية = منظومة المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: (١).

- المكتفى في الوقف والابتدا لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار عمار، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: (١).

ـ منار الهدى في بيان الوقف والابتدا المنسوب إلى العلامة: الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأشموني، وذلك بالمطبعة العامرة المنشأة بجمالية مصر.

- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء: ٢.

ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ١.

ـ الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة اللَّه بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ)، المحقق: زهير الشاويش ، محمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، عدد الأجزاء: ١.

ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد اللَّه الهروي ت: ٢٢٤هـ، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، الناشر: مكتبه الرشد/ شركة الرياض – الرياض،

الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.

- النشر في القراءات العشر لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف ت: ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت ١٣٨٠ هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، عدد الأجزاء: (٢).

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: (٢٢).

- النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم وإعرابه لعلي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبي الحسن (ت: ٤٧٩ هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد اللَّه عبد القادر الطويل، دار النشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: (١).

- نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير - الجامعة الإسلامية - الدراسات العليا - التفسير - ١٤٠١ هـ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: (١)، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

ـ هداية القاري إلى تجويد كلام الباري لعبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد المرصفي (المتوفى: ١٤٠٩ هـ)، الناشر: مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢.

ـ الهداية إلى بلوغ لهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (المتوفى: ٤٣٧ هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية

الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس).

كتب الحديث وعلومه

ـ التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢ هـ)، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ، عدد الأجزاء: ١١.

– سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: (٧).

– سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي–مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

ـ شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس).

– شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

– صحيح البخاري لأبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفى

سنة (٢٥٦) ه، ترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: ألفا للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: (١).

- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة (٢٦١) ه، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء (١).

ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢.

ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٤.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عدد الأجزاء: (١٣).

ـ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن عبيد اللَّه بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان اللَّه بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤ هـ) الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

ـ مسند أبي يعلى لأبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، المحقق: مكتب التحقيق بمركز التراث، الناشر: مركز التراث للبرمجيات – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧، عدد الأجزاء: ٦.

– مسند الإمام أحمد أبي عبد اللَّه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

– معجم الطبراني لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى : ٣٦٠ هـ، المحقق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر : دار إحياء التراث العربي، الطبعة : الثانية ، ١٩٨٣ م. عدد الأجزاء : (٢٥) جزء.

ثالثا: كتب اللغة والنحو

ـ أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن لعبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبد اللَّه ابن يوسف، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد نغش، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ١.

ـ الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: ٣.

– ألفية ابن مالك لمحمد بن عبد اللَّه، ابن مالك الطائي الجياني، أبي عبد اللَّه، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، الناشر: دار التعاون، عدد الأجزاء: (١).

– الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد اللَّه الأنصاري، أبي البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: (٢).

– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لعبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبد اللَّه ابن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف

الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: (٤).

- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، عدد الأجزاء: (٢).

- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

- التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو لخالد بن عبداللَّه بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: (٢).

- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ه، عدد الأجزاء: (١).

- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: (٨).

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد اللَّه بن عليّ المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، عدد الأجزاء: (٣).

- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة: الأولى،

١٩٨٧م، عدد الأجزاء: (٣).

– جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

ـ الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون للشيخ/ عبد الرحمن الأخضري، تحقيق: د/ محمد بن عبد العزيز نصيف، الناشر: مركز البصائر للبحث العلمي.

ـ خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد اللَّه الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

– الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة، عدد الأجزاء: (٣).

– شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لابن عقيل، عبد اللَّه بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ، عدد الأجزاء: (٤).

– شرح الأشموني على ألفية ابن مالك لعلي بن محمد بن عيسى، أبي الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، عدد الأجزاء: (٤).

ـ شرح التصريف لأبي القاسم عمر بن ثابت الثمانيني (المتوفى: ٤٤٢هـ)، المحقق: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

ـ شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ) ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبي زكريا (ت: ٥٠٢هـ)، الناشر: دار

القلم، عدد الأجزاء: ١.

ـ شرح المفصل للزمخشري ليعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٦ (٥ وجزء للفهارس).

– شرح قطر الندى وبل الصدى لعبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبد اللَّه ابن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣، عدد الأجزاء: (١).

ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد اللَّه العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد اللَّه، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: (٦).

ـ طلبة الطلبة لعمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبي حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، تاريخ النشر: ١٣١١هـ، عدد الأجزاء: ١.

– العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: (٨).

ـ غريب الحديث لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ – ٢٨٥]،

المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٣.

- الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد اللَّه بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، عدد الأجزاء: (١).

- الكتاب لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبي بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: (٤).

ـ اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبد اللَّه بن الحسين بن عبد اللَّه العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: د. عبد الإله النبهان، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٢.

- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر–بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: (١٥).

- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).

- مختار الصحاح لزين الدين أبي عبد اللَّه محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت–صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: (١).

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية–بيروت، عدد

الأجزاء: (٢) في مجلد واحد.

- معجم اللغة العربية المعاصرة لـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، عدد الأجزاء: ٤ (٣ ومجلد للفهارس).

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لعبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبد اللَّه ابن يوسف، أبي محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد اللَّه، الناشر: دار الفكر–دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥، عدد الأجزاء: (١).

- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.، عدد الأجزاء: (٦).

ـ الممتع الكبير في التصريف لعلي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبي الحسن المعروف بابن عصفور (المتوفى: ٦٦٩هـ)، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة: الأولى ١٩٩٦، عدد الأجزاء: ١.

- نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢، عدد الأجزاء: (١).

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية–مصر، عدد الأجزاء: (٣).

ـ الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ١.

فهارس التراجم والطبقات وفهارس الكتب

– أسد الغابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٩هـ.

– الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: (٨).

ـ تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٥.

– تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة اللَّه المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).

– تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبي الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠–١٩٨٠، عدد الأجزاء: (٣٥).

– الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

- سير أعلام النبلاء لشمس الدين أبي عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٣ ومجلدان فهارس).

ـ طبقات القراء للإمام الذهبي، تحقيق: د/ أحمد خان، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

- الطبقات الكبرى لأبي عبد اللَّه محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م، عدد الأجزاء: (٨).

- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر عدد الأجزاء: (٣).

ـ معجم الأدباء معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين أبو عبد اللَّه ياقوت بن عبد اللَّه الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٧.

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ، عدد الأجزاء: (١).

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين أبي عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، عدد الأجزاء: (٤).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر–بيروت، عدد الأجزاء: (٧).

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	تقديم	٢٠١
٢	ماهية القراءات	٢٠٦
٣	أقسام القراءات	٢١٠
٤	النسبة بين القرآن والقراءات	٢١٦
٥	ترجمة الإمام أبي جعفر	٢٢٠
٦	نسبه ونشأته	٢٢٠
٧	من أخذ عنهم ومن أخذوا عنه	٢٢٢
٨	ثناء العلماء عليه ووفاته	٢٢٣
٩	ما انفرد به الإمام أبو جعفر من فاتحة القرآن إلى آخر سورة الإسراء	٢٢٥
١٠	ما انفرد به الإمام أبو جعفر من سورة الكهف إلى سورة الناس	٢٩٦
١١	الخاتمة	٣٧٤
١٢	فهرس المصادر والمراجع	٣٧٨
١٣	فهرس الموضوعات	٣٩٨

***